تصحيح المعتقد ١٨

احذروا أبا جميلة المبتدع المتستر هذا
منهج التبديع بالصحبة والألفة
وأثره في كشف المبتدعة

صَنَّفَهُ

أبو عبد الرحمن عيد بن أبي السعود الكيال

باحث بالدكتوراه

كلية الشريعة - جامعة الأزهر

قدم له

فضيلة الدكتور الشيخ

طلعت زهران



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع

٢٠١٤/٩١١٨م

الناشر



ش ٨- الحدود - الهجانة - م. نصر -
أول طريق السويس الصحراوي - القاهرة
٠١١٤ /٥٨٠٩٤٤٧ – ٠١٠٠ /٣٩١٥٢٧٠



مقدمة فضيلة الشيخ/ طلعت زهران

الحمد للَّه الواحد الأحد، الكريم الوهاب، الرحيم التواب، غافر الذنب، وقابل التَّوب، شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو، يحب التوابين، ويحب المتطهرين، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين، لا إله إلا هو، إله الأولين والآخرين، وديَّان يوم الدين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه.

وأشهد أن محمدًا عبد اللَّه ورسوله، سيد ولد آدم أجمعين، أرسله اللَّه رحمة للعالمين؛ فشرح به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فقد طلب مني أخونا: عيد الكيال، حفظه اللَّه ونفع به، أن أقدم لبحث له بعنوان: «احذروا أبا جميلة»، وترددت في البداية في أن أستجيب له، لسببين:

الأول: أن فضيلة شيخنا الكريم المفضال/ حسن عبد الوهاب البنا، بارك اللَّه في عمره وعمله، ومتعنا به، قال لي: «أخونا عيد الكيال غزير التأليف.. وأنا قلت له: شوية شوية يا عيد مش كلِّ ستِّ شهور كتاب» وما قال الشيخ هذا إلَّا شفقةً ونصحًا للأخ عيد الكيال.

السبب الثاني: ما أعرف عن الأخ عيد من شدة -في الحق- قد تكون زائدة أحيانًا.

ثم استخرت اللَّه وانشرح صدري، ووجدت أن السبب الأول ليس بمانع بحال، بل هذا من فضل اللَّه يؤتيه من يشاء؛ فإنَّ إمام الجرح والتعديل العلامة الْمُحدِّث ربيع بن هادي الْمَدخلي -حفظه اللَّه تعالى- قال - دفاعًا عن الأخ الصديق خالد عثمان أبي عبد الأعلى ـ ضد أحد الشباب المتحمِّسين الطاعنين فيه بغير حقٍّ: «خالد.. أنا أشهد له أنه ألَّف كتابًا في ليلتين، ما رأيت أسرع منه كتابةً، ولا أقوى ذهنًا من هذا الرجل.. هذا الرجل -خالد- عندي ألَّف كتابًا قبل أربع أو خمس سنوات ألَّف كتابًا في الرد على رسالة «انصر أخاك ظالِمًا أو مظلومًا» جهَّزه في ليلتين أو ثلاثة، واللَّه أنا ما أقدر أجهزه في شهر قدرة قدرة قدرة!» (من كتاب السنة لمحمد بن نصر المروزي (تحقيق أبي عبد الأعلى).

وأما السبب الثاني فلم أجد له مسوغًا بعد أن قرأت البحث برويةٍ وتأنٍّ، فألفيتُهُ بحثًا نفيسًا جميلاً، تضمَّن مسائل نافعة مثمرةً لطلاب العلم، لا غناءَ لهم عنها، تبصِّرهم وتعينهم على الحذر من أمثال البيلي وحسان وبرهامي والمقدم والحويني وحسن عبد الستير، وأمثالهم، ممَّن لهم قلوب مفتونة، همُّها فتنة الناس عن اتباع الهدى، وسلوك مسلك أهل الضلال في كل زمان ومكان.

وقد أجاد أخونا عيد الكيال وأحسن عرض أربع مسائل بين يدي هدفه الأصلي المهم جدًّا:

المسألة الأولى: التحذير من أهل البدع، وهو أمر واجب باتفاق المسلمين، **وممَّن نقل الإجماع على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال في «مجموع الفتاوى» (٢٨ - ٢٣١)**: «... ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإنَّ بيانَ حالهم وتحذيرَ الأمة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين». اهـ.

ومعلوم أنَّ الكلامَ في أهل البدع أفضل من الصلاة والصيام والاعتكاف بل من الجهاد في سبيل اللَّه.

قال شيخ الإسلام (في المصدر نفسه): «حتى قيل لأحمد بن حنبل -رحمه اللَّه تعالى-: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحبُّ إليك أو يتكلَّم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف، فإنَّما هو لنفسه، وإذا تكلَّم في أهل البدع فإنَّما هو للمسلمين، هذا أفضل». اهـ

ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتبيَّن أن نفعَ هذا عامٌّ للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل اللَّه؛ إذْ تطهير سبيل اللَّه ودينه ومنهاجه وشريعته ودَفْع بَغْي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجبٌ باتفاق المسلمين، ولولا مَنْ يُقيمه اللَّه لدفع ضَرَر هؤلاء لفَسَد الدين، وكان فسادُه أعظمَ من فساد استيلاءِ العدوِّ من أهل الحرب، فإنَّ هؤلاء - أي أهل الحرب - إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلَّا تبعًا، وأما أولئك -أي: أهل البدع- فهم يفسدون القلوب ابتداء». اهـ.

وقال أيضًا: «الردود على المعتزلة والقدرية وبيان تناقضهم فيها قَهْرُ المخالف، وإظهارُ فسادِ قوله، هي من جنس المجاهد المنتصر؛ فالرادُّ على أهل البدع مجاهدٌ حتى كان يحيى بن يحيى -شيخ البخاري ومسلم- يقول: الذبُّ عن السُّنَّة أفضلُ من الجهاد». اهـ.

والمسألة الثانية: وهي خطورة التكلُّم والجلوس مع أهل البدعة، وحسبك قول الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اتقوا اللَّه معشر المسلمين، واقبلوا نصح الناصحين، وعظة الواعظين، واعلموا أنَّ هذا العلمَ دينٌ فانظروا ما تصنعون وعمَّن تأخذون وبمن تقتدون ومن على دينكم تأمنون؛ فإنَّ أهلَ البدع كلَّهم مبطلون أفَّاكون آثمون لا يرعوون ولا ينظرون ولا يتقون ولا مع ذلك يؤمنون على تحريف ما تسمعون ويقولون ما لا يعلمون في سرد ما ينكرون

وتسديد ما يفترون، واللَّه محيط بما يعملون فكونوا لهم حذرين متهمين رافضين مجانبين، فإنَّ علماءكم الأولين ومَنْ صَلَح من المتأخِّرين كذلك كانوا يفعلون ويأمرون، واحذروا أن تكونوا على اللَّه مُظاهرين، ولدينه هادمين، ولعُرَاهُ ناقضين موهنين؛ بتوقيرٍ لهم أو تعظيم أشد من أن تأخذوا عنهم الدِّين وتكونوا بهم مقتدين ولهم مصدِّقين مُوَادعين مُؤَالفين، مُعينين لهم بما يصنعون على استهواء من يستهوون، وتأليف من يتألفون من ضعفاء المسلمين لرأيهم الذي يرون، ودينهم الذي يدينون، وكفى بذلك مشاركة لهم فيما يعملون». (تاريخ دمشق (٦/ ٣٦٢ » .

والمسألة الثالثة: إهانة أهل البدع؛ فقد كان السلفُ الصالحُ لا يتعاملون مع أهل البدع إلَّا بالشدَّة والقسوة، وكانوا يعدُّون هذه الشدةَ على أهل الأهواءِ والبدع من المناقب التي يمدح بها الرجل عند ذكره؛ فكم من إمام في السنة قد قيل في ترجمته مدحاً له: كان شديداً في السنة، أو كان شديداً على أهل الأهواء والبدع. وما كان باعثهم على هذه الشدة إلَّا الغيرة والحمية لهذا الدين، والنصيحة للَّه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]» [مجموع ٥/ ٨٩].

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قبله تعريف الهجر فقال**: «والمراد بهجران أهل البدع: الابتعاد عنهم، وترك محبتهم، وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، وعيادتهم، ونحو ذلك».

والمسألة الرابعة وهي أُمُّ المسائل: وهي لزومُ التبديع بالصُّحْبة والأُلْفة وأثرُه في كشف المبتدعة.

وقد دلَّل الأخ عيدٌ على المسائل كلِّها بأدلَّة قويةٍ صريحةٍ صحيحةٍ، ووصل

بنا إلى الكلام في التَّوْأَمَيْن المبتدعين : البيلي وابن عبد الستير ، وما ذكرهما -على هوان شأنهما- إلا لنشاطهما المحموم في غشِّ المسلمين ، وكثرة خِدَاعهما . ولقد سبق لي -بعد جولات عديدة في المناصحة بكل سبيل ، دون أي جدوى أو استجابة- ، أن قلت بتاريخ ١-١١-٢٠١٣ : هشام البيلي حداديٌّ خارجي ، زائغُ المنهج ، منحرفُ الاتجاه ضالُّ الفكر محاربٌ لأهل السُّنَّة منضمٌّ لأهل البدعة ويُحذر منه ومن حضور دروسِه واستماع خُطَبِه والإنصاتِ إليه والآن وبكلِّ أسف ، قد وافقه حسن عبد الستير ، وناصره وآزره وزكاه ، فجزاؤه -إن لم يرجع رجوعًا واضحًا تائبًا نادمًا- أن نُلْحِقَه به ونُنَزِّل حُكْمَه عليه .

وختامًا : لقد أَفَدْتُ من البحثِ الذي بين أيديكم إفادةً كبيرةً ، ودعوتُ لكاتبِه بالتوفيق والسَّداد ، وأسأل اللَّه أن يرزقني -والأخ عيد الكيال وإياكم- الصدقَ والإخلاصَ في القولِ والعملِ ، وأن يثبتنا وإياكم على الحقِّ وعلى طريقٍ مستقيمٍ ، وأن ينصرنا بالسنة وينصرها بنا .

وصلى اللَّه على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

طلعت زهران

الثلاثاء ١٤ رجب ١٤٣٥

الموافق ١٣ مايو ٢٠١٤

«لَدْغَةُ الْمُبْتَدِعَةِ»

قال الإمام أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري إمام أهل السنة والجماعة في عصره (ت ٣٢٩هـ)، كما في طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى (٣/ ٧٧) ترجمة (٥٨٨):

«مِثْلُ أصحاب البدع مِثْلُ العقارب، يدفنون رُءوسهم وأبدانهم في التراب، ويخرجون أذنابهم، فإذا تمكَّنوا لَدَغُوا، وكذلك أهل البدع، هم مختفون بين الناس، فإذا تَمَكَّنُوا بَلَغُوا ما يُريدون، والناس في خداعٍ مُتَّصِلٍ» اهـ.

وروى الإمام ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى (٤٩١) عن عبد اللَّه بن عون الهلالي الخراز الفقيه المشهور الثقة (ت٢٣٢هـ) قال:

«من يجالس أهل البدع أشدُّ علينا من أهل البدع».

وروى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٣) عن الفقيه الثقة الثبت أيوب بن كيسان السَّختياني أبي بكر البصري (ت١٣١هـ) أنه قال:

«إذا كان الرجلُ صاحبَ سُنَّةٍ وجماعةٍ؛ فلا تسأل عن أيِّ حالٍ كان فيه».

❊ ❊ ❊



مقدمة تمهيديَّة

الحمد للَّه وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، صلى اللَّه عليه وآله وسلم.

أما بعد:

فهذه كلمات يسيرات لخَّصْتُ فيها رسالة الإمام أبي الفرج بن رجب الحنبلي «**الفرق بين النصيحة والتعيير**» جعلتها مقدمة، أُمَهِّدُ بها للدخول في موضوع البحث، قصدتُ منها خلوص البدء في قراءة هذا البحث، وتطهير المنطلق الذي ينطلق منه طالب العلم للدخول في صلب موضوع هذا الكتاب؛ وذلك ليَحْسُنَ الفهم ويُصَوَّبَ إلى التفريق بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، فإذا كان ذلك كذلك وصلت الرسالة والغاية من هذا الكتاب صحيحة سالمة خالصة من شوب التعكير عليها بالباطل والتخْريص والخداع.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي في رسالته «الفرق بين النصيحة والتعيير» (٣/ ٤٦٤ وما بعدها) من مجموع رسائله:

«**أما بعد**: فهذه كلمات مختصرة في الفرق بين النصيحة والتعيير، فإنهما يشتركان في أنَّ كُلًّا منهما: ذِكْرُ الإنسان بما يكره ذِكْرَهُ، وقد يشتبه الفرق بينهما عند كثير من الناس، واللَّه الموفِّق للصواب.

اعلم أنَّ ذِكْرَ الإنسان بما يكره محرم إذا كان المقصود منه مُجَرَّد الذمِّ والعيب والنَّقص، فأما إنْ كان فيه مصلحة لعامة المسلمين أو خاصة لبعضهم، وكان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة؛ فليس بمحرم، بل مندوب إليه.

وقد قرر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل، وذكروا الفَرق بين جرح الرواة وبين الغيبة، وردُّوا على منْ سوَّى بينهما من المتعبِّدين وغيرهم ممن لا يتَّسع علمه. ولا فرق بين الطعن في رواة حفاظ الحديث والتمييز بين من تُقبل روايته منهم ومن لا تقبل، وبين تَبْيين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتأوَّل شيئًا على غير تأويله، وتمسك بما لا يُتمسك به ليُحَذَّر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك[١].

ولهذا تجد كتبهم المصنَّفة في أنواع العلوم الشرعية من التفسير وشروح الحديث والفقه واختلاف العلماء وغير ذلك ممتلئة بالمناظرات، وردّ أقوال من تُضَعَّفُ أقواله من أئمة السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم[٢].

ولم يُنكر ذلك أحد من أهل العلم ولا ادَّعى فيه طعنًا على من ردَّ عليه قوله ولا ذمًّا ولا نقصًا، اللهم إلا أن يكون المصنِّف ممن يفحش في الكلام ويُسيءُ الأدب في العبارة فيُنكر عليه فحاشته وإساءته دون أصل ردِّه ومخالفته، إقامة للحجج الشرعية والأدلة المعتبرة.

---

(١) وكذلك نقل الإجماع ابن رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي (١/ ٣٤٨) حيث قال: «الكلام في الجرح والتعديل جائز، وقد أجمع عليه سلف الأمة، وأئمتها؛ لما فيه من تمييز ما يجب قبوله مما لا يجوز قبوله» اهـ.

وقد ذكرت في كتابي: «التحذير والتبيين بوجوب الرد على المخالفين» ستَّة إجماعات في المسألة مع بقية الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف، وسيأتي التعقيب على هذه الفقرة تحديدًا عند نهاية الكلام.

(٢) تكلم الشيخ في هذه الفقرة على زلل أهل العلم من أهل السنة، في مخالفتهم للأدلة عن غير عمد قطعًا، وبيَّن في الفقرة التي قبلها الكلام على الرواة وبيان حالهم، وما هم عليه من البدع، فانتبه للفرق، ثم بنى كلامه بعد ذلك على خطأ وزلل أهل السنة، لا أهل البدع.

وسبب ذلك ؛ أن علماء الدين كلهم مجمعون على قصد إظهار الحق الذي بعث اللَّه به رسوله ﷺ ؛ ولأن يكون الدين كله للَّه ؛ وأن تكون كلمته هي العليا .

وكلهم معترفون بأنَّ الإحاطة بالعلم كلِّه من غير شذوذ شيء منه ، ليس هو مرتبة أحد منهم ، ولا ادَّعاه أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين ؛ فلهذا كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم ، يقبلون الحق ممن أورده عليهم ، وإنْ كان صغيرًا ، ويُوصُون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم .

وكان الشافعي يبالغ في هذا المعنى ويوصي أصحابه باتباع الحق وقبول السنة إذا ظهرت لهم على خلاف قولهم ، وأنْ يضرب بقوله حينئذ الحائط ، وكان يقول في كتبه : لابد أن يوجد فيها ما يخالف الكتاب والسنة ؛ لأن اللَّه تعالى يقول : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ٨٢] .

وأبلغ من هذا أنه قال : ما ناظرني أحد فباليت أظهرت الحجة على لسانه أو على لساني .

وهذا يدل على أنه لم يكن له قصد إلا في ظهور الحقِّ ، ولو كان على لسان غيره ممن يناظره أو يخالفه .

ومن كانت هذه حاله ؛ فإنه لا يكره أن يُردّ عليه قوله ، ويتبين له مخالفته للسنة لا في حياته ولا في مماته .

وهذا هو الظن بغيره من أئمة الإسلام ، الذابِّين عنه ، القائمين بنصْرِهِ من السلف والخلف ، ولم يكونوا يكرهون مخالفة من خالفهم أيضًا ؛ بدليل عَرَضَ له ، ولو لم يكن ذلك الدليل قويًّا عندهم بحيث يتمسكون به ، ويتركون دليلهم له .

فحينئذٍ ، فردّ المقالات الضعيفة وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية ليس هو مما يكره أولئك العلماء ، بل مما يُحبُّونه ، ويمدحون فاعله ويثنون

عليه فلا يكون داخلًا من باب الغيبة بالكليَّة، فلو فُرض أنَّ أحدًا يكره إظهار خطئه المخالف للحق، فلا عبرة بكراهته لذلك؛ فإنَّ كراهته إظهار الحق إذا كان مخالفًا لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة، بل الواجب على المسلم أن يُحبَّ ظهور الحق ومعرفة المسلمين به، سواء كان ذلك في موافقته أو مخالفته، وهذا من النصيحة للَّه ولكتابه ورسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم، وذلك هو الدين؛ كما أخبر به النبي ﷺ[1].

وقد بالغ الأئمة الورعون[2] في إنكار مقالات ضعيفة لبعض العلماء وردَّها أبلغ الرد، كما كان الإمام أحمد ينكر على أبي ثور وغيره مقالات ضعيفة تفرَّدوا بها، ويبالغ في ردِّها عليهم، هذا كله حكم الظاهر.

وأما في باطن الأمر: فإنْ كان مقصوده في ذلك مجرَّد تبيين الحق ولئلا يَغْتَرَّ الناس بمقالاتِ مَن أخطأ في مقالاته، فلا ريب أنه مثاب على قصده، ودخل بفعله هذا بهذه النية في النصح للَّه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم.

وأما إن كان مرادُ الرادِّ بذلك إظهار عيب مَن ردَّ وتنقُّصه وتبيين جهله وقصوره في العلم ونحو ذلك كان محرَّمًا، سواء كان ردُّه لذلك في وجه من رد عليه أو في غيبته، وسواء كان في حياته أو بعد موته، وهذا داخل فيما ذمه اللَّه تعالى في كتابه وتوعد عليه في الهمز واللمز، وداخل أيضًا في قول النبي ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتَّبع عوراتهم يتَّبع اللَّه عورته، ومن يتَّبع اللَّه عورته يفضحه**

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٥٥) من حديث تميم بن أوس الدَّاري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».
وروى البخاري في صحيحه (٥٧) ومسلم (٥٦) عن جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: «بايعت رسول اللَّه ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».

(٢) فانظر -رحمك اللَّه- أن هذا حال الورعين من أئمة هذا الدين؛ وهذا ما يظهر ويؤكد أهمية ذلك؛ وأنَّ المنكر على المنكرين لا يعي منهج السلف.

ولو في جوف داره»[1].

*** وهذا كلّه في العلماء المقتدى بهم في الدين، فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبَّه بالعلماء وليس منهم فيجوز بيان حالهم وإظهار عيوبهم؛ تحذيرًا من الاقتداء بهم، وليس كلامنا الآن من هذا القبيل»** اهـ.

قلت: أوضح الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر فِقْرَة من كلامه، أن ما قاله من قَبْلُ في جواز الردِّ على المخالف وإجماع السلف على أنَّ ذلك صون للشريعة والدين وحفظٌ لهما، وأنه من باب النصح لا من باب الغيبة؛ إذا أحسن المنكر النية للَّه وحده سبحانه، أنَّ هذا مُنزَّل على أئمة أهل السنة والجماعة الذين خالفوا النصوص والأدلة من غير تعمُّد منهم لذلك.

أما أهل البدع والأهواء فحالهم غير ذلك؛ لأن ابتداعهم لا يدخل في الخلاف المعتبر الذي له حظ من النظر، أو يدخل في زلَّات العلماء المخالفين للنصوص من غير قصد لمخالفة الأدلة؛ وتتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ولوي لعنق النصوص، وصرفها عن مرادها؛ رغبة منهم في الاستدلال على بدعهم وباطلهم وأهوائهم بالكذب والزور والبهتان، بل حال هؤلاء كما سيأتي في مسائل هذا الكتاب، يُضْربوا بالنعال ويوطأوا بالأقدام، ويهانوا ويذلُّوا؛ لقصدهم الخبيث في نقض عرى هذا الدين، والانتصار لمذاهبهم الفاسدة الهدَّامة للشريعة؛ وذلك ابتداء بعد إقامة الحجة عليهم وتبيينها لهم فيما يجب إقامة الحجة فيه، ثم جحودهم للحجاج وإصرارهم على المعاندة واللجاج؛ وذلك إذا علم المنكر عدم علم هؤلاء

---

(١) روى أبو داود في سننه (٤٨٨٠) وأحمد في مسنده (١٩٦٦٤)، والترمذي في سننه (٢٠٣٢) وقال: حسن غريب، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٣)، وابن حبان في صحيحه، (٥٧٦٣/ إحسان)، وأبو يعلى في مسنده (٣٩٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: حديث (٣٤٦٥): ورواه أبو يعلى بإسناد حسن.

لمسائل المنهج، ولما هم عليه من الابتداع، وأما إن علم علمهم بها وغلب على ظنه هذا؛ حيث أنزل العلماء المظنة هنا مكان المئنَّة، فلا حرج عليه، وهذا له شواهد تختلف باختلاف الحالات والأشخاص، وكذلك باختلاف نفس المسألة في شهرتها أو خفائها.

وعليه، فإنْ كان كلام ابن رجب الحنبلي على أئمة أهل السنة والجماعة، فيما خالفوا فيه بغير عمد، فما ظنُّك بهؤلاء المبتدعين الصَّادِّين عن الحق، المدافعين عن الباطل والهوى؟! فمثل هؤلاء يلزمهم أضعاف هذا، مع نزع التوقير والاحترام؛ معاملة لهم بنقيض مقصودهم.

فقد روى الآجري في الشريعة، باب ذكر هجرة أهل البدع والأهواء عن أبي إسحاق الهمداني (٢٠٩٧) أنه قال:

«من وقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام».

ورواه مرفوعًا من كلام النبي ﷺ ولم يصح مرفوعًا.

وروى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٧٣) عن إبراهيم بن ميسرة أنه قال:

«ومن وقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام».

وقال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين (٤/ ٤٨٣) وهو يتكلم عن بدعة الكلام والمتكلمين: «وقد اتَّفقت الأئمة الأربعة على ذمِّ الكلام وأهله، وكلام الإمام الشافعي ومذهبه فيهم معروف عند جميع أصحابه، وهو أنهم يُضرَبون ويُطاف بهم في قبائلهم وعشائرهم، هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام» اهـ.

ثم قال ابن رجب الحنبلي في رسالته: «الفرق بين النصيحة والتعيير» (٣/ ٤٦٩ وما بعدها) من مجموع رسائله:

«ومن عُرف منه أنه أراد بردِّه على العلماء النصيحة للَّه ورسوله، فإنه يجب

أنْ يعامل بالإكرام والاحترام والتعظيم كسائر أئمة المسلمين الذين سبق ذكرهم وأمثالهم ومن تبعهم بإحسان.

ومن عُرف منه أنه أراد بردِّه عليهم التنقُّصَ والذمَّ وإظهار العيب، فإنه يستحق أن يُقابل بالعقوبة ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه الرذائل المحرمة ويُعرف هذا القصد تارة بإقراره واعترافه، وتارة بقرائن تحيط بفعله وقوله[1]، فمن عُرف منه العلم والدين وتوقير أئمة المسلمين واحترامهم، فإنه لم يَذْكُرِ الردَّ وتبيين الخطأ إلَّا على الوجه الذي ذكره غيره من أئمة العلماء.

وأما في التصانيف وفي البحث، وجب حمل كلامه على الأوَّل، وأنه إنما قصد بذلك إظهار الدين والنصح للَّه ورسوله والمؤمنين.

ومن حمل كلامه على غير ذلك -والحال على ما ذُكر- فهو ممن يَظُنُّ بالبريء الظن السوء، وذلك الظن الذي حرَّمه اللَّه ورسوله وهو داخل في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢]» اهـ.

قلت: وهذا أيضًا خاص بأهل العلم من أهل السنة الذين خالفوا الأدلة مجتهدين متأولين، أو غير عالمين بالدليل في المسألة فقالوا برأيهم ظنًّا منهم بعدم وجود نص في المسألة.

أما المبتدعون فهم في أصل أمرهم معرضون عن النصوص إلى الآراء والعقول والأقيسة، يضربون بالأدلة عرض الحائط.

ثم بيَّن ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ حرمة إشاعة الفاحشة، وأنَّ الأصل هو الستر على

---

(١) لقد بيَّن الإمام ابن القيم في كتابه الطرق الحكمية: أنَّ القرائن أصل مهم جدًّا كدليل للحكم به على الناس وفَصْل الخطاب بينهم، وكوسيلة لإظهار الحق من الباطل، وبه كذلك يُعرف حال الرجال من الابتداع والاستنان، ولا يُنكره إلا جاحد، وما أقيمت الحجة على امرأة العزيز إلا بالقرينة كما في سورة يوسف، وسيأتي الكلام على ذلك.

عصاة المسلمين وعدم إظهار عيوبهم وعوراتهم، وهذا حقٌّ لا مرية فيه؛ فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

ومعلوم أن هذه الآية نزلت في جملة آيات أخرى في حادثة الإفك، ومن ثم يظهر المراد منها، والذي يُفسّر في ظل حديث: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قبله**» الذي مرَّ آنفًا؛ هكذا فسَّرها ابن كثير في تفسيره (**٥/ ٣٣٥**).

وعليه، فهي ليست في شأن المبتدعين، الهادمين لدين المسلمين.

فلما ذكر ابن رجب بعد ذلك المنافقين، بين أنَّ اللَّه فضحهم؛ وكشفهم، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل في التعيير: ومن أخرج التعيير: أظهر السوء وأشاعه في قالب النصح، وزعم أنه إنما يحمله على ذلك العيوب، إما عامًّا وإما خاصًّا، وكان في الباطن إنما غَرضه التعيير والأذى فهو من إخوان المنافقين الذين ذمَّهم اللَّه في كتابه في مواضع، فإنَّ اللَّه تعالى ذمَّ من أظهر فعلًا أو قولًا حسنًا وأراد به التوصُّل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن، وعدَّ ذلك من خصال النفاق، كما في سورة براءة؛ التي هتك فيها المنافقين وفضحهم بأوصافهم الخبيثة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧]. فهذه الخصال هي خصال اليهود والمنافقين، ومن كانت هذه صفته، فهو داخل في هذه الآية ولابد، فهو متوعد بالعذاب الأليم.

ومثال ذلك: أن يريد الإنسان ذم رجل وتنقُّصه وإظهار عيبه؛ لينفر الناس عنه، إما محبة لإيذائه؛ لعداوته، أو مخافته من مزاحمته على مال أو رئاسة أو غير ذلك من الأسباب المذمومة، فلا يتوصَّل إلى ذلك إلا بإظهار الطعن فيه بسبب ديني، مثل: أن يكون قد ردَّ قولًا ضعيفًا من أقوال عالم مشهور، فيشيع بين من يعظم ذلك العالم أنَّ فلانًا يُبغض هذا العالم ويذمّه ويطعن عليه، فيغرُّ بذلك كل من يعظمه، ويوهمهم أنَّ بغض هذا الرادِّ وأذاه من أعمال القرب؛

لأنه ذب عن ذلك العالم ودفع الأذى عنه، وذلك قربة إلى اللَّه تعالى وطاعة، فيجمع هذا المظهر للنصح بين أمرين قبيحين محرَّمين:

أحدهما: أن يحمل ردّ هذا العالم القول الآخر؛ على البغض والطعن والهوى، وقد يكون إنما أراد به النصح للمؤمنين وإظهار ما لا يحلّ له كتمانه من العلم.

والثاني: أن يظهر الطعن عليه ليتوصّل بذلك إلى هواه وغرضه الفاسد في قالب النُّصح والذب عن علماء الشرع» اهـ.

قلت: وهذا هو حال أهل الأهواء حقًّا.

وعليه، فلا يُشغِّب مُشَغِّبٌ بهذه الرسالة المباركة القيِّمة لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ ليطعن بها على من يتكلم فيمن يتصدَّوْن للتكلم في دين اللَّه وهم على بدع من القول والفعل والمعتقد؛ فالإجماعات المتواترة معقودة على بيان حال المبتدع المخالف لشريعة الفرقة الناجية، وأنَّ هذا البيان حقٌّ وصدقٌ وعدلٌ، وهو الذي يُتقرَّب به إلى اللَّه تعالى؛ لعظم خطورة البدعة في نقض عرى الإسلام وهدم هذه الملة وهذا الدين والشِّرْعة.

وعليه، يُعلم الفرق بَيْنَ معاملة من زلَّ -في مسألة أو مسألتين أو جملة مسائل- وهو من أهل السنة والجماعة، مخالفًا بزلله الحق والأدلة الشرعية، وبين معاملة أهل الأهواء والبدع والمحدثات الذين هم في أصولهم منحرفون عن الجادَّة معاندون للحق والأدلة.

وفي بداية كلام ابن رجب الماضي قال: «وقد قرر علماء الحديث في كتبهم الجرح والتعديل، وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة، وردُّوا على من سوَّى بينهما من المتعبِّدين ممن لا يتَّسع علمه، ولا فرق بين الطعن في رواة حفاظ الحديث والتمييز بين من تُقبل روايته منهم ومن لا تقبل، وبين تبيين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتأوَّل شيئًا على غير تأويله،

وتمسك بما لا يُتمسك به ليُحذِّر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك» اهـ.

ففي هذه الفِقْرة بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ جواز التكلم على عيوب الرواة وجرحهم وبيان ذلك، فمن الرواة من كان خارجيًّا، ومنهم من كان قدريًّا، ومنهم من كان شيعيًّا، ومنهم من كان مرجئًا، وأظهر المحدثون وعلماء الجرح والتعديل كلَّ ذلك مفصَّلًا؛ وذلك صونًا للشريعة المكرمة وحفظًا لسنة رسول اللَّه ﷺ، لأنَّ الراوي يُحدِّث عن رسول اللَّه ﷺ وهذا أمر عظيم.

ولذلك قال النوويُّ في شرحه لصحيح مسلم، على ضرورة التكلم على الرواة وبيان جرحهم (١/ ١٠٧) قال:

«بل واجب بالاتفاق؛ للضرورة الداعية لصيانة الشريعة المكرَّمة، وليس من الغِيبَة المحرَّمة، بل من النصيحة للَّه تعالى ورسوله ﷺ والمسلمين، ولم يزل فضلاء الأمة وأخيارهم وأهل الورع منهم يفعلون ذلك» اهـ.

فكلام النووي موافق جدًّا لكلام ابن رجب؛ لتعلم قصد ابن رجب من الكلام.

ثم بيَّن صورة أخرى للتكلم، وهي الكلام على من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتأول منهما شيئًا على غير تأويله؛ وهذا المخطئ غير صاحب البدعة، ثم أقام كلامه في هذه الرسالة على النوع الثاني لا الأول، وظل يدافع عن ضرورة حسن الإنكار على المخطئ أو المتأول من أهل السنة، ثم لما ذكر أهل الأهواء قال -كما مرَّ-: «فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم، فيجوز بيان جهلهم وإظهار عيوبهم تحذيرًا من الاقتداء بهم، وليس كلامنا الآن في هذا القبيل» اهـ.

فظهر بذلك أنه لا متعلق في كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ بتنزيل ما قاله في هذه الرسالة على أهل الأهواء؛ بدليل استثنائه أهل الأهواء من هذه المعاملة الكريمة.

• الفرق بين الخطأ والبدعة:

كذلك يظهر من هذه الرسالة جليًّا الفرق بين الخطأ أو الزلَّة التي تكون ممن هو ابتداءً من أهل السنة والجماعة، فيأتي بما يصدق عليه اسم البدعة ولا يبدَّع، فيسمى خطؤه هذا زللًا لا بدعة، وبين ما يحدثه أهل الأهواء الذين هم أصلًا منحرفون عن المنهج الحق، فيأتي الرجل منهم بالشيء فيبدَّع به، ويأتي الرجل من أهل السنة بنفس الشيء فلا يبدَّع به.

أما فعل الرجل من أهل السنة، فهو ابتداءً بعيد عن الانحراف العقدي، فصلاح المعتقد، وصلاح الرجل عمومًا يمنعان من حمل زللِه على الابتداع؛ إذ هو ليس من أهل الهوى والبدعة وصد الحق والانتصار للباطل.

قال الطحاوي في عقيدته (ص١٣ - ١٤):

«وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين: أهل الخبر والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يُذْكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل... فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا، ونحن برآء إلى اللَّه تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيَّنَّاه» اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٩):

«ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها، لهم مقالات قالوها باجتهاد، وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة، بخلاف من والى موافقة وعادى مخالفة، وفرَّق بين جماعة المسلمين، وكفَّر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات واستحل قتال مخالفه دون موافقه، فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات، ولهذا كان أوَّلَ من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع: الخوارج المارقون» اهـ.

وفي كلام شيخ الإسلام ضابط قوي جدًّا؛ إذْ بيَّن أنَّ من أئمة السلف من له مقالات تخالف الكتاب والسنة، ومع ذلك لا يعدُّ خطؤهم بدعة؛ لأنهم إن

عرفوا أنهم خالفوا الأدلة رجعوا بلا أدنى شك، أما أهل الأهواء فيوالون ويعادون على ذلك ولا يرجعون، فهذا غيلان إلى أنْ صلب ولم يرجع، وهذا الجعد بن درهم إلى أن ذبحه خالد بن عبد اللَّه القسري وهو مصرٌّ على قوله، وهؤلاء الخوارج الذين حاربوا أصحاب محمد ﷺ و﵃، فما رجعوا حتى قتلهم عليٌّ بن أبي طالب ﵁، موالاة ومعاداة لمن خالفهم، ولو كان معه الحق، ومنهم من رجع بعد أن أقام ابن عباس ﵄ عليهم الحجة، فهؤلاء كانوا متأوِّلين، غير متعمِّدين لمخالفة الحق، فوفِّقوا للهداية؛ فلما عرفوا الحق رجعوا.

ومن هنا كان الفرق بين من أخطأ من أهل السنة اجتهادًا، ومن خالف من أهل الأهواء ابتداعًا، أما الأول فأصل معتقده ومنهجه مستقيم صحيح، فكان خطؤه غير متعمد، وأما الثاني فمبتدع محقور معاند جاحد للحق، متبع لما تشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. ومن هنا جزم السلف بعدم رجوع المبتدع، كما سيأتي تفصيلًا في المسألة الرابعة.

أما صاحب السنة فرجَّاع إلى الحق أينما وجده.

ومن هنا لا يُقال لإمام الأئمة ابن خزيمة لما خالف في حديث الصورة: إنَّه مبتدع، حاشاه، فهو إمام من أئمة أهل السنة، ولا يقال على الحسين ﵁ إنه مبتدع لما كان منه من أمر يزيد بن معاوية، وكذلك سليمان بن صرد ﵁، وكذلك الشعبي، وسليمان بن يسار، وسعيد بن جبير، ومن كان في فتنة ابن الأشعث، فهؤلاء أئمة السلف قد اجتهدوا فأخطأوا، ولا ينسحب هذا على أهل الأهواء، ولذلك فرَّق ابن رجب آنفًا بين خطأ أئمة أهل السنة، وابتداع أهل الأهواء.

وعليه، فالإجماعات المنقولة -كما سيأتي في المسألة الرابعة- على أنَّ من ابتدع بدعة واحدة يصير مبتدعًا، لا تلزم هؤلاء أئمة أهل السنة، وتلزم من عُلم أنه من أهل الأهواء موالاة لهم ومعاداة لمن خالفهم.

وهذا ما يسمَّى الفرق: بين الخطأ والبدعة، وبين الزلل والانحراف، وهنا يحدث اللَّبس والتخليط، والقول بالموازنات، فينسحب عندهم ما يقال في أهل السنة والأئمة على مشايخ الضلالة والزيغ والهوى والتلوُّن، لذلك كثيرًا ما تجدهم يقولون: فلم لا تبدِّعون الحسين وابن الزبير والشعبي وابن جبير؟!

وهذا خلط وتلبيس، فهو يسوِّي بين قطب الضلالة سيد قطب أصل كل فتنة فيها الأمة الآن، وبين زلل الأئمة المذكورين؟!

ومن هنا تتبع أهل الأهواء ما تشابه منه، تجرَّأوا على الأكابر فقالوا: لم لا تقولون إنَّ عائشة وطلحة والزبير ومعاوية قد خرجوا على عليٍّ؟! رضي اللَّه عنهم أجمعين.

فلذلك كانت هذه الرسالة لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ مظهرة لهذا الأمر ومبيِّنة له؛ فإنَّ لأئمة أهل السنة وعلمائها التبجيل والتقدير، ولأهل الأهواء الذلَّ والتحقير، وشتَّان بين سُنِّي ومبتدع.

وفي ذلك قال الإمام البربهاري في شرح السنة (ص٤٦، فقرة: ٩):

«واعلم أنَّ الخروج من الطريق على وجهين: أما أحدهما: فرجل قد زلَّ عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير، فلا يقتدى بزلَّته، فإنه هالك.

وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضال مضل، شيطان مريد في هذه الأمة، حقيق على من يعرفه أن يُحذِّر الناس منه ويبين للناس قصته؛ لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك» اهـ.

ومن هنا تعلم، لماذا يقتنع السُّني بدليل واحد في المسألة، والبدعي لو سقت إليه جملة الأدلة ما رجع، وهل تخفى أدلة حرمة الخروج على دعاة الفتنة والتهييج؟!

وللشاطبي كلام نفيس في هذا الشأن، ذكرته في نهاية المسألة الرابعة من هذا الكتاب تحت عنوان: بيان ضلال المبتدعة واتباعهم ما تشابه منه

وتحريفهم النصوص. (الاعتصام (١/ ١٣٩).

فقال في نهايته على صاحب السنة:

«فلا يصح أن يسمَّى من هذه حاله مبتدعًا ولا ضالًّا، وإن حصل في الخلاف أو خفي عليه؛ أما أنه غير مبتدع؛ فلأنه اتبع الأدلة ملقيًا إليها حَكَمَةَ الانقياد باسطًا يد الافتقار، مؤخرًا هواه، ومقدمًا لأمر اللَّه.

وأما كونه غير ضال؛ فأنه على الجادة سلك، وإليها لجأ، فإن خرج عنها يومًا فأخطأ فلا حرج عليه، بل يكون مأجورًا حسبما بيَّنه الحديث الصحيح: «**إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران**»[1].

وإن خرج متعمدًا فليس على أنْ يجعل خروجه طريقًا مسلوكًا له أو لغيره، وشرعًا يدان به، على أنه إذا وقع الذنب موقع الاقتداء قد يسمى استنانًا، فيعامل معاملة من سنَّه كما جاء في الحديث: «**من سن سُنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها**»[2] الحديث، وقوله عليه السلام: «**ما من نفس تُقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها؛ لأنه أوَّل من سنَّ القتل**»[3].

فسمَّى القتل سُنَّة بالنسبة إلى من عمل به عملًا يقتدى به فيه، لكنه لا يسمى بدعة؛ لأنه لم يوضع على أن يكون تشريعًا، ولا يسمَّى ضلالًا؛ لأنه ليس في طريق المشروع أو في مضاهاته له» اهـ.

قلت: وعلى هذا الكلام النفيس للشاطبي، يحمل خطأ وزلل كل من خالف الأدلة من أئمة السلف والخلف من أهل السنة والجماعة، فلا يقال الحسين خرج أو سليمان بن صرد، أو ابن الزبير رضي الله عنهم، أو من زل من التابعين، كسعيد بن جبير والشعبي، وكذلك سليمان بن يسار، وغيره ممن وقع في فتنة

(١) روى البخاري في صحيحه (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٠١٧).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).

ابن الأشعث مع الحجاج .

ويؤكد ذلك ؛ ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١٩/ ١٩١-١٩٢) :

«وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ؛ لم يعلموا أنه بدعة ؛ إمَّا لأحاديث ضعيفة ظنُّوها صحيحة ، وإمَّا لآيات فهموا منها ما لم يُرد منها ، وإمَّا لرأي رأوه ، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم .

وإذا اتقى الرجل ربَّه ما استطاع ؛ دخل في قوله : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفي الصحيح أن اللَّه قال : «**قد فعلت**»[(١)]» اهـ .

● **لماذا كَتَبْتُ هذا الكتاب:**

وإني في كتابي هذا ، أردت إلقاء الضوء على مسألة مهمة من مسائل المنهج والمعتقد ، فيما يختص بأهل البدع والأهواء ، وهي ما سمَّيته -مستنبطًا في تسميتي هذه من نصوص الشرع وأقوال السلف- «التبديع بالصحبة والأُلفة وأثره في كشف المبتدعة» .

وهي مسألة في غاية الأهمية ؛ إذ بعدم التَّنَبُّه لها ، والإلمام بفقهها وفهمها يكثر الدخلاءُ على أهل السنة ، ويتستَّر كثيرٌ من أهل الأهواء بستار السُّنة ، وهُمْ وبالٌ على السنة ينقضونها ويذهبون بها سُنَّة سُنة .

فيكون التكلم في هذه المسألة بمثابة كشف النقاب والحُجُب عن الكثير من المُتستِّرين الذين أفسدوا الصفَّ وخرَّبوا الدعوة ، وشَوَّهوا صورة أهل السنة ، وما جاء من وراء دعوتهم إلَّا الخسارة والتباب والتبار ، وهو الهلاك والدمار .

كما إني أرجو -بفضل اللَّه ومَنِّه والذي لا تتم الصالحات إلا به- أن يكون من ثمار هذا البحث ، بيان الضابط الذي به يكون التبديع بالصحبة والأُلفة ، وتفصيل القول في ذلك بالكتاب والسنة والإجماع وأقوال السلف الصالحين ؛

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٢٦/ ٢٠٠) .

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة؛ نصرة لدين اللَّه، وذبًّا عن السنة، وصونًا للملة والشِّرعَةِ.

وإنما وَرَدَتْ هذه الفكرة عليَّ لما حَدَثَتْ فِتنةُ الضالِّ الْمُتَكَبِّر البيلي -الذي به سفعة من الشيطان- وأفراخه المشوَّهين، وزادت بظهور توأَمِهِ المنافح عنه؛ ليُثْبِتَ أنه منه والأول منه، فحدثت هذه الفتنة ونزلت بين صفوف طلَّاب العلم فأحدثت اضطرابًا وانقسامًا؛ قد نبع من عدم الإلمام بضوابط التبديع، والجهل بالتفريق العملي بين المبتدع والسني، والاغترار بمطلق الجهد الدعوي على أرض الواقع من غير تمييز، والنظر إلى الكمِّ دون الكيف؛ والتقصير بدراسة أمهات كتب معتقد أهل السنة والجماعة، وعلى رأسها: «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة» هذا السِّفْر الجليل، الذي هو بمثابة المنار الشامخ، والفرقان الكاشف، والبيان الفاضح لكل سُبُل أهل الأهواء والبدع وحِيَلِهِم وخداعهم؛ ومنه وقفت على أمر التبديع بالصُّحبة والأُلفة.

وليس الغرض من هذا الكتاب بيان بدعية بعض من يُنسب إلى أهل السنة زورًا وبهتانًا على وجه التحديد؛ فإنَّ هذا قصور في الطرح ونضوب في الفائدة، بل يُنبذ المبتدع ذليلًا محقورًا، إذا اهتم به أحدٌ زاد فخرًا وخيلاء، فحاله كحال الشيطان المريد كما قال العلماء، إذا سُبَّ أو لعن ازداد تكبُّرًا، وهذا الذي عليه النصوص، ولكن يُذكر تبعًا، وإنما المراد بيان حقيقة هذا التبديع وكيفيَّته الصحيحة المعتبرة بالأدلة الشرعية الصحيحة الصريحة، حتى يتبلور ذلك المنهج في قالب قواعد وضوابط بيِّنة، ثم إذا وُجدت بعد ذلك شروط التبديع بهذا المنهج عند أيِّ أحد بُدِّع ولا كرامة.

- **خطة البحث:**

ومن أَجْل ذلك أقمت هذا البحث على بضع مسائل وخاتمة:

المسألة الأولى :

«ظهور البدع ذَهَابٌ للعلم والدين ، والسكوت عليها نقض لعرى الإسلام وهدم لأصوله» .

المسألة الثانية :

«خطورة التكلُّم والجلوس مع المبتدعة» .

المسألة الثالثة :

«المبتدع بعيرٌ أجرب فأهينوه وأذِلُّوه» .

المسألة الرابعة :

«التبديع بالصحبة والأُلفة وأثره في كشف المبتدعة» .

خاتمة الكتاب ومعها :

نموذج عملي معاصر للتبديع بالصحبة والأُلْفة .

❊ ❊ ❊

● **بداية المنطلق:**

وأول ما أبدأ به :

الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه (١) ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

«**إنما الأعمال بالنِّيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى اللَّه ورسوله فهجرته إلى اللَّه ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة يتزوَّجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه**» .

قال النووي في شرح مسلم (١٣/ ٤٥) :

«أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث ، وكثرة فوائده ، وصحَّته .

قال الشافعي وآخرون : هو ثلث الإسلام ، وقال الشافعي : يدخل في سبعين بابًا من الفقه ، وقال آخرون : هو ربع الإسلام .

وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره : ينبغي لمن صنَّف كتابًا أنْ يبدأ بهذا الحديث تنبيهًا للطالب على تصحيح النية .

ونقل الخطابيُّ هذا عن الأئمة مطلقًا ، وقد فعل ذلك البخاري وغيره ، فابتدأوا به قبل كل شيء» اهـ .

● **فائدة:**

هذا الكتاب ، وإنْ كان هو في ذاته مادة علمية مكتملة في المسألة الأم المرادة من البحث ومنفصلٌ عن غيره من كتبي ؛ غير أنَّ هناك صلة قوية بينه وبين بعض كتبي في نفس سلسلة تصحيح المعتقد وهي ثلاثة كتب :

الأول : التحذير والتبيين بوجوب الردّ على المخالفين بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالحين (رقم : ٦) .

الثاني : إعلام الموقعين بجناية تنزيل الموازنات على المبتدعين (رقم : ١٣) .

الثالث: دمعة نذير في عيون التَّحْذير (رقم: ١٤).

وإن لم تقرأهم، فإنه يكفيك هذا الكتاب بإذن اللَّه من غير نقص ولا خلل، ولكنْ يحسن الإلمام بهم لمن لم يقرأهم؛ إذ أنَّ صنيع المُصَنِّفين سلفًا وخلفًا، أنهم يتكلمون في المسائل الشرعية بين التفصيل والإجمال، فما أجملوه في كتاب، يفصِّلوه في آخر، ثم يُعزُوا القارئ على موضع التفصيل؛ خشية التكرار، ومسائل هذا الكتاب الذي بين يديك قد تعددت، فما أجملته في بعضها قد فضلته في هذه الكتب الثلاثة؛ فبيَّنت ذلك للفائدة.

نسأل اللَّه ﷻ التوفيق والسداد، والهداية إلى الحق والرشاد، واللَّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

ثم بعد هذه المقدمة والتمهيد، أبدأ بحول اللَّه وقوته والذي لا تتم الصالحات إلا به في أول مسائل الكتاب والتي ندخل فيها بصحبة ما قيل مما تقدَّم وتمهَّد، فاطرق بابها مأذونًا لك على الرَّحب والسعة.

* * *

المسألة الأولى
ظهورُ البدع ذَهَابٌ للعلم والدين، والسكوت عليها نقضٌ لعرى الإسلام وهدمٌ لأصوله

قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وروى البخاري في صحيحه (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة ﵂ عن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». وفي رواية مسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**».

وأمرنا هو دين الإسلام الذي أكمله اللَّه وارتضاه لنا، من أحدث فيه وابتدع فما رضي بهذا الدين الذي ارتضاه اللَّه لنا، فذهب ليُحْدِث ويُشَرِّعَ من دون اللَّه، فكان بإحداثه وابتداعه هذا ناقضًا لعرى الإسلام مُذهبًا للعلم والدين.

روى ابن ماجه في سننه (٤٠٤٨) في كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، وأحمد في مسنده (١٧٤٠٣)، والترمذي في سننه (٢٦٥٣) وقال: (حديث حسن غريب)، والحاكم في المستدرك (٣٣٩) واللفظ له، وقال: (هذا إسناد صحيح)، ووافقه الذهبي في التلخيص فقال: (إسناده صحيح)، وقال البوصيري في الزوائد: (إسناده صحيح رجاله ثقات)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٥٣) من حديث أبي الدرداء ﵁ قال:

كنَّا مع رسول اللَّه ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: «**هذا أوان يختلس**[1] **العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء**» قال: فقال زياد

---

(١) هذه لفظة الحاكم في المستدرك، واللفظة الأخرى عند ابن ماجه: «**ذاك عند أوان**=

ابن لبيد الأنصاري: يا رسول اللَّه، وكيف يُختلس منَّا وقد قرأنا القرآن؟ فواللَّه لنقرأنَّه ولنقرئنَّه نساءنا وأبناءنا، فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد، إنِّي كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يُغني عنهم؟**».

وفي رواية ابن ماجه: «**أوليس هذه اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل، لا يعملون بشيء مما فيهما؟**»[1]. قال جبير بن نفير -راوي الحديث عن أبي الدرداء-: فلقيت عبادة بن الصامت فقلت له: ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ وأخبرته بالذي قال، قال: صدق أبو الدرداء، إنْ شئت لأحدثنك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيه رجلًا خاشعًا».

ثم أتبع ابن ماجه هذا الحديث حديثًا آخر تحت نفس باب ذهاب القرآن والعلم، من حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يَدْرُس الإسلام كما يدرس وَشْيُ الثوب، حتى لا يُدْرَى ما صيامٌ ولا صلاة ولا صدقة ولا نسك، ولَيُسْرَى على كتاب اللَّه ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا اللَّه، فنحن نقولها**». فقال له صِلَةُ: ما تُغني عنهم: لا إله

= **ذهاب العلم**»، وقد فضَّلت لفظة «يختلس»؛ لمناسبتها للسياق؛ لأنها مفسرة للفظة الذهاب؛ وذلك لأن أهل البدع والأهواء يختلسون دين المسلمين بإماتتهم للسنن، وإحيائهم للبدع، وتلبيسهم على الناس دينهم الحق، واتباعهم ما تشابه منه؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

(١) فإنك قد تجد الرجل معه القراءات العشر وتجده أشعريًّا صوفيًّا غاليًا قبوريًّا، وتجد الرجل مُجازًا في الكتب الستة، ثم إذا به مؤولًا أشعريًّا، فماذا أغنى عنهم علمهم؟! إلَّا الضلال والانحراف؟ فالعلم هو السنة، والجهل هو البدعة؛ كذا قال أبو عثمان الصابوني شيخ الإسلام.

إلا اللَّه، وهم لا يدرون ما صلاةٌ ولا صيام ولا نُسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة ثم ردَّها عليه ثلاثًا، كلُّ ذلك يُعرِض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، قال: يا صلة! تنجِّيهم من النار. ثلاثًا.».

وقوله ﷺ: «**يدرس الإسلام**» أي: يمحو ويهلك، يقال: درس الرسم دروسًا؛ أي: عفا، ودرسته الريح، والدال والراء والسين أصل واحد يدل على خفاء وخفض وعفاء، والدَّرْس: الطريق الخفي، ويقال درس المنزل، أي: عفا، والمعنى: تُنقض عرى الإسلام، حتى لا يبقى منه إلا الشهادة.

(مقاييس اللغة (٢/ ٢٦٧)، القاموس المحيط (٢/ ٢١٢)، شرح سنن ابن ماجه للسندي (٤/ ٣٨٤).

ثم أتبع ابن ماجه هذا الحديث بحديث (٤٠٥١) وهو عند الشيخين في صحيحيهما، البخاري (٧٠٦٤) ومسلم (٢٦٧٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ من ورائكم أيامًا ينزل فيها الجهل، ويُرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج**» قالوا: يا رسول اللَّه! وما الهرج؟ قال: «**القتل**».

كذلك افتتح الإمام ابن بطة العكبري كتابه: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة (١/ ٩٦) بعد الحمد والثناء على اللَّه بما هو أهله، فقال:

«عصمنا اللَّه وإيَّاكم من غلبة الأهواء ومشاحنة الآراء... (إلى أن قال:) وظهر المبتدعون، وتنطع المتنطعون، وانتشرت البدع، وانفرد كل قوم ببدعتهم، وحُزِّب الأحزاب، وخولف الكتاب...» اهـ في كلام في غاية القوة والجودة، أظهر فيه فساد الزمان، وعلاقة ذلك بانتشار البدع وإماتة الحق والسنن، ثم روى ثلاثة أحاديث، كان رابعها:

(٤) عن أبي أمامة الباهلي عن رسول اللَّه ﷺ قال:

«**لتنقضنَّ عرى الإسلام عروة عروة، فكلَّما انتقضت عروة تشبَّث الناس**

بالَّتي تليها، فأوَّلهن نقضًا الحُكم وآخرهن الصلاة».

والحديث رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٢٢) والحاكم في المستدرك (٧٨٠٣) والطبراني في الكتبير (٧٣١٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٥٥١): «رواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح» اهـ.

ثم أتبع ابن بطة هذا الحديث بحديث (٥) أنس بن مالك ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء**». وهو عند مسلم في صحيحه (٢٣٢/ ١٤٥).

ثم روى ابن بطة في الإبانة أيضًا بعدها الأثر (١١) عن ابن عباس ﵄ والذي له حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي، قال:

«ما يأتي على الناس عامٌ إلَّا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سُنَّة، حتى تحيا البدع، وتموت السنن».

والأثر رواه المروزي في السنة (١٠٠)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٣٨ - ٣٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٨٨): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون» اهـ. وهو عند الطبراني في معجمه الكبير، رقم (١٠٦١٠)، ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢٥).

وفي ضوء هذا الأثر عن ابن عباس ﵄، تُفهم حقيقة ذهاب الدين والعلم، ويُعرف ويُعقل كيف تُنقض عرى الإسلام عروة عروة، إنما يحدث هذا بإحياء البدع التي تُميت السُّنن.

ومما يؤكد ذلك، ما رواه المروزي في السنة (٩٢) قبيل أثر ابن عباس ﵄ عن عمر بن عبد العزيز ﵀ أنه قال:

«لو كان بكل بدعة يميتها اللَّه على يدي، وكل سُنة يُنْعشها اللَّه على يدي بَضْعَة من لحمي، حتى يأتي ذلك على آخر نفسي؛ لكان في اللَّه يسيرًا».

وكذلك روى بعد أثر ابن عباس ﵄ مباشرة (١٠١) عن أبي إدريس الخولاني - وقد ولد في حياة النبي ﷺ، وسمع من كبار الصحابة- أنه قال:

«لَأنْ أرى في المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها، أحبُّ إليَّ من أنْ أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها».

ولن يتمكَّن المرء من إنعاش السنن وإماتة البدع وتغييرها؛ حتى يعلم السنة من البدعة.

وها هو شيخ الإسلام الإمام القدوة أبو العباس أحمد ابن تيمية ﵀ يكشف الغطاء عن هذا المعنى؛ حيث قال في مجموع الفتاوى: (١٠/ ٣٠٠ - ٣٠٣):

«وما يظنُّه بعض الناس أنه من وُلد على الإسلام فلم يكفر قط أفضلُ ممَّن كان كافرًا فأسلم، ليس بصواب، بل الاعتبار بالعاقبة، وأيُّهما كان أتقى للَّه في عاقبته كان أفضل.

فإنه من المعلوم، أنَّ السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار الذين آمنوا باللَّه ورسوله بعد كفرهم، هم أفضل ممَّن وُلد على الإسلام من أولادهم وغير أولادهم، بل من عرف الشر وذاقه، ثم عرف الخير وذاقه، فقد تكون معرفته بالخير ومحبَّته له، ومعرفته بالشر وبغضه له، أكمل ممن لم يعرف الخير والشر ويذوقهما كما ذاقهما، بل من لم يعرف إلا الخير فقد يأتيه الشر فلا يعرف أنه شرٌّ[1]، فإما أن يقع فيه، وإما ألا يُنكره كما أنكره الذي عرفه، **ولهذا قال عمر بن الخطاب ﵁: «إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية»**.

وهو كما قال عمر؛ فإنَّ كمال الإسلام هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمام ذلك بالجهاد في سبيل اللَّه، ومن نشأ في المعروف لم يعرف

(١) ومثله قطعًا البدعة؛ فهي من أعظم الشرور التي تهلك دين الناس ودنياهم.

غيره، فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم؛ ولهذا يوجد الخبير بالشرّ وأسبابه إذا كان حسن القصد عنده من الاحتراز عنه، ومنع أهله والجهاد لهم، ما ليس عند غيره. . . .

ولهذا يوجد من ذاق الفقر والمرض والخوف أحرص على الغنى والصحة وأأمن، ممن لم يذق ذلك؛ ولهذا يقال: والضدُّ يظهر حسنه الضدُّ.

ويقال: وبضدِّها تتبين الأشياء.

وكان عمر بن الخطاب ﵁ يقول: «لست بخَبٍّ[1]، ولا يخدعني الخَبُّ».

فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشَّر، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشر، فأما من لا يعرف الشر فذاك نقصٌ فيه لا يُمدح به.

وذلك مثل من كان مشركًا أو يهوديًّا أو نصرانيًّا، وقد عرف ما في الكفر من الشبهات والأقوال الفاسدة والظلمة والشر، ثم شرح اللَّه صدره للإسلام، وعرف محاسن الإسلام، فإنه قد يكون أرغب فيه، وأكره للكفر من بعض من لم يعرف حقيقة الكفر والإسلام، بل هو معرض عن بعض حقيقة هذا وحقيقة هذا، أو مقلِّد في مدح هذا وذمّ هذا. . .

وكذلك من دخل مع أهل البدع والفجور، ثم بيَّن اللَّه له الحقَّ وتاب عليه توبة نصوحًا، ورزقه الجهاد في سبيل اللَّه، فقد يكون بيانه لحالهم، وهجره لمساويهم وجهاده لهم أعظم من غيره.

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤):
الخَبّ بالفتح: الخدَّاع، وهو الجُرْبُز، الذي يسعى بين الناس بالفساد، وقد تُكسر خاؤه» اهـ.

قال نعيم بن حمَّاد الخزاعي -وكان شديدًا على الجهمية- : «أنا شديد عليهم لأني كنت منهم»(١).

وقد قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠] نزلت هذه الآية في طائفة من الصحابة، كان المشركون فتنوهم عن دينهم، ثم تاب اللَّه عليهم، فهاجروا إلى اللَّه ورسوله، وجاهدوا وصبروا.

وكان عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما من أشد الناس على الإسلام، فلما أسلما تقدَّما على من سبقهما إلى الإسلام، وكان بعض من سبقهما دونهما في الإيمان والعمل الصالح؛ بما كان عندهما من كمال الجهاد للكفار والنصر للَّه ورسوله، وكان عمر لكونه أكمل إيمانًا وإخلاصًا وصدقًا ومعرفة وفراسة ونورًا، أبعد عن هوى النفس، وأعلى همَّة في إقامة دين اللَّه، مُقدَّمًا على سائر المسلمين، غير أبي بكر رضي اللَّه عنهم أجمعين.

وهذا وغيره مما يُبين أنَّ الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية»(٢). انتهى من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

وهو كلام من أجود وأبْيَن وأفصح ما يكون؛ لمن تدبَّره وتعقَّله وأعاد النظر فيه مرَّة ومرتين ومرَّات؛ فكما بيَّن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ إحياء البدع إماتة للسنن، وما الدين والإسلام إلا جملة من السنن؛ حيث قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ

---

(١) يتلمس المرء ذلك جليًّا في حال الإمام أبي الحسن الأشعري، الذي ظل أربعين سنة على مناهج أهل الأهواء في الاعتزال، وكان لهم إمامًا فيه، ثم صار من أعدى الناس لهم، وانظر مقدمة كتابه: الإبانة عن أصول الديانة. تحقيق: الشيخ: حماد بن محمد الأنصاري.

(٢) فلا يضرُّك انتسابك من قبل إلى أهل الأهواء؛ إذا جاءك الحق فاتبعته ونصرته فلم تجحده، ثم أظهرت عوار أهل البدع وفضحتهم وكشفت أمرهم، بل أنت حينئذ ممن يُحْمد فعله وسعيه، ويُنصر به دين الإسلام.

ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، بل قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾** [النساء: ٦٥]، وقال: **﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾** [النساء: ٨٠] في غير ذلك من الآيات.

وعليه، كانت إماتة السنن وإحياء البدع نقضًا لعرى الإسلام عروة عروة.

فكما كان ذلك كذلك؛ فكذلك تُنقض عرى الإسلام عروة عروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف البدع؛ فكان حال من يدلُّ المسلمين على البدعة وأهلها ممن تحيى به السنن.

وعلى ضوء ما قلت لربما -واللَّه أعلم- يُفسر قوله ﷺ، الذي مرَّ آنفًا: «**إن من ورائكم أيامًا ينزل فيها الجهل ويُرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج**»؛ فإنه إذا نزل الجهل اختلطت السنة بالبدعة، والحق بالباطل، والهدى بالضلال، والكفر بالإيمان، وإنما كان ذلك من رفع العلم؛ الذي يُميَّز به بين السنة والبدعة، فإذا رُفع تشابهت الأمور، واختلطت، وهذا مما يؤدي إلى كثرة الهرج.

روى الدارمي في مقدمة سننه (٩٧) عن عبد اللَّه بن الديلمي أنه قال:

«بلغني أنَّ أوَّل الدين تركًا السنة، يذهب الدين سُنة سُنة، كما يذهب الحبل قوة قوة».

وروى المروزي في السُّنة (١١٢) عن عروة قال:

«السننَ السننَ؛ فإن السنن قوام الدين».

فإذا رُفع العلم ونزل الجهل بسبب ذهاب السنن بالبدع حدثت الفتن

والاختلاط الذي يؤدي إلى كثرة القتل .

وعليه، فأمر البدعة عظيم جلل خطير، تلمح خطره في ثورات الربيع الماسوني؛ فقد صرَّح محامي سوري، أنَّ عدد القتلى منذ بداية الأمر في سوريا على التحقيق قد وصل إلى مليون قتيل، وشُرِّد سبعة ملايين سوري، ودمِّرت سوريا تدميرًا .

وقُطِّعت اليمن ست دويلات، فهلكت هلاكًا مبينًا، وبعد أنْ مات في ليبيا أكثر من مائة ألف على التحقيق، قُطِّعت دويلات، تأكلها الحروب الأهلية أكلًا، وهذه الفوضى المدمِّرة في شتى دول هذا الربيع، مع بزوغ نجم الجماعات الإرهابية في مصر واليمن وليبيا وسوريا والعراق ولبنان، وغير ذلك من المفاسد الجسيمة، والفساد المستشري العريض، كل هذا قام على كواهل البدع المخرِّبة، ابتداء ببدعة التكفير، ثم الخروج على الحكام والتحزُّب والديمقراطية والبرلمانية، إلى أن وصل الحال بالمسلمين إلى ما يعلمه القاصي والداني والصغير والكبير، ورفع الأمن، وانتشر الذعر والخوف، وسُفكت الدماء، وانتُهكت الأعراض، واستُبيحت الأموال، وما ذلك إلا من البدع وأهلها، وشؤم مخالفة السنة؛ فهو كما قال ربُّ العزة: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧٩):

«وقد اتفق أهل العلم بالأحوال: أنَّ معظم السيوف التي سُلَّت على أهل القبلة ممَّن ينتسب إليها، وأعظم الفساد الذي جرى على المسلمين ممَّن ينتسب إلى أهل القبلة، إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم» اهـ.

والمراد: المبتدعة من المسلمين؛ والواقع الحالي الأليم يؤكد ذلك .

ومن هنا، كان التحذير من البدع وأهلها أصلًا أصيلًا من أصول هذا الدين المتين، ولا يُقصِّر في إقامة هذا الأصل إلا جاهل بحقيقة الدين، أو مبتدع متستِّر لئيم .

قال العلامة الفوزان -حفظه اللَّه- في كتابه: (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرَّدّ على أهل الشرك والإلحاد) (ص٢٥)، الطبعة الرابعة:

«بيان أصول العقيدة الإسلامية إجمالًا وأدلتها:

الأصل الأول: الإيمان باللَّه عَزَّ وَجَلَّ.

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب.

الأصل الرابع: الإيمان بالرسل.

الأصل الخامس: الإيمان باللَّه واليوم الآخر.

الأصل السادس: الإيمان بالقضاء والقدر.

ويتبع هذه الأصول الأساسية أصلان آخران هما تبعٌ لما تقدم:

١- الموالاة والمعاداة على هذه الأصول.

٢- الحذر من البدع والابتداع القادح في شرط المتابعة». اهـ.

فانظر -رحمك اللَّه- إلى أهمية التحذير من البدع وأهلها **!**

ومن هنا كتبت كتابي: «التحذير والتبيين بوجوب الردّ على المخالفين، بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالحين» فصَّلت فيه هذه المسألة.

وأكتفي منه هنا بنقلين:

الأول: الإجماع الذي نقله شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣١ - ٢٣٢):

«ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين.

حتى قيل لأحمد بن حنبل : الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك ، أو يتكلم في أهل البدع؟

فقال : إذا صام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل .

فبيَّن أنَّ نفع هذا عام للمسلمين في دينهم ، من جنس الجهاد في سبيل اللَّه ؛ إذْ تطهير سبيل اللَّه ودينه ومنهاجه وشِرْعَتِهِ ودَفْعِ بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين .

ولولا من يقيمه اللَّه لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين ، وكان فساده من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء» اهـ .

وأما النقل الثاني : فما قاله الشاطبي في الاعتصام (٢/ ١٩٥ - ١٩٦) حيث قال :

«حين تكون الفرقة تدعو إلى ضلالتها ، وتزيِّنها في قلوب العوام ومن لا علم عنده ، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس ، وهم من شياطين الإنس ، فلابد من التصريح بأنهم من أهل البدع والضلالة ، ونسبتهم إلى الفِرَقِ ؛ إذا قامت الشهود على أنهم منهم ، فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم والتشريد بهم ؛ لأنَّ ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تُركوا ، أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم التنفير منهم ، إذا كان سبب ترك التعيين هو الخوف من التفرُّق والعداوة» اهـ .

ومن هنا قال قتادة فيما رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٥٦) :

«إن الرجل إذا ابتدع بدعة ينبغي لها أن تُذكر ؛ حتى تُحْذَر» .

فإنها إن لم تُذْكر ويُفصَّل القول فيها ما عُرِفَتْ ، وإذا لم تُعرف لن تُحْذَر

وتُجتنب، وإذا لم تجتنب حَيَت، وإذا حيت مات بانتعاشها سنة، وهكذا حتى تحيى البدع وتموت السنن، وتُنقض عرى الإسلام عروة عروة.

وهذا الأثر من مشكاة الكتاب والسنة؛ فقد روى البخاري في صحيحه (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

تلا رسول اللَّه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللَّه فاحذروهم**».

ويؤكد ما مرَّ في هذه المسألة: ما ذكره الشاطبي في الاعتصام (١/ ١٢٣، ١٢٤) حيث قال:

«وأما أنَّ البدعة مظنة إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الإسلام؛ فلأنها تقتضي التفريق شيعًا؛ وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم حسبنا تقدم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥] وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ - ٣٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وما أشبه ذلك من الآيات في هذا المعنى.

وقد بين -عليه الصلاة والسلام- أن فساد ذات البين هي الحالقة وأنها تحلق الدين[1].

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٩١٩) والترمذي في سننه (٢٥٠٩) وقال: هذا حديث صحيح، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤١٣١) وذكر تصحيح الترمذي له، ثم ذكره مثله (٤١٣٤) وقال: حسن. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٠٩).

وجميع هذه الشواهد تدلُّ على وقوع الافتراق والعداوة عند وقوع الابتداع، وأول شاهد عليه في الواقع قصة الخوارج إذْ عادوا أهل الإسلام حتى صاروا يقتلونهم ويدعون الكفار، كما أخبر عنه الحديث الصحيح[١].

ثم يليهم كل من كان له صولة منهم بقرب الملوك، فإنهم تناولوا أهل السنة بكل نكال وعذاب وقتل أيضًا، وحسبما بيَّنه جميع أهل الأخبار.

ثم يليهم كل من ابتدع بدعة، فإنَّ من شأنهم أن يثبطوا الناس عن اتباع الشريعة ويذمونهم، ويزعمون أنهم الأرجاس المكبين على الدنيا ويضعون عليهم شواهد الآيات في ذم الدنيا وذم المكبين عليها؛ كما يروى عن عمرو ابن عبيد أنه قال: لو شهد عندي علي وعثمان وطلحة والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم.

وعن معاذ بن معاذ قال: قلت لعمرو بن عبيد: كيف حدث الحسن عن عثمان أنه ورَّث امرأة عبد الرحمن -يعني ابن عوف- بعد انقضاء عدتها؟ فقال: إنَّ فعل عثمان لم يكن سنة.

وقيل له: كيف حدث الحسن عن سمرة في السكتتين؟ فقال: ما تصنع بسمرة!، قبح اللَّه سمرة. اهـ. بل قبح اللَّه عمرو بن عبيد.

وسئل يومًا عن شيء فأجاب فيه، قال الراوي: قلت: ليس هكذا يقول أصحابنا. قال: ومن أصحابك لا أبًا لك؟ قلت: أيوب ويونس وابن عون والتيمي. قال: أولئك أنجاس أرجاس، أموات غير أحياء. اهـ.

فهكذا أهل الضلال يسبون السلف الصالح لعلَّ بضاعتهم تنفق ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر الخوارج، فقال مما قال فيهم: «**يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان**».

وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج، فهُمْ أوَّل من لعن السلف الصالح، وكفَّر الصحابة، رضي اللَّه عن الصحابة، ومثل هذا كله يورث العداوة والبغضاء». اهـ.

قلت: ومن هنا تجد المبتدعة وأفراخهم يسبون من أهل السنة علماءهم ممَّن يذب عن السنة، ويتكلم في أهل البدعة، ويظهر ما هم عليه من الضلال، ويدل الناس على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، بل تجدهم يشوِّهون دعوة أهل السنة، ويسفهون أئمتهم، ويظهرونهم في صورة الإجرام كما نسبوا للإمام محمد بن عبد الوهاب أنه رأس الإرهاب المتمثل في الحركة الوهَّابيَّة، وغير ذلك من الكذب، وكلما كان العالم شديدًا على أهل البدع والأهواء، كان سبُّه وشتمه أشد أعظم، وممن كان له الحظ الأوفر من ذلك، إمام الجرح والتعديل وربيع السنة العلامة بن هادي المدخلي حفظه اللَّه ورعاه، وبارك في قلمه ولسانه وطلابه ودعوته، وجعل له لسان صدق في الآخرين، وتجدهم في غاية الوقاحة وسوء الأدب، وهم يتعمَّدون تسفيههم وتحقيرهم حتى يُطفأ نور السُّنة، ويهدم إنكار المنكر، وهذا مما يكشف عداوة وبغضاء أهل الأهواء لأهل السنة.

واعلم في الجملة، أنه لا يطعن في من يدافع عن السنة ويظهر البدعة وأصلها إلا صاحب هوى، واجعل ذلك على ذُكر منك هنا، فإذا كان ذلك كذلك، فاصحب معك هذه المسألة مع المقدمة وادخل بها على بوَّابة المسألة الثانية واطرق بابها يُفتح لك بهما.

* * *

المسألة الثانية
خطورة التكلم والجلوس مع المبتدعة

اعلم أولًا -هداك اللَّه للسُّنة والحق- أنَّ المبتدع قد أوتي فصاحة وبيانًا وجدلًا؛ يُلبِّس به الحق بالباطل والسُّنة بالبدعة والهدى بالزيع والضلال، ومن هنا حذَّر السلف أجمعون من مجالستهم والاستماع إليهم.

فقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٨٦٤) عن أنس بن مالك ﵁ قال:

كنَّا مع أبي موسى الأشعري في مسير له، فسمع الناس يتحدثون، فسمع فصاحة، فقال: «ما لي يا أنس؟ هلمَّ فلنذكر ربنا، فإنَّ هؤلاء يكاد أحدهم أن يفري الأديم بلسانه». أي: يقطع الجلد بلسان كالسكين من شدة فصاحته، وهذا ظاهر أنه في معرض الذم الشديد، مع أنَّ أبا موسى ﵁ من أهل العلم؛ فقد بعثه النبي ﷺ مع معاذٍ لليمن ليقيم عليهم حجة اللَّه، ويعلمهم دينهم، ومع ذلك قال ما قال.

وروى الإمام القدوة ابن بطة العُكبري، في كتابه الأم والمرجع لمعرفة الفرقة الناجية: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة (٤٨٢) تحت باب: التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب، ويفسدون الإيمان، روي عن عثمان البَتِّيِّ أنه قال:

«كان عمران بن حِطَّان من أهل السنة، فقدم غلامٌ من أهل عمانَ مثل البغلِ، فَقَلَبَهُ في مقعد» أي: في جلسة وقعدة واحدة قَلَبَه، وإلى أيِّ مذهب قَلَبَه؟! إلى مذهب كلاب أهل النار، فكان خارجيًّا. (انظر: تهذيب التهذيب، ترجمة: ٥٩٧٧).

وروى أيضًا ابن بطة في الإبانة تحت الباب المذكور (٥٤٠)، وكذلك الحاكم في المستدرك (١٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين،

وقال الذهبي في التلخيص: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه الترمذي في سننه (٢٠٢٧) وقال: حديث حسن، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٣٨٦٦) وقال المناوي في فيض القدير: قال الترمذي: حسن، وقال الحافظ العراقي في أماليه: حديث حسن، وقال الذهبي: صحيح، من حديث أبي أمامة ﵁، عن النبي ﷺ قال:

«**الحياء والعِيُّ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**».

قال الترمذي بعد الحديث: «والعيُّ قلة الكلام، والبذاء هو الفحش في الكلام، والبيان هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسِّعون في الكلام ويتفصَّحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي اللَّه» اهـ.

وقال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣/ ٥٤٨):

« (**الحياءُ والعِيُّ**): أي: سكون اللسان تحرزًا عن الوقوع في البهتان لا عيّ القلب، ولا عيّ العمل، ولا عيّ اللسان لخلل (**شعبتان من**) شعب (**الإيمان**) أي: أثران من آثاره، بمعنى أنَّ المؤمن يحمله الإيمان على الحياء، فيترك القبائح حياء من اللَّه، ويمنعه من الاجتراء على الكلام، شفقًا من عثر اللسان، والوقيعة في البهتان، (**والبذاء**) هو ضد الحياء، وقيل: فحش الكلام، (**والبيان**) أي: فصاحة اللسان، والمراد به هنا ما يكون فيه إثم من الفصاحة كهجو أو مدح بغير حق (**شعبتان من النفاق**) بمعنى أنهما خصلتان منشؤهما النفاق.

والبيان المذكور هو التعمق في النطق، والتفاصح، وإظهار التقدم فيه على الغير تيهًا وعجبًا.

قال الطيبيُّ: إنما قوبل العيُّ في الكلام مطلقًا بالبيان الذي هو التعمُّق في النطق والتفاصح وإظهار التقدم فيه على الناس؛ مبالغة لذم البيان، وأنَّ هذه القضية غير مضرة بالإيمان، مضرة ذلك البيان» اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤].

قال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٨١):

«أي: كانوا أشكالًا حسنة وذوي فصاحة وألسنة، إذا سمعهم السامع يصغى إلى قولهم وبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخَوَر والهلع والجزع والجبن» اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره (١٨/ ٩٥):

«قال ابن عباس: كان عبد اللَّه بن أُبيٍّ وسيمًا جسيمًا صحيحًا صبيحًا ذَلِق اللسان، فإن قال، سمع النبي ﷺ مقالته.

وصفه بتمام الصورة وحسن الإبانة» اهـ.

وروى البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب: إنَّ من البيان لسحرًا (٥٧٦٧) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما:

أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا الناس، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن من البيان لسحرًا**، أو: **إنَّ بعض البيان سحرٌ**».

وفي رواية للحديث عند أبي داود، كتاب الأدب، باب: ما جاء في الشعر (٥٠٠٤) قال التابعي الكبير المخضرم الثقة صعصعة بن صوحان:

«صدق رسول اللَّه ﷺ، أما قوله: «**إنَّ من البيان لسحرًا**» فالرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بالحُجج من صاحب الحق؛ فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق» اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٢٦٢):

«قوله: (فخطبا، فعجب الناس لبيانهما)، قال الخطابي: البيان اثنان: أحدهما: ما تقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان، والآخر: ما دخلته

الصَّنعة بحيث يروق للسامعين ويستميل قلوبهم، وهو الذي يُشبَّه بالسحر؛ إذا خلب القلب وغلب على النفس حتى يحوِّل الشيء عن حقيقته ويصرفه عن جهته[١]، فيلوح للناظر في معرض غيره.

وهذا إذا صُرف إلى الحق يُمدح، وإذا صرف إلى الباطل يُذم.

قال: فعلى هذا، فالذي يُشَبَّه بالسحر منه هو المذموم.

وتُعقِّب بأنه لا مانع من تسمية الآخر سحرًا؛ لأن السحر يطلق على الاستمالة، وقد حمل بعضهم الحديث على المدح والحث على تحسين الكلام وتحبير الألفاظ، وهذا واضح.

وحمله بعضهم على الذم لمن تصنَّع في الكلام، وتكلَّف لتحسينه، وصرف الشيء عن ظاهره، فشبه بالسحر الذي هو تخييل لغير حقيقة؛ وإلى هذا أشار مالك؛ حيث أدخل الحديث في (المُوَطَّأ) في: (باب ما يكره من الكلام بغير ذكر اللَّه) (ثم ذكر الحافظ قول صعصعة المذكور آنفًا ثم قال):

وحمل الحديث على هذا صحيح، لكن لا يمنع حمله على المعنى الآخر إذا كان في تزيين الحق؛ وبهذا جزم ابن العربي وغيره من فضلاء المالكية.

وقال ابن بطال: أحسن ما يقال في هذا: إنَّ هذا الحديث ليس ذمًّا للبيان كُلّه، ولا مدحًا؛ لقوله: **(من البيان)**، فأتى بلفظة **(من)** التي للتبعيض، وكيف يذمّ البيان وقد امتنَّ اللَّه به على عباده حيث قال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٢- ٣]. انتهى.

(قال الحافظ): والذي يظهر أنَّ المراد بالبيان في الآية المعنى الأول الذي

(١) قلت: وهذا هو المعنيُّ هنا في هذا الباب، فأهل البدع والأهواء مدلسون كذابون، متبعون للمتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ويسعون جاهدين إلى جمع الناس حولهم وتكثير سوادهم بالباطل والزور والوهم والخديعة، ومن أجل ذلك يبذلون الجهد والأموال الطائلة.

نبَّه عليه الخطابي، لا خصوص ما نحن فيه.

وقد اتفق العلماء على مدح الإيجاز؛ والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة، وعلى مدح الإطناب في مقام الخطابة بحسب المقام، وهذا كله من البيان بالمعنى الثاني.

نعم الإفراط في كل شيء مذموم، وخير الأمور أوسطها» اهـ.

كذلك قال الإمام الحنبلي ابن رجب في رسالته: (فضل علم السلف على علم الخلف) (ص١٩ - ٢٠):

«وقد فُتن كثير من المتأخرين بهذا، فظنوا أنَّ من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض.

وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم، كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه.

وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم.

وكذلك تابعو التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم.

فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنَّه نور يُقذف في القلب يَفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصّلة للمقاصد.

وقد كان النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصارًا[١].

ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٩٧٧) بلفظ: «**بُعثت بجوامع الكَلِم**». وعند مسلم (٥٢٣) بلفظ: «**أُعطيت جوامع الكلم**».

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٤٧٧) ومسلم (١٧١٥) بلفظ: «**إن اللَّه كره لكم ثلاثًا**: =

وقد قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه لم يبعث نبيًّا إلا مبلِّغًا، وأن تشقيق الكلام من الشيطان**» يعني أنَّ النبي إنما يتكلم بما يحصل به البلاغ، وأما كثرة القول وتشقيق الكلام فإنه مذموم.

وكانت خطب النبي ﷺ قصدًا[1]، وكان يحدث حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه[2]، وقال: «**إنَّ من البيان لسحرًا**» وإنما قاله في ذمِّ ذلك لا مدحًا له كما ظن ذلك من ظنه، ومن تأمل سياق ألفاظ الحديث قطع بذلك.

وفي الترمذي وغيره من حديث عبد اللَّه بن عمرو مرفوعًا: «**إنَّ اللَّه ليُبغض البليغ من الرجال الذي يتخلَّل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها**»[3].

وفي المعنى أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة على عمر وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم من الصحابة.

فيجب أن يعتقد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم كان أعلم ممن ليس كذلك.

وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، وهذا تنقيص عظيم بالسلف الصالح وإساءة

= **قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**».

(١) رواه مسلم في صحيحه (٨٦٦) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كنت أُصلي مع رسول اللَّه ﷺ، فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا».

(٢) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها (٢٤٩٣) قالت: «إنَّ رسول اللَّه ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم».

(٣) رواه الترمذي في سننه (٢٨٥٣) باب في الفصاحة والبيان من كتاب الأدب، وقال: حديث حسن، ورواه أبو داود في سننه (٥٠٠٥) قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٧٠): «هو الذي يتشدق في الكلام ويُفخِّم به لسانه، ويلُفُّه كما تلُفُّ البقرة الكلأ بلسانها لفًّا» اهـ.

ظن بهم ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

ولقد صدق ابن مسعود في قوله في الصحابة أنهم أبرُّ الأمة قلوبًا، وأعمقها علومًا، وأقلها تكلفًا، وروي نحوه عن ابن عمر أيضًا، وفي هذا إشارة إلى أنَّ من بعدهم أقل علومًا وأكثر تكلفًا.

وقال ابن مسعود أيضًا: إنكم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه، فمن كثر علمه وقلَّ قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم.

ولقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقه[1]. وأهل اليمن أقلُّ الناس كلامًا وتوسعًا في العلوم، لكنَّ علْمهم علم نافع في قلوبهم، ويعبِّرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك». اهـ.

والأثران اللذان ذكرهما ابن رجب عن ابن مسعود رضي الله عنهما، أما الأول: فقد رواه الآجُرِّيُّ في الشريعة (٢٠٣٨) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٨٥) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال:

«من كان مستنًّا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحيَّ لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلُّها تكلفًا، قوم اختارهم اللَّه لصحبة نبيِّه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

وكذلك روى عبد الرزَّاق في المصنف (٢٠٧٤٢) في كتاب الفتن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

«كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير،

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٣٠٢) ومسلم (٥٢).

يتخذها الناس سنة، إذا تُرك منها شيء قيل: تركت السنة». قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟! قال: «إذا كثرت جهَّالكم، وقلَّت علماؤكم، وكثرت خطباؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلَّت أمناؤكم، وتُفقه لغير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة».

وروى الإمام ابن بطة العُكْبَريُّ في كتابه الإبانة: طائفة كبيرة من الآثار تحت باب: التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان.

وكذلك روى الإمام الحافظ أبو القاسم هبة اللَّه الطبري اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحت باب: ما روي عن النبي ﷺ في النهي عن مناظرة أهل البدع، وجدالهم، والمكالمة معهم والاستماع إلى أقوالهم المحدثة وآرائهم الخبيثة.

منها، ما رواه ابن بطة في الإبانة (٤١٣) عن عبد اللَّه الرومي قال:

جاء رجل إلى أنس بن مالك وأنا عنده فقال: يا أبا حمزة، لقيت قومًا يكذِّبون بالشفاعة وبعذاب القبر، فقال: «أولئك الكذابون فلا تجالسهم».

وروى اللالكائي (٢٣٩) عن ثابت بن عجلان قال:

«أدركت أنس بن مالك وابن المسيب والحسن البصري وسعيد بن جبير والشعبي وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وطاووس ومجاهد وعبد اللَّه ابن أبي مُليكة والزهري ومكحول والقاسم -أبا عبد الرحمن- وعطاء الخراساني وثابت البناني والحكم بن عتيبة وأيوب السختياني وحماد ومحمد ابن سيرين وأبا عامر -وكان قد أدرك أبا بكر الصديق- ويزيد الرقاشي وسليمان ابن موسى: كلهم يأمروني في الجماعة، وينهوني عن أصحاب الأهواء».

وروى اللالكائي (٢٣٣) عن الحسن البصري قال:

«أهل الهوى بمنزلة اليهود والنصارى».

كذلك روى اللالكائي (٢٣٣) عن محمد بن سيرين قال :

«كانوا يرون أهل الردَّة، وأهل تقحُّم الكفر : أهل الأهواء» .

أي : كان الصحابة ﷺ يرون أن أهل الردة من المسلمين هم أهل البدع والأهواء، وأنَّ البدعة بريد الكفر والردَّة .

وروى اللالكائي (٢٣٥) عن محمد بن سيرين أيضًا أنه قال :

«لو خرج الدجَّال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء» .

وروى اللالكائي (٢٣٨) عن سفيان الثوري قال :

«البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، والمعصية يُتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها» .

وروى اللالكائي عن الحسن البصري (٢٤٠) أنه قال :

«لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم» .

وروى اللالكائي عن أبي قِلابة (٢٤٤) أنه قال :

«لا تجالسوهم، ولا تخالطوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم كثيرًا مما تعرفون» وفي رواية ابن بطة في الإبانة (**٣٧٤**) قال أبو قلابة : «لا تجالسوا أهل الأهواء. . . » .

وروى ابن بطة في الإبانة (٢٦٥) عن خصيف قال :

«أشهد أنَّ في التوراة مكتوبًا : يا موسى لا تجالس أهل الأهواء؛ فيمرضوا عليك قلبك بما يرديك، فيدخلك النار» .

وروى ابن بطة عن أبي الجوزاء (٤٧٢) قال :

«والذي نفسي بيده، لأن تمتلئ داري قردة وخنازير، أحب إليَّ من أن يجاورني أحد من أهل الأهواء، ولقد دخلوا في هذه الآية : ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ

ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]» .

وروى ابن بطة (٣٧٩) في الإبانة عن إبراهيم النخعي قال :

«لا تجالسوا أهل الأهواء، فإني أخاف أن ترتد قلوبكم» .

وروى عنه أيضًا أنه قال : (٣٨٠) :

«لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم تذهب بنور الإيمان من القلوب، وتسلب محاسن الوجوه، وتورِّث البغضة في قلوب المؤمنين» .

وروى ابن بطة (٣٨٥) عن قتادة في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧] **قال :**

«لا تبتدعوا، ولا تجالسوا مبتدعًا» .

قلت : فمن الغلوِّ في الدين مجالسة المبتدعين، والغلو الطريق الذي أشرك به اليهود والنصارى، فاحذروا الغلو والمبتدعة والجلوس معهم .

وروى ابن بطة عن مجاهد (٣٨٧) أنه قال :

«لا تجالسوا أهل الأهواء، فإنَّ لهم عرَّة كعرَّة الجرب» .

وروى ابن بطة (٣٩٠) عن مصعب بن سعد قال :

«لا تجالس مفتونًا؛ فإنه لن يخطئك منه إحدى اثنتين : إما أنْ يفتنك فتتابعه، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه» .

ويوضح ذلك، ما رواه ابن بطة (٣٧٢) عن أبي قلابة قال :

«لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإنكم إنْ لم تدخلوا فيما دخلوا فيه، لبَّسوا عليكم ما تعرفون» .

وروى ابن بطة (٣٩٥) عن عمرو بن قيس المُلائي قال :

«كان يقال : لا تجالس صاحب زيغ فيزيغ قلبك» .

وروى ابن بطة (٣٩٦) عن إسماعيل بن عبيد اللَّه قال:

«لا تجالس ذا بدعة فيمرض قلبك، ولا تجالس مفتونًا فإنه مُلقَّن حُجَّته».

وروى ابن بطة في الإبانة أيضًا (٣٩٧) عن صالح بن مسمار قال:

«خرجت من البصرة على عهد عبيد اللَّه بن زياد، فسمعت المشيخة الأولى، وهم يتعوَّذون باللَّه من الفاجر عليم اللسان». وعبيد اللَّه بن زياد الكندي من التابعين، والمشيخة الأولى: التابعون، وصالح بن مسمار من أتباع التابعين كما قال ابن حبان في الثقات (٦/ ٤٦٥).

وروى ابن بطة (٣٩٩) عن مُفضَّل بن مُهلهل، قال:

«لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعته حذرته، وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو جلسته، ثم يدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك، فمتى تخرج من قلبك؟!».

وروى ابن بطة عن الحسن (٤٠١) قال:

«لا تمكن أذنيك من صاحب هوى فيمرض قلبك، ولا تُجيبنَّ أميرًا، وإنْ دعاك لتقرأ عنده سورة من القرآن، فإنك لا تخرج من عنده إلا بشر مما دخلت».

وروى ابن بطة (٤٠٤) عن هشام بن حسَّان قال:

قال رجل لابن سيرين: إنَّ فلانًا يريد أن يأتيك، ولا يتكلم بشيء، قال: «قل لفلان: لا، ما يأتيني، فإنَّ قلب ابن آدم ضعيف، وإني أخاف أن أسمع منه كلمة، فلا يرجع قلبي كما كان».

وروى ابن بطة (٤٠٥) عن معمر قال:

كان ابن طاوس جالسًا، فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم قال: فأدخل

ابن طاوس إصبعيه في أذنيه، وقال لابنه: «أي بني، أدخل إصبعيك في أذنيك واشدد، ولا تسمع من كلامه شيئًا» قال معمر: يعني: أنَّ القلب ضعيف.

وروى ابن بطة (٤٠٦) عن عبد الرزَّاق قال:

قال لي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى: «أرى المعتزلة عندكم كثيرًا؟ قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم، قال: أفلا تدخل معي الحانوت حتى أكلِّمك؟ قلت: لا، قال: لم؟ قلت: لأن القلب ضعيف والدين ليس لمن غلب».

وروى ابن بطة (٤٠٧) عن سلَّام بن أبي مطيع:

أنَّ رجلًا من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ قال أيوب -وجعل يشير بإصبعيه-: «لا ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمة».

سبحان ربي العظيم! فانظر -رحمك اللَّه- إلى صنيع الأئمة، ثم يغامر طلاب العلم بالانبساط إلى أهل البدع والأهواء، يقتلون أنفسهم وهم لا يشعرون، إنَّ الأمر جدّ خطير، فانجُ بدينك ولا تهلك نفسك، ولا تُحسن الظنَّ بنفسك، فتقع في شباك الصيَّادين فتخسر الدنيا والدين.

وروى ابن بطة (٤٣٩) عن محمد بن النضر الحارثيِّ قال:

«من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نُزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه».

وروى أيضًا (٤٤٠) عن يوسف بن أسباط قال:

«ما أبالي سألت صاحب بدعة عن ديني أو زنيت».

وروى عن محمد بن واسع (٤٤١) قال: قال لي مسلم بن يسار:

«لا تمكن صاحب بدعة من سمعك فيصبَّ فيها ما لا تقدر أنْ تخرجه من قلبك».

وروى عن الفضيل (٤٤٢) أنه قال:

«صاحب بدعة لا تأمنه على دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه؛ ومن جلس إلى صاحب بدعة أورثه اللَّه العمى، يعني: في قلبه».

وروى عن الفضيل أيضًا (٤٤٥) أنه قال:

«لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة».

وروى عن سفيان الثوري (٤٥٢) أنه قال:

«ما من ضلالة إلا لها زينة، فلا تُعرِّض دينك إلى من يُبغِّضه إليك».

وروى (٤٥٣) عن محمد بن النَّضر الحارثي أنه قال:

«إنَّ أصحاب الأهواء قد أخذوا في تأسيس الضلالة وطمس الهدى فاحذروهم».

وروى (٤٥٤) عن مغيرة قال: قال محمد بن السائب:

«قوموا بنا إلى المرجئة نسمع كلامهم»، قال: فما رجع حتى علقهُ».

وروى في الفضيل (٤٥٦) أنه قال:

«لا تجلس مع صاحب هوى؛ فإني أخاف عليك مقت اللَّه».

وروى ابن بطة (٤٦١) عن مقاتل بن محمد قال: قال لي عبد الرحمن ابن مهدي:

«يا أبا الحسن، لا تجالس هؤلاء أصحاب البدع؛ إن هؤلاء يفتون فيما تعجز عنه الملائكة».

وروى (٤٦٢) عن خالد بن دينار قال:

قلت لمحمد بن سيرين: إني رأيت في المنام مصابًا يعدُو في أثري، وأنا هارب منه، فأدركني، فشقَّ قميصي، قال: «بئس الرؤيا وأخبثها شق القميص، هذا رجل صاحب هوى يدعوك إلى بدعته، يريدك أن تتبعه، أما إنه

مجنون، بل هو شر من الجنون».

هذا هو حال وديدن أهل الأهواء ودُّوا لو تبتدعون كما ابتدعوا فتكونون سواء.

وروى عن الفضيل (٤٧٥) أنه قال:

«أحب أن يكون بيني وبين المبتدع حصن من حديد».

وروى ابن بطة عن أحمد بن سنان (٤٧٩) أنه قال:

«إذا جاور الرجلُ صاحبَ بدعة، أرى له أن يبيع داره إن أمكنه، وليتحوَّل، وإلا أهلك ولده وجيرانه».

قال ابن بطة العكبري:

«فنزع ابن سنان بحديث النبي ﷺ قال: «**من سمع منكم بالدجال فلينأ عنه** -قالها ثلاثًا- **فإنَّ الرجل يأتيه، وهو يرى أنه كاذب؛ فيتَّبعه لما يرى من الشبهات**»[1].

(٤٨٠) حدثنا . . . عن عمران قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**من سمع منكم بالدجَّال فلينأ عنه ما استطاع؛ فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فما يزال به حتى يتبعه لما يرى من الشبهات**».

قال ابن بطة: «هذا قول الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق، فاللَّه اللَّه معشر المسلمين، لا يحملنَّ أحدًا منكم حسن ظنِّه بنفسه، وما عهده من معرفته بصحة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء، فيقول: أداخله لأناظره، أو لأستخرج منه مذهبه؛ فإنهم أشدُّ فتنة من الدجَّال؛ وكلامهم ألصق من

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٩٨٨٨)، وأبو داود في سننه (٤٣١٩) والحاكم في المستدرك (٨٦١٥، ٧٦١٦) وقال: «صحيح الإسناد على شرط مسلم»، والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٣١٩).

الجرب، وأحرق للقلوب من اللهب، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبُّونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والردِّ عليهم، فما زالت بهم المباسطةُ وخفيُّ المكر ودقيق الكفر، حتى صبوا إليهم» اهـ.

فروى (٤٨١) عن مغيرة قال:

خرج محمد بن السائب، وما كان له هوًى فقال: «اذهبوا بنا حتى نسمع قولهم»، فما رجع حتى أخذ بها وعلقت قلبه».

وروى (٤٨٣) عن عبد اللَّه بن البسري قال:

«ليس السنة عندنا أنْ تردّ على أهل الأهواء، ولكنَّ السنة عندنا أن لا تكلم أحدًا منهم».

وروى (٤٩١) عن ابن عون قال:

«من يجالس أهل البدع أشدّ علينا من أهل البدع».

وروى (٤٩٥)، (٤٩٨) عن يحيى بن أبي كثير والفضيل بن عياض أنهما قالا:

«إذا لقيت مبتدعًا في طريق، فخذ في طريق آخر».

وروى (٥٠٣) عن هشام عن أيوب السختياني:

أنه دُعي إلى غسل ميِّت، فخرج مع القوم، فلمَّا كشف عن وجه الميت عرفه، فقال: «أَقْبِلُوا قِبَلَ صاحبكم، فلست أغسِّله؛ رأيته يماشي صاحب بدعة».

وروى الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٦٣)، عن سفيان الثوري أنه قال:

«مَنْ سمع مِنْ مبتدع، لم ينفعه اللَّه بما سمع، ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة».

وروى أبو عبد اللَّه محمد بن وضَّاح القرطبي (١٢١) في البدع والنهي عنها عن سفيان الثوري قال:

«من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أنْ يقع في قلبه شيء فيزلّ به فيدخله النار، وإما أنْ يقول: واللَّه ما أبالي ما تكلموا، وإني واثق بنفسي، فمن أمن اللَّه على دينه طرفة عين سلبه إياه».

وروى اللالكائي (١١٦٨) عن مجاهد قال:

«يبدءون فيكونون مرجئة، ثم يكونون قدرية، ثم يصيرون مجوسًا».

فهذا سيل جرَّار من بعض أقوال السلف في اجتناب أهل البدع والأهواء اجتنابًا كليًّا، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

وقول الإمام القدوة ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ الذي مرَّ آنفًا، لما أفتى أحمد بن سنان الرجل إذا جاور مبتدعًا أن يبيع داره، قال:

«فنزع ابن سنان بحديث: «**من سمع منكم بالدجال فلينأ به**».

فهذا يُبين أنَّ قول ابن بطة في المبتدعة وأهل الأهواء أنهم دجاجلة، وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فقد روى الدارمي في مقدمة سننه (٢١٣) عن عبد اللَّه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:

«لغير الدجَّال أخوف عليكم من الدجال، أمور تكون من كبرائكم، فأيُّما مُريَّة أو رُجيل أدرك ذلك الزمان، فالسمت الأول، السمت الأول، فإنكم اليوم على الفطرة» وفي رواية: «على السنة».

وذلك لأنَّ الدجال معلوم لا خفاء فيه، فقد بين ﷺ للأمة صفته وأمره، وحذَّرهم منه، فلا خوف منه على المؤمن؛ إنما الخوف من أمور تكون من الكبراء والعلماء والمشايخ ومشاهير الدعاة، لا يظهر فيها وجه البدعة والباطل إلا بكثير نظر وتأمل، وعلم بقواعد الدين وأصوله، ولذلك فإذا اختلطت الأمور واشتبهت، فعليكم بالأمر الأول والهدي الأول، الأمر

العتيق، مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﵃، فإن المبتدعة يكذبون ويدلسون، فإنَّ مذهب التقيَّة ليس خاصًّا بالروافض فحسب، بل عاملًا مشتركًا عند كل المبتدعة.

● **النجاة في اتباع أهل السنة:**

روى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢) عن ابن عباس ﵄ أنه قال:

«واللَّه ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحبَّ إلى الشيطان هلاكًا منِّي». فقيل: وكيف؟ فقال: «واللَّه إنه لتحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إليَّ فإذا انتهت إليَّ قمعتها بالسُّنة فتُردّ عليه». ومن هنا؛ يُبغض المبتدعة أهل السنة وعلماءها ويسبونهم ويسفهونهم؛ تعمدًا لذلك.

وروى اللالكائي (٢٩) عن أيوب السختياني أنه قال:

«إني أُخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأني أفقد بعض أعضائي».

وروى (٣٠) عن عبد اللَّه بن شوذب أنه قال:

«إن من سعادة الحدث والأعجمي أنْ يوفقهما اللَّه لعالم من أهل السنة».

وفي رواية (٣١):

«إنَّ من نعمة اللَّه على الشاب والأعجمي إذا نسك أنْ يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها».

وروى ابن بطة في الإبانة (٥٢٣) عن عمرو بن قيس الملائي قال:

«إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، فإذا رأيته مع أهل البدع فايْأس منه؛ فإنَّ الشاب مع أوَّل نشوئه».

وروى اللالكائي (٣٢) عن يوسف بن أسباط قال:

«كان أبي قدريًّا، وأخوالي روافض، فأنقذني اللَّه بسفيان».

وروى عن أيوب (٣٣) أنه قال:

«إذا كان الرجل صاحب سُنة وجماعة، فلا تسأل عن أي حال كان فيه».

وروى اللالكائي (٤٢) عن الفلكيِّ قال:

«كان عمَّار بن رُزيق، وسلمان بن قرم الضبي، وجعفر بن زياد الأحمر، وسفيان الثوري -أربعتهم- يطلبون الحديث، وكانوا يتشيعون، فخرج سفيان إلى البصرة، فلقي أيوب وابن عون، فترك التشيع».

وروى اللالكائي عن عبد الرحمن بن مهدي (٤٣) أنه قال:

«الناس على وجوه: فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري».

فكان سفيان الثوري فيه بعض التشيع -وليس الرفض الخبيث- ثم أصبح إمامًا في الفقه والحديث؛ فكان أعلم بأهل الأهواء من غيره.

وهذه الآثار وغيرها كثير، لا خلاف بين السلف فيها، بل نقل عليها الإجماع أكثر من واحد، منهم شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني في كتابه: عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣١٥ - ٣١٦) قال:

«ويتحابُّون في اللَّه ويتباغضون فيه، ويتقون الجدال في اللَّه والخصومات فيه، ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويقتدون بالسف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين، والحق المبين، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صَوْن آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرَّت بالآذان وقرَّت في القلوب ضَّرت، وجرَّت إليها من الوساوس والخطرات ما جرَّت،

وفيه أنزل اللَّه ﷻ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]. . . وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقدهم جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم، بل أجمعوا عليها كلها» اهـ.

وأقول: هل هناك أمر أخطر من أن يتقرب الرجل إلى ربه -بزعمه- بتقتيل المسلمين وتفجيرهم، وسفك دمائهم، وهو يظن أنه بعمله ذلك شهيد مغفور له، مع النبيين والصديقين والصالحين؟! فهذا الفكر المشوَّه هو ثمرة الابتداع، والتي ظهر منها الخروج والتكفير ثم التقتيل الذي هو النتاج الطبيعي للتكفير، وفساد الدين والدنيا، والمصائب الكبرى، والخطوب العظام.

روى الآجري في الشريعة (٢١١١) تحت باب: هجرة أهل البدع والأهواء: عن سلام بن أبي مطيع قال:

كان أيوب يسمي أهل البدع خوارج ويقول: «إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف».

وروى الآجري أيضًا (٢١٠٦) عن أبي قلابة قال:

«ما ابتدع رجل قط بدعة إلا استحل السيف». ومن هاهنا هلك الناس.

وممَّا يبيِّن خطورة البدعة، نقل الإجماع على أنها شرٌّ من الذنوب الكبيرة كشرب الخمر والزنا والظلم؛ فقد قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧٠ - ٤٧١):

«ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنَّ هذه البدع المغلَّظة شرٌّ من الذنوب التي يعتقد أصحابها أنها ذنوب؛ وبذلك مضت سنة رسول اللَّه ﷺ حيث أمر بقتال الخوارج عن السُّنة، وأمر بالصبر على جور الأئمة وظلمهم والصلاة خلفهم مع ذنوبهم، وشهد لبعض المصرِّين من أصحابه على بعض الذنوب أنه يحب اللَّه ورسوله ونهى عن لعنته، وأخبر عن ذي الخويصرة وأصحابه -مع عبادتهم- أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة، وقد قال

تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]» اهـ.

وقال ابن تيمية في موضع آخر في المجموع (٢٠/ ١٠٤ - ١٠٥):

«أهل البدع شرٌّ من أهل المعاصي الشهوانية بالسُّنة والإجماع... ثم إنَّ أهل المعاصي ذنوبهم فعل بعض ما نهوا عنه، من سرقة أو زنا أو شرب خمر، أو أكل مال بالباطل.

وأهل البدع ذنوبهم ترك ما أُمِرُوا به من اتباع السنة وجماعة المؤمنين» اهـ.

روى ابن بطة في الإبانة (٤٦٩) عن خويل، ختن شعبة بن الحجاج، قال:

«كنت عند يونس بن عبيد، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد اللَّه، تنهانا عن مجالسة عمرو بن عبيد، وقد دخل عليه ابنك؟ قال: ابني؟ قال: نعم، فتغيظ يونس، فلم أبرح حتى جاء ابنه، فقال: «يا بنيَّ، قد عرفت رأي عمرو ابن عبيد، ثم تدخل عليه!» فجعل يعتذر، فقال: كان معي فلان، فقال يونس: «أنهى عن الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ولئن تلقى اللَّه ﷻ بهذا أحب منْ أنْ تلقاه برأي عمرو بن عبيد وأصحاب عمرو» يعني القدرية. قال سعيد بن عامر -راوي الحديث-: ما رأينا رجلًا قط كان أفضل منه. يعني: يونس».

وروى ابن بطة أيضًا (٤٥٤) عن أبي بكر بن عياش، قال:

قال مغيرة: قال محمد بن السائب: قوموا بنا إلى المرجئة نسمع كلامهم»، قال: فما رجع حتى علقه» أي: صار مرجئًا وعلق به مذهبهم.

وروى ابن بطة في الإبانة (١٢٣٥، ١٢٣٦) عن سعيد بن جبير قال:

«المرجئة يهود القبلة»، وقال: «مَثَلُ المرجئة مَثَلُ الصابئين».

قال ابن حزم في الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل (٤/ ٢٢٧):

«واعلموا -رحمكم اللَّه- أنَّ جميع فِرَق الضلالة لم يُجْر اللَّه على أيديهم

خيرًا، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفع بهم للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرِّقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين.

فاللَّه اللَّه أيها المسلمون، تحفظوا بدينكم، الزموا القرآن وسنن رسول اللَّه ﷺ، وما مضى عليه الصحابة ﷺ، والتابعون، وأصحاب الحديث عصرًا عصرًا، الذين طلبوا الأثر، وودَّعوا كلَّ محدثة، فكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» اهـ.

وذكر الشاطبي في الاعتصام (١/ ٩١) عن مقاتل بن حيَّان قال:

«أهل الأهواء آفة أمة محمد ﷺ؛ إنهم يذكرون النبي ﷺ وأهل بيته، فيتصيَّدون بهذا الذكر الحسن عند الجهال من الناس فيقذفون بهم في المهالك، فما أشبههم بمن يسقي الصبر باسم العسل، ومن يسقي السمَّ القاتل باسم الترياق، فأبصرهم، فإنك إنْ لا تكن أصبحت في بحر من الماء، فقد أصبحت في بحر من الأهواء، الذي هو أعمق غورًا، وأشدُّ اضطرابًا، وأكثر صواعق، وأبعد مذهبًا من البحر وما فيه، فتلك مطيَّتك التي تقطع بها سفر الضلال: اتباعُ السُّنَّة».

كذلك ذكر في الاعتصام (١/ ١٠١):

«سُئل حمدون القصَّار: متى يجوز للرجل أن يتكلم على الناس؟ فقال: إذا تعيَّن عليه أداء فرض من الفرائض في علمه، أو خاف هلاك إنسان في بدعة يرجو أنْ ينجِّيه اللَّه منها».

وعلى ضوء ما صُحبته معك من المقدمة وطرقت به باب المسألة الأولى والثانية، فَفُتح لك، وارتقيت بما صحبته معك فيهما إلى نهايتهما، فاجعل ذلك مفتاح الدخول في الثالثة؛ فإنَّ الصلة بينهنَّ قوية، إذْ المقدمة والأولى والثانية بذورٌ للثالثة، وبشفاعتهن يُفتح لك، فادخل مأمونًا عليك.

المسألة الثالثة
المبتدعُ بعيرٌ أَجْرَبُ فَأَهِينُوه وأَذِلُّوه

روى اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١١٣٦ - ١١٣٨)، عن سليمان ابن يسار:

أنَّ رجلًا من بني تميم يقال له صبيغ بن عسل، قدم المدينة، وكانت عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر، فقال: اللهم مكنِّي منه، فبعث إليه، وقد أعدَّ له عراجين النَّخل، فلما دخل عليه جلس، قال: «من أنت؟» قال: أنا عبد اللَّه صبيغ، قال عمر: وأنا عبد اللَّه عمر، وأومأ عليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجَّه، وجعل الدم يسيل عن وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد -واللَّه- ذهب الذي أجد في رأسي. فقال: والذي نفس عمر بيده، لو وجدتك محلوقًا لضربت رأسك، ألبسوه ثيابًا واحملوه على قتب، ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيبٌ ثم يقول: إنَّ صبيغًا ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعًا في قومه حتى هلك، وكان سيد قومه».

ثم روى (١١٤٠) عن زرعة قال:

«لقد رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحلق، فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه، فإن جلس إلى قوم لا يعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين».

فكان هذا منهم إجماعًا على إذلال المبتدع وإهانته، لا يُعلم لهم فيه مخالف ألبتة.

كذلك روى اللالكائي (١١٤١) عن ابن عيينة عن عمرو قال:

«بينا طاووس يطوف بالبيت، لقيه معبد الجهني، فقال له طاووس: أنت

معبد؟ قال: نعم. قال: فالتفت إليه طاووس فقال: هذا معبد فأهِينوه».

وروى (١١٤٢) عن مرحوم بن عبد العزيز قال:

سمعت أبي وعمِّي يقولان: سمعنا الحسن ينهى عن مجالسة معبد الجهني ويقول: «لا تجالسوه؛ فإنه ضال مُضل».

وروى عن ابن أبي رواد (١١٤٧) قال:

«قد جاءكم ثور، اتقوا لا ينطحنَّكم بقرنيه- يعني: ثور بن يزيد-»، قال: «وكان قدريًّا».

وروى (١١٤٨) عن محمود بن غيلان قال: سمعت مؤمل بن إسماعيل يقول:

«أحرِّج على كل مبتدع جهمي أو رافضي أو قدري أو مرجئ سمع منِّي، واللَّه لو عرفتكم لم أحدِّثكم».

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٩٤) عن مجاهد قال:

«لا تجالسوا أهل الأهواء، فإنَّ لهم عرَّة كعرَّة الجرب».

وقد مرَّ في المقدمة مذهب الشافعي في أن المبتدعة من المتكلمين يُضربون ويطاف بهم ويُفضَحون.

وروى ابن بطة (٤١٧) عن يونس بن حلبس، عن أبي إدريس الخولاني:

أنه رأى رجلًا يتكلم في القدر، فقام إليه فوطئ بطنه ثم قال: «إن فلانًا لا يؤمن بالقدر فلا تجالسوه»، فخرج الرجل من دمشق إلى حمص.

وروى ابن بطة أيضًا (٤١١) عن عمرو بن ميمون قال:

«إياكم وهذه الزعانف، الذين رغبوا عن السنة وخالفوا الجماعة».

وروى ابن بطة (٦٠١) عن محمد بن واسع أنه قال على بعض المبتدعة:

«إنما أنتم جرب، إنما أنتم جرب».

وقد مرَّ كلام عثمان البَتِّيِّ كما قال:

«كان عمر بن حطان من أهل السنة، فقدم غلام من أهل عمان مثل البغل فقلبه في مقعد».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية (ص٣١):

«المسألة التي يُضلّل فيها المخالف مسألة الخلافة؛ وذلك أنهم يؤمنون أنَّ الخليفة بعد رسول اللَّه ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله» اهـ.

وروى ابن بطة (٦١٣) في الإبانة عن الشعبي قال:

«ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ فخذ، وما حدثوك سوى ذلك فألقه في الحُشِّ»، وفي رواية: «فبُل عليه».

وروى مسلم في مقدمة صحيحه، باب: بيان أنَّ الإسناد من الدين، عن محمد بن سيرين قال:

«إنَّ هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».

● إجماع السلف على وجوب إذلال المبتدعة:

وتسفيه أهل البدع وإهانتهم أمر مجمع عليه عند السلف الكرام؛ فقد قال أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٣١٦):

«واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم، وإخزائهم، وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرُّب إلى اللَّه بمجانبتهم ومهاجرتهم» اهـ.

وإذا نظر الباحث بالتتبع والاستقراء لأدلة الشرع لوجد ما يُستدل به لهذا الإجماع؛ فقد روى مسلم في صحيحه في المقدمة (٧) عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم».

فجعل ﷺ من يكذب على رسول اللَّه ﷺ دجالًا مخادعًا خبيثًا، وهذه إهانة شديدة؛ لأن مسلم رواه تحت باب: (النهي عن الرواية عن الضعفاء».

ولقد اشترك كل من الكفار وأهل البدع في جزء من هذا التحقير والإهانة، ولقد أقرَّ النبي ﷺ قول أبي بكر، **فيما رواه البخاري في صحيحه (٢٧٣١) في قصة صلح الحديبية، وفيه**: قال عروة بن مسعود للنبي ﷺ: «وإني لأرى أوباشًا من الناس خليقًا أنْ يفرُّوا ويَدَعوك، فقال له أبو بكر الصديق: امصصْ بظر اللات أنحن نفرُّ عنه وندعه؟!».

قال الحافظ في فتح الباري (٥/ ٣٦٨):

«والبَظْر -بفتح الموحدة وسكون المعجمة-: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات: اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها.

وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأم -أي: امصص بظر أمك، وهذا بشع- فأراد أبو بكر المبالغة في سبِّ عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه؛ وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبة المسلمين إلى الفرار.

وفيه جواز النطق بما يُستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق ذلك» اهـ.

فبين هذا الكلام في شرح الحديث أنَّ جواز النطق بما يُستبشع من الألفاظ ليس بخاصٍّ بالكفار فحسب؛ لبيان العلة، وهي إرادة الزجر لمن بدا منه ما يستحق ذلك، وهو من المبتدعة أعظم، الذين يفسدون الدين باسم الدين؛ وكذلك لأنه

لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فنزل منزلة العموم في المقال.

وروى أحمد في المسند (١٥٩٧، ١٥١٧) وهو في صحيح الجامع للألباني (٣٦٧٠) عن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«سيكون قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر من الأرض».

وهذا تشبيه مهين جدًّا لهؤلاء الذين يشترون بآيات اللَّه ثمنًا قليلًا.

ومن مشكاته قال شريك فيما رواه ابن بطة (٤٧٧) في الإبانة أنه قال:

«لأن يكون في كل قبيلة حمارٌ، أحب إلي من أن يكون فيها رجل من أصحاب أبي فلان، رجل كان مبتدعًا».

بل عدَّ السلفُ أولئك المبتدعة مجانين؛ فقد روى ابن بطة (٤٧٠) في الإبانة الكبرى عن أيوب السختياني أنه قال:

«ما عَدَدْتُ عمرو بن عبيد عاقلًا قط».

وهو من رءوس المعتزلة كما قال ابن بطة.

وقد مرَّ في المسألة السابقة ما رواه ابن بطة (٤٦٢) عن محمد بن سيرين أنه قال على المبتدع: «أما إنَّه مجنون، بل هو شرٌّ من الجنون».

وروى أبو بكر الخلال في السنة (١٥٣٤) عن المغيرة قال:

«مرَّ إبراهيم التيمي بإبراهيم النخعي فسلم عليه فلم يرد عليه».

كذلك روى الخلَّال (١٥٣٦) عن أبي المختار قال:

شكى ذرٌّ سعيد بن جبير إلى أبي البختري الطائي، قال: «مررت فسلمت فلم يرد عليَّ» فقال أبو البختري لسعيد بن جبير، فقال سعيد بن جبير: «إنَّ هذا يجدد كل يوم دنيا، لا واللَّه لا كلمته أبدًا».

وروى أحمد في المسند (١٩٠٣١) وابن ماجه في سننه (١٧٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٩٠٣٩)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١٢٣٢) من

حديث ابن أبي أوفى وأبي أمامة ﷺ، وكذلك رواه عبد الرزاق في المصنف (١٨٦٦٣) والآجري في الشريعة (٦٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٩٠٤) وصححه الألباني، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال:

«**كلاب النار** -قالها ثلاثًا- (وفي رواية): **كلاب جهنم، شر قتلى تحت ظل السماء، ومن قتلوا خير قتلى تحت ظل السماء**» وفي رواية: «**خير قتلى من قتلهم وقتلوه**». وفي رواية: «**الخوارج كلاب أهل النار**».

وهذا أشد ما يكون من الإهانة والإذلال، فأهل النار ابتداء أذلَّاء، ثم الخوارج كلاب هؤلاء الأذلَّاء، فإذلال فوق إذلال ومهانة على أخرى.

فلقد جُمع لأهل الأهواء على ألسنة السلف جُملة من التحقير والإهانة، فقالوا عليهم: حمير، وبغال، وكلاب، وبقر، ومجانين، وكذابون، وشياطين مردة، وجَرَب، وهزء، وقردة، وخنازير، وأن يُبال على كلامهم، أو يُلقى في الحُشِّ، وأنهم دجاجلة، وغير ذلك من الإهانات.

كذلك روى الإمام أحمد في مسنده (٢١١٣١ - ٢١١٣٥)، والطبراني في الكبير (٥٣٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٨٢): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات» من حديث أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ قال:

«**من تعزى بعزاء الجاهلية فأَعِضُّوه ولا تُكَنُّوا**».

وفي رواية عند أحمد: «أنَّ رجلًا اعتزى بعزاء الجاهلية فأعضَّه أبي ابن كعب ولم يكنه، فنظر إليه فقال للقوم: إني قد أرى الذي في أنفسكم، إني لم أستطع إلا أن أقول هذا، إن رسول اللَّه ﷺ أمرنا **إذا سمعتم من يعتزى بعزاء الجاهلية فأَعِضُّوه ولا تكنوا**» وفي رواية: «**فأعضُّوه بهَنِ أبيه ولا تكنوا**».

قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٢٤٠):

«هنن: الهَنُ والهنُّ بالتخفيف والتشديد: كناية عن الشيء لا تذكره باسمه، ومنه الحديث: «**أعوذ بك من شرِّ هَنِي**» يعني الفرج، ومنه الحديث:

«**من تعزى. . .**» أي: قولوا له: عَضَّ أيْر أبيك. ومنه حديث أبي ذر: «**هَنٌ مثل الخشبة غير أني لا أكْنِي**» يعني: أنه يفصح باسمه، فيكون قد قال: أيْرٌ مثل الخشبة، فلما أراد أن يحكي كنَى به» اهـ.

وهذا من أشد ما يكون، أن تقول لرجل خالف السنة في العزاء وابتدع أمرًا من أمور الجاهلية، فتقول له: اذهب فعضَّ فرج أبيك.

قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢١٠ - ٢١١):

«التعزِّي: الانتماء والانتساب إلى القوم، وهو أنْ يقول: يا لَفُلان، أو: يا للأنصار، أو: ياللمهاجرين» اهـ.

روى البخاري في صحيحه (٤٩٠٧)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر ابن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال:

كنَّا في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمعها اللَّه ورسوله ﷺ قال: «**ما هذا؟**» فقالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي ﷺ: «**دعوها فإنها منتنة**» وفي رواية مسلم: قال ﷺ: «**ما بال دعوى الجاهلية؟ دعوها فإنها منتنة**».

فمن قال بمثل هذا فالسنة في حاله أن يُقال فيه هذا القول الشديد.

وقد مرَّ في المسألة السابقة، ما رواه ابن بطة (**٤٧٢**) في الإبانة عن أبي الجوزاء قوله: «والذي نفسي بيده! لأن يمتلئ داري قردة وخنازير، أحب إلي من أن يجاورني أحد من أهل الأهواء».

والذي قاله هذا من مشكاة القرآن؛ فقد قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

وإنما مُسخ بعض بني إسرائيل قردة وخنازير؛ بسبب ابتداعهم ما تحايلوا به على تحليل ما حرَّم اللَّه، لما اعتدوا في السبت، الذي نهوا فيه عن الصيد، واحتالوا على نهي اللَّه فمُسخوا.

وروى الخلَّال في السنة (١٥٣٨) عن أبي قلابة رأى رجلًا مع مبتدع فقال:

«**ما لك ولهذا الهُزْءِ الهُزْء**».

كذلك، فقد مرَّ في المسألة الأولى وصف الشاطبي للمبتدعة بالشياطين حيث قال في الاعتصام (٢/ ١٩٥):

«وهم من شياطين الإنس» اهـ.

وكذلك في المقدمة، حيث وصفهم الإمام البربهاري كما في شرح السنة (ص: ٤٦) فقال على المبتدع:

«فهو ضالٌّ مُضلٌّ شيطان مريد في هذه الأمة حقيق على من يعرفه أن يحذر الناس منه» اهـ.

- **أهل الأهواء والمبتدعة كذَّابون:**

فليس الكذب مذهبًا للروافض الشيعة من المبتدعة فحسب، بل هو عامل مشترك ومذهب لكافة أهل الأهواء، غير أنَّ أشدهم في الكذب الروافض حمير اليهود.

روى أبو نعيم في الحلية (١٣٣٢٠) عن الشافعي أنه قال:

«لم أر أحدًا من أصحاب الأهواء أشهد بالزور من الرافضة».

روى ابن بطة في الإبانة (٤١٣) عن أنس بن مالك ﵁ أنه قال على من أنكر الشفاعة وعذاب القبر:

«أولئك الكذَّابون فلا تجالسوهم».

وروى ابن بطة (٤٢٢) عن إبراهيم النخعي أنه قال على من عارض القرآن والسنة بالعقل والرأي:

«لا تجالس بني فلان؛ فإنهم كذابون».

وروى الخطيب البغدادي في: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٦١) عن ابن لهيعة قال:

«سمعت شيخًا من الخوارج ورجع، وهو يقول: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمرًا صيَّرناه حديثًا».

وروى ابن بطة في الإبانة (١٢٣٣) عن شريك قال لما ذَكَر المُرجئة:

«هم أخبث قوم، حسبك بالرافضة خبثًا، ولكنَّ المرجئة يكذبون على اللَّه ﷻ».

وروى الطبراني في الكبير (٨/ ١٠٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٧) والخلَّال في السنة (١٥٢٥، ١٥٢٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٢٧٣): «رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات»، وقال: «رواه البزار وأبو يعلى ورجاله رجال الصحيح» اهـ:

عن عبد اللَّه بن مسعود وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يطبع المؤمن على كل خلّة غير الخيانة والكذب**».

وفي رواية: «**على كل خلق ليس الخيانة والكذب**».

وروى أبو بكر الخلَّال في السنة (١٥٤٣) عن يونس قال:

كان الحسن يقول: «شرٌّ داء خالط قلبًا» يعني: الهوى».

وروى أبو بكر الخلال (١٥٤٠) في السنة عن ابن عون قال:

كنا جلوسًا في مسجد بني عدي، وفينا أبو السوار العدوي، فدخل معبد الجهني فقال أبو السوار:

«ما أدخل هذا مسجدنا؟ لا تدعوه يجالسنا، ولا تدعوه يجلس إلينا».

ومثال كذبهم: ما قاله المهيِّجون للأمة على الخروج والثورات: إنكار للمنكر، ومحاربة للظلم، وثورة أدهشت العالم، وهي نكبة أهلكت العالم.

فهذا حكم السلف في أهل الأهواء على اختلاف مذاهبهم وبدعهم، والذي نفسي بيده، لقد جرَّبت الكذب بنفسي على أهل الأهواء، حتى إنهم ليحلفون باللَّه زورًا وبهتانًا، بل التكفيريون والقطبيُّون والحزبيُّون منهم يجوِّزون الكذب لأنفسهم ولأتباعهم؛ على زعم أنَّ مصلحة الدعوة تقتضي ذلك؛ كما اقتضت مصلحة الدعوة -على زعمهم الباطل- الخوض في الكفر والشرك؛ كوسيلة لتطبيق شرع اللَّه، حيث أجازوا لأنفسهم خوض الديمقراطية ولوازمها ومقتضياتها للتمكين في الأرض؛ وجهلوا أنَّ ما عند اللَّه لا يُنال إلا بطاعته!!!.

وواللَّه لقد جعل رءوس أهل الأهواء في بلادنا الكذب على أهل السنة -المُسَمَّوْن عندهم بالمداخلة- جعلوه دينًا يتقرَّبون به إلى اللَّه؛ فسبحان اللَّه العظيم!!.

فاعلموا هذا غفر اللَّه لكم، أهل الأهواء والبدع كذَّابون، ولا تغرَّنَّكم مشيختهم ودعوتهم ونشاطهم وجهدهم؛ فهم مراوغون روغان الثعالب، فإذا شعر المرء منهم أنه سيُفضح وتظهر بدعته، كذَّب ودلَّس وناضل وكافح من أجل ستر أمْرِه وكتمانه عن الناس، فصاروا يرقصون بلحاهم، ويبيعون دينهم، ويتلوَّنون في اليوم والليلة مرات كتلوُّن الحرباء.

- **أبو لحية الرَّقاص:**

فهل يخفى على طالب العلم حال أبي لحية الرقَّاص صاحب قناة النقمة؛ حيث خرج على الناس -قبحه اللَّه- فرقص بلحيته للإخوان فقال: إني أتقرب إلى اللَّه بحبي لسيد قطب، ورقص بلحيته لهم رقصة أخرى -إذ الرجل محترف

الرقص النِّفاقي الشرقي والغربي بكل أنواعه- فقال: ليس بيننا وبين الشيعة خلاف عقدي، بل هو خلاف فكري!!! وإذا نزل الخلاف في بوتقة الخلاف فلا خلاف، ومِن قبلُ سبَّهم وكفَّرهم ولعَنهم؛ ولكنَّ الحبكة الدرامية لمَشاهِدِه الفنية التمثيلية تقتضي ذلك.

ثم لمَّا سقط الإخوان وهلكوا، خرج على مسرحه ليرقص رقصة بلحيته للجيش والشرطة والحكومة في بلادنا، حتى قال عليه حرقوصُ صديق عمره: «ذيل الكلب عمره ما ينعدل».

وليس هذا هو حال القبحان فحسب، بل هو مثال لكل مبتدع ساقط هالك، متلوّن رقَّاص، فكلهم: أبو لحية الرقَّاص، تجدهم في أقطار الأرض بالداخل والخارج، ولكنك تجدهم بكثرة في مكان عن آخر؛ على حسب جهدهم وطاقتهم وما توحي به إليهم شياطينهم؛ كما قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

- **أبو جميلة الجد الدَّميم وذريَّته المشوَّهون:**

روى ابن بطة الإمام القدوة في كتابه منار السالكين: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة (٤١٦) عن أبي إدريس الخولاني قال:

«ألا إنَّ أبا جميلة لا يؤمن بالقدر، فلا تجالسوه».

وفي رواية (٤١٧):

إن أبا إدريس رأى رجلًا يتكلم في القدر، فقام إليه فوطئ بطنه ثم قال:

«إنَّ فلانًا لا يؤمن بالقدر فلا تجالسوه» فخرج الرجل من دمشق إلى حمص».

فخرج مطرودًا منبوذًا، ذليلًا؛ وذلك لمَّا كانت راية السُّنة مرفوعة عزيزة،

وراية البدعة منكوسة ذليلة .

فهذا أبو جميلة القبيح الموطوء بالأقدام والنعال المبتدع المنبوذ هذا ، وذريته المبتدعون المشوَّهون في كل زمان ومكان ، والذين أفسدوا العباد والبلاد .

• أبو ثمود المنكوس:

وأبو جميلة الدَّميم هذا ، هو جَدُّ أبي ثمود المنكوس على رأسه من بعد ما جاءته البيِّنات ، ومن ذريَّتهما أبو لحية الرقاص وأفراخه .

فقد روى الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (١٦٢) عن أبي بكر بن أحمد النسفي المقرئ قال :

«كان مشايخنا يسمُّون أبا بكر بن إسماعيل أبا ثمود ؛ لأنه كان من أصحاب الحديث ، فصار من أصحاب الرأي ؛ يقول اللَّه تعالى : ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾» .

ذرية بعضها من بعض ، وخَلْفٌ يخلف خَلْفًا ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات : ٥٣] .

ذرية دميمة منبوذة مشوَّهة المعتقد ، يرث بعضها بعضًا ميراث الذل والهوان ، والابتداع والعصيان ، والتلون والكتمان ، والكذب والبهتان ، وردّ الحق والطغيان ، وتسفيه أهل السنة وزلزلة الأصول والأركان ، واللَّه المستعان وعليه التكلان ، في أن يظهر أمر أبي جميلة وذريته الدميمة في كل زمان ومكان .

• المبتدعون أفَّاكون آثمون لا يرعوون وللدين هادمون:

قال إمام أهل الشام الأوزاعي ، كما في تاريخ دمشق لابن عساكر (٦/ ٣٤٥ - ٣٤٦) :

«اتقوا اللَّه يا معشر المسلمين، واقبلوا النَّاصحين وعظة الواعظين، واعلموا أنَّ هذا العلم دين، فانظروا ما تصنعون، وعمَّن تأخذون، وبمن تقتدون، ومن على دينكم تأمنون؛ فإن أهل البدع كلهم مبطلون أفاكون آثمون، لا يرعوون، ولا ينظرون، ولا يتقون، ولا مع ذلك يؤمنون على تحريف ما يسمعون، ويقولون ما لا يعلمون، في سرد ما ينكرون، وتسديد ما يفترون، واللَّه محيط بما يعملون.

فكونوا لهم حذرين، متَّهمين رافضين مجانبين، فإن علماءكم الأولين، ومن صلح من المتأخرين، كذلك كانوا يفعلون ويأمرون، واحذروا أنْ تكونوا على اللَّه مظاهرين، ولدينه هادمين، ولعراه ناقضين موهنين؛ بتوقير لهم، أو تعظيم أشد من أن تأخذوا عنهم الدين، وتكونوا بهم مقتدين، ولهم مصدِّقين موادعين مؤالفين، معينين لهم بما يصنعون على استهواء من يستهوون، وتأليف من يتألَّفون من ضعفاء المسلمين، لرأيهم الذين يرون، ودينهم الذي يدينون، وكفى بذلك مشاركة لهم فيما يعملون».

وقال أبو الوفاء بن عقيل شيخ الحنابلة في كتابه الفنون (١/ ١٠٩) فقرة (١٣٠):

«كما لا يحسن في سياسة الملك، العفو عمَّن سعى على الدولة بالخروج على السلطان، لا يحسن أيضًا أنْ يُعفى عمَّن ابتدع في الأديان؛ لأن فساد الأديان بالابتداع كفساد الدول بالخروج على الملك والاستتباع؛ فالمبتدعون خوارج الشرائع» اهـ.

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٣٧٢):

«ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة للبدعة، فصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذَّروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان؛ إذْ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشدُّ» اهـ.

وقد عقد الإمام الآجري بابًا في كتاب الشريعة سمَّاه: «عقوبة الإمام والأمير لأهل الأهواء» (٤/ ٢٣٥ - ٢٤١) ذكر فيه جملة من الآثار وصل بعضهم إلى قتل المبتدعة وصلبهم، مع ذكره لاستحسان السلف ذلك جدًّا من الأمراء، كما بيَّنت ذلك في كتابي: «التحذير والتبيين».

- **المبتدعون ضلَّالٌ متلوِّنون شاكُّون مشككون في اللَّه:**

روى ابن بطة في الإبانة (٥٧٧) عن حذيفة بن اليمان أنه قال لأبي مسعود الأنصاري رضي الله عنهما:

«إنَّ الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وتُنكر ما كنت تعرف، وإيَّاك والتلون في الدين؛ فإن دين اللَّه واحد».

وروى ابن بطة عن إبراهيم النخعي (٥٨٠) ناقلًا عن الصحابة أنهم:

«كانوا يرون التلوُّن في الدين من شك القلوب في اللَّه».

وقد رأينا كل الحزبيين والقطبيين كيف تلونوا في فتاويهم قبل الثورة وبعدها تلوُّنًا جذريًّا.

- **الذلُّ والهوان من سمات أهل الأهواء:**

روى اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٨٨) عن أيوب السختياني أنه قال:

«كان أبو قِلابة إذا قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] يقول:

«هذا جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة أن يذله اللَّه».

قال الشاطبي في الاعتصام (١/ ١٣٠):

«وأما أن المبتدع يُلقى عليه الذل في الدنيا والغضب من اللَّه تعالى؛ فلقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى

﴿ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] حسبما جاء في تفسير الآية عن بعض السلف.

ووجهه ظاهر؛ لأن المتخذين للعجل إنما ضلوا به حتى عبدوه، لمَّا سمعوا خواره، ولِمَا ألقى إليهم السامري فيه، فكان في حقهم شبهة خرجوا بها عن الحق الذي كان في أيديهم؛ قال اللَّه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ فهو عموم فيهم وفيمن أشبههم؛ من حيث كانت البدع كلها افتراء على اللَّه؛ حسبما أخبر في كتابه في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

فإذًا كل مبتدع في دين اللَّه فهو ذليل حقير بسبب بدعته، وإن ظهر لبادي الرأي في عزَّة وجبريَّة، فهم في أنفسهم أذلَّاء» اهـ.

ومن هنا تعلم إرجاف المرجفين الذين يطعنون في أهل السنة؛ لمَّا يُغلظون القول على أهل البدع والأهواء، فهذا حال سلفكم، قد أجمعوا على تحقير وإذلال أهل الأهواء.

وقال البغوي في شرح السنة (١/ ١٢٦):

«وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنن على هذا مجتمعين متفقين على معاداة أهل الأهواء ومهاجرتهم» اهـ.

وقال الطحاوي في عقيدته (ص٣٢) في آخر الكتاب:

«ونسأل اللَّه تعالى أنْ يثبتنا على الإيمان ويختم لنا به ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية... من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة، ونحن منهم برآء، وهم عندنا ضلال أردياء، وباللَّه العصمة والتوفيق» اهـ.

فإذا كان ذلك كذلك، وقد أَلْمَمْتَ بالمسائل الثلاث السابقات؛ على ضوء المقدمة والتمهيدات، فاجعل ذلك كُلَّه، سُلَّم الوصول إلى المأمول، وهو لبُّ الموضوع وأصل البحث والمشروع، والمسألة الأم، والثمرة الأهمّ، فادخل فيها على رِسْلِك، واجعل ما صحبت من أخواتها إليها رُسُلَك.

المسألة الرابعة
التبديع بالصحبة والألفة،
وأثرُه في كَشْفِ المُبتَدِعة

وهي المسألة الأم في هذا الكتاب وعليها مداره

وبهذا نطق الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالحين: إنَّ الرجل يُبدّع بِأُلْفَتِه وصُحْبَتِهِ لأهل البدع والأهواء؛ ودليل ذلك على التفصيل الآتي:

● أولًا: الدليل من القرآن:

قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان في تأويل آي القرآن (٥/ ٣٨٢ - ٣٨٣):

«قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ يعني: وقد نزَّل عليكم أنكم إن جالستم من يكفر بآيات اللَّه ويستهزئ بها، وأنتم تسمعون فأنتم مثلهم، يعني: فأنتم إنْ لم تقوموا عنهم في تلك الحال مثلهم في فِعْلِهم؛ لأنكم قد عصيتم اللَّه بجلوسكم معهم، وأنتم تسمعون آيات اللَّه يكفر بها ويستهزأ بها، كما عصوه باستهزائهم بآيات اللَّه، فقد أتيتم من معصية اللَّه نحو الذي أتوه منها، فأنتم إذًا مثلهم في ركوبهم معصية اللَّه، وإيتائكم ما نهاكم اللَّه عنه.

وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع، من المبتدعة، والفسقة، عند خوضهم في باطلهم.

وبنحو ذلك كان جماعة من الأمة الماضية يقولون تأوُّلًا منهم هذه الآية،

إنه مراد بها النهي عن مشاهدة كل باطل عند خوض أهله فيه.

(١٠٦٣٥) حدثنا . . . . عن هشام بن عروة قال: أخذ عمر بن عبد العزيز قومًا على شراب، فضربهم وفيهم صائم، فقالوا: إنَّ هذا صائم، فتلا: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾» اهـ.

وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٨٦):

«﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ فدلَّ هذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأنَّ من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أنْ يُنكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز (فذكر الأثر الماضي) أي أنَّ الرضا بالمعصية معصية؛ ولهذا يؤاخذ الفاعل والراضي بعقوبة المعاصي، حتى يهلكوا بأجمعهم، وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شُبِّه بحكم الظاهر مع المقارنة، كما قال: فكل قرين بالمقارن يقتدي.

وإذا ثبت تجنب أصحاب المعاصي، فتجنب أهل البدع والأهواء أولى.

وقال الكلبي: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ نُسخ بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنام: ٦٩].

وقال عامة المفسرين: هي مُحكمة.

وروى جويبر عن الضحاك قال: دخل في هذه الآية كُلُّ مُحْدِثٍ في الدين مُبْتَدِعٍ إلى يوم القيامة» اهـ.

فقول عامة المفسرين على أنَّ الآية محكمة لا نسخ فيها.

وقول الكلبي بالنسخ وجهه يظهر من ورود الآيتين من سورة الأنعام في نفس المعنى والسياق، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ

عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٦٨ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٨- ٦٩] وقوله مردود بقول عامة المفسرين؛ ولإجماع الأصوليين: أنه لا يقال بالنسخ إلا عند تعذر الجمع، ولم يتعذر.

بل قيل بالنسخ ولكن بالعكس، أي: أنَّ سورة النساء هي التي نسخت سورة الأنعام؛ قال القرطبي في تفسيره (٧/ ١٣): «قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩]: قال ابن عباس: لما نزل لا تقعدوا مع المشركين، وهو المراد بقوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ قال المسلمون: لا يمكننا دخول المسجد والطواف، فنزلت هذه الآية، ﴿وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ﴾ أي: فإنْ قعدوا يعني المؤمنين فليذكروهم: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ اللَّه في ترك ما هم فيه.

ثم قيل: نسخ هذا بقوله: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠]، وإنما كانت الرخصة قبل الفتح وكان الوقت وقت تقيَّة». اهـ.

قال العلامة السعدي في تفسيره (ص٢٦٠):

«هذا النهي والتحريم لمن جلس معهم ولم يستعمل تقوى اللَّه، بأن كان يشاركهم في القول والعمل المحرم، أو يسكت عنهم وعن الإنكار، فإن استعمل تقوى اللَّه تعالى، بأن كان يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه، فهذا ليس عليه حرج ولا إثم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩] أي: ولكن ليذكرهم ويعظهم لعلهم يتقون اللَّه تعالى» اهـ.

والمعلوم أنَّ المرء لو كان من أهل السنة، فذهب لأهل الأهواء لينكر عليهم، لطردوه وما مكنوه من إنكار ما هم عليه، وإنما الذي يحدث: أنَّ من

يذهب إليهم يبقى معهم ويسكت جبرًا وقسرًا عن إنكار المنكرات زعمًا منه لمصلحة الدعوة، ثم يكثر المنكر، ويكثر سكوته عن إنكاره حتى يخرج من السنة فيصيرمنهم، وإنما معنى الآية: أن ينكر عليهم فإذا لم يستطع تركهم حتى لا يلحق بهم.

وعليه، فالآية محكمة.

وآية الأنعام عدها السلف في أهل الأهواء؛ فقد روى ابن بطة في الإبانة (٣٥٨)، (٥٥٠) تحت باب: التحذير من صُحبة قوم يمرضون القلوب ويفسدون الإيمان، عن ابن عون، قال:

«عن محمد -يعني ابن سيرين- في هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] قال: كُنَّا نعدهم أصحاب الأهواء» وفي رواية: «كان محمد يرى أنَّ أسرع الناس ردَّة أهل الأهواء، وكان يرى أنَّ هذه الآية أُنْزلت فيهم».

وقال الشوكاني في تفسيره، فتح القدير (٢/ ١٨١):

«وفي هذه الآية موعظة جليلة لمن يتمسح بمجالسة المبتدعة الذين يحرِّفون كلام اللَّه، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويردُّون ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم ينكر عليهم ويُغير ما هم فيه، فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم، وذلك يسير عليه غير عسير» اهـ.

فإذا لم يُغيِّر ويُنكر، وجلس معهم ولم يتركهم فهو منهم ومثلهم كما مرَّ آنفًا من كلام الطبري، وفعل عمر بن عبد العزيز للصائم الذي وجده مع قوم يشربون الخمر، وقول القرطبي أن الذي لا ينكر عليهم أو لا يقوم عنهم فهو من أهل هذه الآية، ثم ختم بقول الضحاك بأن الآية قد دخل فيها كل مبتدع إلى يوم القيامة، وآية النساء هنا أقوى ما يُستدلُّ به في المسألة.

ووجه الدلالة من الآية ظاهر؛ حيث حكم اللَّه على من جلس مع

أهل الأهواء فلم ينكر عليهم فيغيِّر، أو يقوم عنهم فيتركهم، أنه قد رضي بفعلهم، ومن رضي بفعلهم فهو مثلهم، صاحبهم على ما هم عليه وأَلِفَ حالهم وعجبه؛ لاستمراره بصحبتهم بعد العلم بحالهم؛ ويتم الاستدلال بهذا إذا ضممنا آية النساء مع آية الأنعام، حتى لا تُحمل المثلية في قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ على الكفر؛ وإن كان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وفي المسألة آيتان، قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] وسيأتي الكلام عليهما في حينه.

وأختم هنا الاستدلال بالقرآن بالآتي:

قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦].

قال العلامة السعدي في تفسيره (ص: ٥٦٥):

«أي: كل خبيث من الرجال والنساء والكلمات والأفعال مناسب للخبيث، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، وكل طيِّب من الرجال والنساء والكلمات والأفعال مناسب للطَّيِّب، موافق له، ومقترن به، ومشاكل له؛ فهذه كلمة عامة، وحصرٌ لا يخرج منه شيء» اهـ.

وعليه، فلا يقوى على مصاحبة الخبيث إلا الخبيث، ولا يصاحب الطيب إلا الطيب؛ والمبتدع خبيث؛ كما وصفه الأئمة بذلك، بل قال عليه الإمام البربهاري: «شيطان مريد»، وقال الشاطبي: «من شياطين الإنس»، وقد مرَّ كلامهما.

والأخذ بظاهر هذه الآية متعيِّن، وإعمال عموم لفظها دون خصوص سببها هو الأصل المجمع عليه، فلا تقتصر صورة الآية على تشاكل الزوج والزوجة ومشاركتهما في الخُبْث أو الطيب، بل هي في كل من اجتمع بعضهم إلى بعض، إذ كيف تتآلف روح طيبة مع أخرى خبيثة وبينهما كما بين المشرق والمغرب.

فالمبتدع خبيث، وكلمته خبيثة؛ لأنها بريد الكفر، كما قال محمد بن سيرين، كما مرَّ: «كانون يرون أهل الردَّة وأهل تقحُّم الكفر: أهل الأهواء»، والذين يرون أهل العلم من الصحابة ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وسبحان اللَّه!! هذه الآية رقم (٢٦) وآية النور السابقة رقم (٢٦)، وبداية سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، والآية الأخرى من سورة اسمها النور؛ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قال السعدي في تفسيره (ص: ٤٢٥):

«﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ أي: ما لها من ثبوت، فلا عروق تُمسكها، ولا ثمرة صالحة تنتجها، بل إنْ وُجد فيها ثمرة فهي خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي[1]، ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث وعمل خبيث، يستضرُّ به صاحبه ولا ينتفع، فلا يصعد إلى اللَّه منه عمل صالح، ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره» اهـ.

قلت: ويستدل أيضًا هنا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

فبالإجماع: المبتدعون ظالمون؛ ظلموا انفسهم ابتداءً بابتداعهم ومخالفتهم للكتاب والسنة والإجماع، وظلموا غيرهم عندما لبَّسوا عليهم دينهم الذي ارتضاه اللَّه لهم، وبكتمانهم الحق وتتبعهم لما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ولويهم لعنق النصوص لتوافق باطلهم، وهذه ظلمات بعضها فوق بعض، وأنواع شتى من الظلم.

---

(١) وكذلك البدعة قطعًا؛ لأنها تدخل في النهاية تحت المعصية؛ لأنها ليست بطاعة، والبدعة منها الكفرية وغير الكفرية، فثبت قطعًا خبثها.

قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٢٥):

«وقوله: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: لا تُدهنوا.

وقال العوفي عن ابن عباس: هو الركون إلى الشرك.

وقال أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم.

وقال ابن جُرِيْج عن ابن عباس: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا.

وهذا القول حسن، أي: لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم» اهـ.

قلت: وعلى ضوء ما مرَّ، فصحبة أهل الأهواء وألفتهم ركون إليهم ورضًى بصنيعهم، وميلٌ إليهم واستعانة بهم.

● ثانيًا: الدليل من السنة:

روى البخاري في صحيحه (٣٣٣٦) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجنَّدة، ومسلم في نفس باب البخاري (٢٦٣٨) وأبو داود في سننه (٤٨٢٦) كتاب الأدب، باب من يُؤمر أن يجالس؟ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال:

«**الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**».

قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٤٠):

«قال العلماء: معناه: جموع مجتمعة، أو أنواع مختلفة، وأما تعارفها؛ فهو لأمر جعلها اللَّه عليه، وقيل: إنها موافقة صفاتها التي جعلها اللَّه عليها، وتناسبها في شيمها، وقيل: لأنها خلقت مجتمعة، ثم فُرِّقت في أجسادها، فمن وافق بشيمه ألفه، ومن باعده نافره وخالفه.

وقال الخطابي وغيره: تآلفها هو ما خلقها اللَّه عليه من السعادة والشقاوة

في المبتدأ، وكانت الأرواح قسمين متقابلين، فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خُلقت عليه، فيميل الأخيار إلى الأخيار، والأشرار إلى الأشرار» اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٤١٨ - ٤١٩):

«قوله: «**الأرواح جنود مجندة**» قال الخطابي: يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشرّ والصلاح والفساد، وأنَّ الخيِّر من الناس يحنُّ إلى شكله، والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره، فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جُبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت.

ولا يُعكِّر عليه، أنَّ بعض المتنافرين ربما ائتلفا؛ لأنه محمول على مبدأ التلاقي، فإنه يتعلق بأصل الخلقة بغير سبب، أما في ثاني الحال فيكون مكتسبًا؛ لتجدد وصف يقتضي الألفة بعد النفرة، كإيمان الكافر وإحسان المسيء[1].

وقوله: «**جنود مجندة**» أي: أجناس مجنسة، أو جموع مجمعة.

قال ابن الجوزي: ويُستفاد من هذا الحديث أنَّ الإنسان إذا وجد في نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح، فينبغي أنْ يبحث عن المقتضي لذلك ليسعى في إزالته حتى يتخلَّص من الوصف المذموم، وكذلك القول في عكسه» اهـ.

وقال القرطبي في المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٢٣/ ح: ٢٥٦٦):

«ومعنى: «**أجناد[2] مجنَّدة**»: أصناف مصنَّفة، وقيل: أجناس مختلفة، ويعني ذلك: أنَّ الأرواح وإن اتفقت في كونها أرواحًا، فإنها تتمايز بأمور

---

(١) قلت: وكذلك رجوع المبتدع إلى منهج أهل السنة وهدايته، مع بيان صدق ذلك منه بالشواهد والقرائن.

(٢) هكذا في رواية نسخة المفهم، حديث (٢٥٦٦) «أجناد»، بدلًا من «جنود».

وأحوال مختلفة تتنوَّع بها فتتشاكل أشخاص النوع الواحد، وتتناسب بسبب ما اجتمعت عليه فيه من المعنى الخاص لذلك النوع للمناسبة؛ ولذلك نشاهد أشخاص كلِّ نوع تألف نوعها، وتنفر من مخالفها، كالأرواح المجبولة على الخير، والرحمة، والشفقة والعدل، فتجد من جُبل على الرحمة يميل بطبعه لكل من كان فيه ذلك المعنى ويألفه ويسكن إليه، وينفر ممن اتصف بنقيضه، وهكذا في الجفاء والقسوة؛ ولذلك شاع في كلام الناس قولهم: المناسبة تؤلِّف بين الأشخاص، والشكل يألف شكله، والمِثْلُ يجذب مِثْلَهُ، وهذا المعنى هو أحد ما حُمل عليه قوله ﷺ: «**فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**».

وعلى هذا، يكون معنى تعارف: تناسب» اهـ.

وعلى ضوء هذا الحديث وما قيل في شرحه، يقوى ويظهر الاستدلال بقوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور: ٢٦]؛ لأنه قد تآلف جنس الخبثاء بعضه مع بعض، كما يتآلف جنس الطيبين بعضه إلى بعض، فطرة وسجيَّة.

وقال أبو الطيب العظيم آبادي في عون المعبود شرح سنن أبي داود (٨/ ٢١٢):

« «**مجندة**» مجتمعة متقابلة أو مختلطة، منها حزب اللَّه، ومنها حزب الشيطان» اهـ.

قلت: وعلى ضوء هذه المعاني لهذا الحديث الكريم، تعلم فقه الإمام القدوة ابن بطة العكبري؛ لروايته هذا الحديث في كتابه (الإبانة)؛ ليستدل به على تآلف أهل البدع والأهواء، وأنَّ هذا التآلف والألفة لا يكون إلا بين المتماثلين والمتجانسين والمتشابهين، وأنَّ الصحبة بينهما علامة اتحاد المنهج وتشابه المذهب والمعتقد، فرواه تحت باب: (التحذير من صحبة قوم يمرضون القلوب، ويفسدون الإيمان).

واعلم -رحمك اللَّه- أنَّ هذا الكتاب حُقَّ له أنْ يُسمى: (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية)؛ فهذا السفر المبارك العظيم يعتبر منارًا على جادة أهل السنة والجماعة، وكشَّافًا فاضحًا لأهل الأهواء، وفرقانًا للتمييز بين السُّنِّي والمبتدع، وهو عندي أقوى من: الشريعة للآجري وأشمل منه، وأبين للمنهج النبوي من كتاب اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، والكتب الثلاثة هم أمهات الكتب في معتقد أهل السنة والجامعة وشريعة الفرقة الناجية.

فقد روى ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ حديث الباب بعدة طرق، ثم روى بسنده عن عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤٣٢) أنه قال:

«لو أنَّ الناس جُمعُوا في صعيد واحد، كُلُّهم مؤمن، وفيهم كافران، تألَّف أحدهما إلى صاحبه؛ ولو أنَّ الناس جُمعوا إلى صعيد واحد، كلهم كافر وفيهم مؤمنان، تألَّف أحدهما إلى صاحبه».

وكذلك روى عن ابن مسعود (٤٣٣) أنه قال:

«الأرواح جنود مجندة، تلتقي تتشاءم[١] كما تتشاءم الخيل، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولو أنَّ مؤمنًا دخل مسجدًا فيه مائة ليس فيهم إلا مؤمن لجاء حتى يجلس إليه، ولو أنَّ منافقًا دخل مسجدًا فيه مائة ليس فيها إلا منافق واحد، لجاء حتى يجلس إليه».

قال ابن بطة بعد هذه الآثار:

«وكذا قالت شعراء الجاهلية[٢]، قال طرفة:

(١) **قال الشيخ رسلان**: هي كذلك في كل النسخ ولعلَّ الأقرب إلى الصواب: «تتشامَّ كما تتشامُّ الخيل».

(٢) **قال الشيخ رسلان**: شعراء الجاهلية فهموها ولم يفهمها القوم!! فما هو الخير في قوم لا يفهمون ما فهمه شعراء الجاهلية.

تعارف[1] أرواح الرجال إذا التقوا فمنهم عدوٌّ يُتَّقى وخليل».

فروى بسنده (٤٣٤) عن الفضيل بن عياض قال:

«الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالِئ صاحب بدعة إلا من النفاق».

وتعتبر هذه الآثار تفسيرًا للحديث المذكور آنفًا.

ثم روى طائفة من الآثار الموقوفة عن السلف يُبيِّن فيها منهج التبديع بالصحبة سأذكرها كلها، بعد ذكر الحديث: الذي **رواه أيضًا ابن بطة في هذا الباب (٣٥٩) وهو ما رواه أيضًا أبو داود في سننه (٤٨٢٥)، والترمذي في سننه (٢٣٧٨) وقال: حديث حسن، من حديث أبي هريرة** ﵁ عن النبي ﷺ قال:

«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

وفي رواية لابن بطة (٣٦٠):

«دين المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

ذكر الحديث السيوطي في الجامع الصغير (٤٥١٦) ورمز لحسنه، وقال المناوي في فيض القدير (٤/ ٦٨): «وحسنه الترمذي، وتبعه المؤلف فرمز لحسنه، وهو أعلى من ذلك؛ فقد قال النووي في رياضه: إسناده صحيح» اهـ.

قال المناوي في المرجع السابق، ومثله تمامًا أبو الطيب في عون المعبود (٨/ ٢١١) ومثله تمامًا المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦/ ٢٤٦) مع زيادة يسيرة حيث قال: « «**على دين خليله**» أي: على عادة صاحبه وطريقته وسيرته، «**فلينظر**» أي: فليتأمل وليتدبر «**من يخالل**» من المخالة، وهي المصادقة والإخاء، فمن رضيت دينه وخلقه خاللهُ، ومن لا تجتنبه؛ فإن الطباع سرَّاقة، والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده، لأن الطباع مجبولة على التشبه

---

(١) أي: تتعارف بحذف التاء الأولى «رسلان».

والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري» اهـ.

وهذا الحديث قوي جدًّا في المسألة؛ لأنه ﷺ حكم فيه على المرء بصاحبه.

وقال المُلَّا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٢٢٣ - ٢٢٤/ ح: ٥٠١٩):

«والخُلَّة الحقيقية لا تتصوَّر إلَّا في الموافقة الدينية، أو الخُلَّة الظاهرة قد تفضي إلى حصول ما غلب على خليله من الخَصْلة الدينية، يؤيده قوله: «**فلينظر أحدكم من يخالل**»؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]» اهـ.

وعليه، فقوله ﷺ: «**فلينظر أحدكم من يخالل**» أي: ليتحرَّى أحدكم ذلك؛ لأنه يُحكم عليه بمعتقد صاحبه.

● ثالثًا: جملة من آثار السلف وبيان الإجماع على ذلك:

ثم نرجع إلى الخبير بمنهج السلف والناطق بلسانهم، الإمام الحافظ أبي عبد اللَّه ابن بطة العكبري في إبانته الكاشفة الفاضحة، وما رواه من آثار تُبيِّن منهج السلف في تبديعهم بالألفة والصحبة.

فروى (٣٨٢) عن أبي قلابة عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه قال:

«من فقه الرجل ممشاه، ومدخله، ومخرجه» قال أبو قلابة:

«قاتل اللَّه الشاعر حين يقول:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه   فإنَّ القرين بالمقارن يقتدي[1] »

---

(١) وهو نفس البيت الذي استشهد به القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] ليظهر لك تناسب الأدلة من القرآن والسنة والآثار على الاستدلال بها على المطلوب.

● القانون الذي استنبطه الشيخ رسلان في التبديع بالصحبة:

سمعت الشيخ رسلان -حفظه اللَّه- يقول:

«وهذا القانون الذي ذكره أبو الدرداء من العلامات التي يُستدلُّ بها على أهل الأهواء، وإنْ حاولوا التستُّر والاختفاء، من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه» اهـ.

قلت: وهذا يؤكد ما أردت بيانه في هذه المسألة الجدّ خطيرة، وقد سمعته من الشيخ بعد الانتهاء من صفِّ الكتاب؛ فزدته للبيان، وكلام الشيخ في الشريط (١٣) من شرح الإبانة الكبرى.

ثم روى (٤٢٤) عن الأعمش أنه قال:

«كانوا لا يسألون عن الرجل بعد ثلاث: ممشاه، ومدخله، وإلفه من الناس»، والأعمش هو سليمان بن مهران أبو محمد الحافظ الثقة التابعي؛ فقوله: (كانوا يقولون) أي: الصحابة وكبار العلماء منهم؛ ويؤكد ذلك قول أبي الدرداء في الأثر الذي قبله، فهو هو، مع زيادة الإلْف، ومعنى: لا يسألون: أي: لبيان حاله من الثلاث.

ثم روى ابن بطة (٣٨٣) عن الأصمعي قال:

«لم أر بيتًا قطّ أشبه بالسُّنَّة من قول عَديٍّ:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه   فإنَّ القرين بالـمُقَارَنِ يقتدي».

قلت: فمن السنة إلحاق المرء بقرينه المبتدع.

وروى (٤٢٥) عن إمام أهل الشام الأوزاعي الذي أجاب عن سبعين ألف مسالة كما قال أبو زرعة في تاريخه، أنه قال:

«من ستر عنَّا بدعته لم تخف علينا ألفته».

قلت: واللَّه الذي لا إله إلا هو، لقد رأيت بنفسي وقع هذا الأثر لـمَّا قُلْتُهُ

في وجه بعض أهل الأهواء المُتستِّرين، كالصاعقة التي تكشف المكنون وتظهره، حتى أنهم قد جُنَّ جنونهم لما سمعوه منِّي، وكان هذا التأثير لسببين:

أولهما: أنهم ما سمعوه من قبل. **وثانيهما**: لقوة الأثر وبيان معناه الشديد، فواللَّه لا يكفيني بهذا الأثر ملك الدنيا وما فيها، واللَّه على ما أقول شهيد، وهو من مشكاة القرآن والسنة مما مرَّ ذكره في المسألة مع التفسير المبين.

قال الشيخ رسلان -حفظه اللَّه- وهو يشرح الإبانة الكبرى (شريط: ١٣) عند هذا الأثر:

«وهذا من الفرقان الذي جعله اللَّه تعالى لأهل السنة؛ لأنك تجد الرجل يلتصق بالسلفية بمنهج السلف ومنهاج النبوة، ولكنه يغشى مجالس هؤلاء المبتدعة، يظهر معهم في ندْواتهم وفضائياتهم ومحاضراتهم واجتماعاتهم، ثم يقول: أنا أحذرهم، وأنا أنبههم، إلى غير ذلك من تلك الأوهام، من ستر عنا بدعته لم تخف علينا أُلفته». اهـ.

ثم أتبع ابن بطة هذا الأثر بأثر (٤٢٦) للإمام سفيان الثوري، فعن يحيى ابن سعيد القطان يقول: «لمَّا قدم سفيان الثوري البصرة، جعل ينظر إلى أمر الربيع -يعني: ابن صبيح- وقدره عند الناس، سأل: أيّ شيء مذهبه؟ قالوا: ما مذهبه إلا السنة، قال: من بطانته؟ قالوا: أهل القدر، قال: هو قدري».

قال الإمام القدوة ابن بطة بعد هذا الأثر:

«رحمة اللَّه على سفيان الثوري، لقد نطق بالحكمة فصدق، وقال بعلم فوافق الكتاب والسنة، وما توجبُه الحكمة، ويدركه العيان، ويعرفه أهل البصيرة والبيان؛ قال اللَّه ﷻ: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨][1]».

---

(١) وهذه الآية من الأدلة في المسألة، وقد أرجأت ذكرها إلى هذا الموضع؛ لتظهر بها معاني هذه الآثار، ولتكون هي مفسَّرة في ضوء الآثار، فيكتمل المراد.

فروى بسنده (٤٢٧) عن الأصمعي قال:

سمعت بعض فقهاء المدينة يقول: «إذا تلاحمت بالقلوب النِّسبة، تواصلت بالأبدان الصُّحبة».

قال ابن بطة: «وبهذا جاءت السنة» فروى حديث: «**الأرواح جنود مجندة**».

فرواه بعدَّة طرق، قال الشيخ رسلان في نفس الشريط السابق بعد هذا الأثر:

«لقد ساق المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الأحاديث: «**الأرواح جنود مجندة**» بطرقها؛ ليدل على صدق هذا القانون الذي قاله بعض فقهاء المدينة النبوية: «إذا تلاحمت بالقلوب النسبة، تواصلت بالأبدان الصحبة»، وأنَّ الرجل إذا كان يغشى مجالس أهل البدع ويتخذهم أخدانًا فهو منهم، وقد ائتلف قلبُه بقلوبهم.

وأما إذا نفر منهم وباعدهم وجانب طرقهم وكان مع أهل السنة فهو منهم.

. . . (ثم قال): فدعك من تزوير المزوِّرين وإرجاف المرجفين وتضليل المضلين؛ يقول أحدهم: أنا معهم لأجل المصلحة، وأنا معهم لأجل كذا، دعك من هذا كُله، إنَّ الأرواح لجنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، كما قال هذا الحبر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ: «لو أنَّ الناس جُمعوا في صعيد واحد كلهم مؤمن وفيهم كافران، تألَّف أحدهما إلى صاحبه» اهـ. وهو أثر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد مرَّ من قبل.

قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٣٨) عند قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]:

«فيه ست مسائل:

الأولى: أكد اللَّه تعالى الزجر عن الركون إلى الكفار، وهو متصل بما

سبق من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠] والبطانة مصدر، يُسمَّى به الواحد والجمع، وبطانة الرجل خاصَّته الذين يستبطنون أمره، وأصله من البطن الذي هو خلاف الظهر، وبطن فلان بفلان يبْطُن بُطونًا وبطانة إذا كان خاصًّا به، قال الشاعر:

أولئك خُلصائي نعم وبطانتي وهم عَيْبتي من دون كل قريب

الثانية: نهى اللَّه ﷻ المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دُخلاء ووُلجَاء، يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم.

ويقال: كل من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه؛ قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمُقارن يَقتدي

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

«**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**» وروى عن ابن مسعود أنه قال: «اعتبروا الناس بأخدانهم». . . .

الثالثة: قوله تعالى: ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ قيل: يعني في السير وحسن المذهب» اهـ.

قلت: واستدلال القرطبي هنا في هذه الآية وتفسيرها بحديث النبي ﷺ: «**المرء على دين خليله**»، وأثر ابن مسعود، وقول الشاعر، يؤكد صحة الاستدلال بهذه الآية في هذه المسألة، كما فعل الإمام ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ.

ثم روى ابن بطة (٤٣٥) عن مُبشّر بن إسماعيل الحبليِّ، قال:

قيل للأوزاعي: إنَّ رجلًا يقول: أنا أجالس أهل السنة، وأجالس أهل البدع، فقال الأوزاعي: «هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل».

ولن يُساوَى بين الحق والباطل أبدًا، فليتق امرؤٌ ربَّه وليخش على دينه،

وإلَّا فليعلم من يحضر لأهل الأهواء أنه منهم ومثلهم.

قال الإمام القدوة ابن بطة بعد الأثر:

«صدق الأوزاعي، أقول: إنَّ هذا الرجل لا يعرف الحق من الباطل، ولا الكفر من الإيمان، وفي مثل هذا نزل القرآن، ووردت السنة عن المصطفى ﷺ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]».

فروى بسنده (٤٣٦) ما رواه مسلم في صحيحه (٢٧٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«مثل المنافق في أمتي كمثل الشاة العايرة[١] بين الغنمين، تصير إلى هذه مرَّة، وإلى هذه مرَّة، لا تدري أيُّها تتبع».

قال ابن بطة بعد الحديث: «كثر هذا الضرب من الناس في زماننا هذا، لا كثَّرهم اللَّه، وسلَّمنا وإيَّاكم من شرِّ المنافقين، وكيد الباغين، ولا جعلنا وإيَّاكم من اللاعبين بالدين، ولا من الذين استهوتهم الشياطين، فارتدُّوا ناكصين وصاروا حائرين» اهـ.

وذلك لأنه لا يستقيم للرجل المستقيم المنهج والمعتقد أن يألف أهل البدع وأهل السنة في نفس الوقت، فهو إما مع هؤلاء أو مع هؤلاء؛ قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]، فإذا استمر في ذلك فهو قطعًا منافق.

ومن هنا كنت حريصًا دائمًا على طرد طلبة العلم من مسجدي؛ لو علمت أنهم يحضرون لأهل الأهواء والبدع، وذلك بعد تعليمهم ونصحهم، فإذا أَبَوْا

---

(١) العايرة، أو العائرة: يعني: المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع. أفاده النووي في شرح مسلم (١٧/ ٩٥).

طُردوا ولا كرامة، وقد بيَّنت أهمية تطهير مساجد أهل السنة من المبتدعين وأفراخهم في كتابي: (دمعة نذير) وهو كتاب له علاقة وطيدة بهذا البحث.

وقد مرَّ أثر أبي السوار لما رأى معبدًا الجهني في المسجد فقال: «ما أدخل هذا مسجدنا؟ لا تدعوه يُجالسنا، ولا تدعوه يجلس إلينا».

ثم روى ابن بطة (٤٤٣) عن الفضيل بن عياض قال:

«إنَّ اللَّه وملائكةً يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكن مع صاحب بدعة، فإنَّ اللَّه لا ينظر إليهم؛ وعلامة النفاق أن يقومَ الرَّجل، ويقعد مع صاحب بدعة».

رحمة اللَّه على الإمام الفضيل، ونعوذ باللَّه من غباء أهل الأهواء وطموس قلوبهم.

ثم روى (٤٦٥) عن يحيى بن أبي كثير، قال: «قال سليمان بن داود عليه السلام: «لا تحكموا على أحد بشيء حتى تنظروا من يخادن».

أنشدنا أبو بكر الأنباري قال: أنشدني أبي لأبي العتاهية:

مـنْ ذا الـذي يـخـفـى عـلـيـك ... إذا نـظـرت إلـى قـريـنِـهِ

وعـلـى الـفـتـى بـطـبَـاعـه ... سِـمَـةٌ تـلـوح عـلـى جـبـيـنـه»

وروى (٤٦٦) عن الشعبي قال: قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه لرجل رآهُ يصحب رجلًا كرهه له:

«ولا تـصـحـب أخـا الـجـهـل ... وإيَّـاك وإيَّـاه

فـكـم مـن جـاهـل أردى ... حـلـيـمًـا حـيـن آخـاه

يـقـاس الـمـرء بـالـمـرء ... إذا مـا هـو مـاشـاه

ولـلـشـيء عـلـى الـشـيء ... مـقـايـيـس وأشـبـاه

ولـلـرّوح عـلـى الـروح ... دلـيـل حـيـن يـلـقـاه

وذو الحزم إذا أبصر ما يخشى توقَّاه
وذو الغفلة مغرور وريب الدهر يدهاه
ومن يعرف صروف الدهر لا يبطره نعماه

(ثم قال له في رواية أخرى):

إذا أنت لم تسقم وصاحبت مسْقمًا وكنت له خِدْنا فأنت سقيم»

وروى ابن بطة (٤٦٧) عن الشافعي قال:

«صحبة من لا يخشى العار عارٌ في القيامة».

ثم روى ابن بطة (٥٠٤) عن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ أنه قال:

«إنما يماشي الرجل ويصاحب من يُحبُّه، ومن هو مثله».

وروى أيضًا عن ابن مسعود (٥٠٥) قال:

«اعتبروا الرجل بمن يصاحب، فإنما يصاحب من هو مثله».

قال شعبة: وجدته مكتوبًا عندي: «فإنما يصاحب الرجل من يحب».

وروى (٥٠٦) عن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ أيضًا أنه قال:

«اعتبروا الناس بأخدانهم، فإنَّ الرجل لا يخادن إلَّا من يعجبه».

وفي رواية (٥٠٧):

«اعتبروا الناس بأخدانهم، المسلم يتبع المسلم، والفاجر يتبع الفاجر».

وروى (٥٠٨) عن ابن مسعود أيضًا قال:

«اعتبروا الأرض بأسمائها، واعتبروا الصاحب بالصاحب».

وروى (٥٠٩) عن سفيان قال:

«ليس شيء أبلغ في فساد رجل وصلاحه من صاحب».

وروى (٥١٤) عن معاذ بن معاذ قال: قلت ليحيى بن سعيد:

«يا أبا سعيد، الرجل، وإن كتم رأيه، لم يخف ذاك في ابنه، ولا صديقه، ولا في جليسه».

ثم روى (٥١٥) أثرًا آخر فاضحًا كاشفًا كأثر الأوزاعي، حيث روى عن محمد بن عبيد اللَّه الغلابيِّ يقول، كان يقال:

«يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة».

وروى (٥١٦) عن قتادة قال:

«إنَّا واللَّه ما رأينا الرجل يصاحب من النَّاس إلا مثله وشكله، فصاحبوا الصالحين من عباد اللَّه لعلكم أن تكونوا معهم أو مثلهم».

وروى الإمام القدوة ابن بطة (٥١٧) عن مالك بن دينار قال:

«الناس أجناس كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط من البط، والصَّعو مع الصَّعو، وكل إنسان مع شكله».

والصَّعو صغار العصافير (لسان العرب ٢٧/ ٢٤٥٢).

وروى (٥١٩) عن الإمام الأوزاعي أنه قال:

«يُعرف الرجل في ثلاثة مواطن: بألفته، ويُعرف في مجلسه، ويُعرف من منطقه».

قال أبو حاتم -راوي الأثر-: وقدم موسى بن عقبة الصوري بغداد، فذُكر لأحمد بن حنبل فقال: «انظروا على من نزل، وإلى من يأوي».

فهذه أقوال السلف قاطبة، لا يُعلم خلاف بينهم في ذلك ألبتَّة؛ فكان إجماعًا.

● بيان أنَّ الأصل في الإنسان الظلم والجهل:

ويُعَضّد كل هذا: بأن اللَّه تعالى لما ذكر آية الأمانة ختمها ببيان ظلم

الإنسان وجهله؛ **قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٥٧):**

«وأما من يقول: الأصل في المسلمين العدالة، فهو باطل، بل الأصل في بني آدم الظلم والجهل؛ كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ومجرد التكلم بالشهادتين لا يوجب انتقال الإنسان عن الظلم والجهل إلى العدل» اهـ.

قال الإمام القدوة ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أنْ روى هذه الآثار المضيئة المستنيرة النيِّرة، الظاهرة المُظهرة، البيِّنة المُبيِّنة، المُعرِّية المفضحة لأهل الأهواء والبدع والمتسترين منهم؛ ليميز بها الخبيث من الطيب، قال:

«فقد فاض البحر العميق، فاستغنى عن هذا التمييز، والنظر والتدقيق، وفقدت تلك الأعيان، وصارت الزندقة يتفكَّه بها الأحداث والشبَّان، ظاهرة في السُّوقة والعوام، وصار التعريض تصريحًا، والتمريض تصحيحًا، فإنا للَّه وإنَّا إليه راجعون، مسَّكنا اللَّه وإيَّاكم بعروته الوثقى، وأعاذنا وإيَّاكم من مضلات الهوى، ولا جعلنا وإياكم ممن باع آخرته بالدنيا، إنه سميع قريب.

(٥٢٠) حدثنا... أن عمر بن عبد العزيز أخذ قومًا على شراب، ومعهم رجل صائم، فضربه معهم، فقيل له: إنَّ هذا صائم، فقال: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠][(١)].

بل ذكر ابن تيمية هذا الأثر في المجموع (٣٢/ ٢٥٤) بلفظ: «ابدؤوا بالصائم فاجلدوه؛ ألم يسمع إلى قوله تعالى...» فذكر الآية.

(٥٢١) حدثنا... عن الفضيل قال: «ليس للمؤمن أنْ يَقْعُدَ مع كل من

---

(١) رواية ابن بطة لهذا الأثر تحت هذا الباب من التحذير من أهل الأهواء، وفي سياق الاستدلال على التبديع بالصحبة والألفة، يؤكد ما أردت بيانه في أول هذه المسألة عند نقل قول المفسرين في هذه الآية.

شاء؛ لأن اللَّه ﷻ يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]»[1].

(٥٢٢) حدثنا . . . عن ابن شوذب قال:

«من نعمة اللَّه على الشاب والأعجمي إذا نسكا أن يوفَّقا لصاحب سُنة يحملهما عليها؛ لأن الأعجمي يأخذ فيه ما يسبق إليه».

ثم ختم الإمام القدوة ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ هذا السيل الجرَّار من الآثار، والتي ذكرت منها القليل؛ مما يدل على غيره، ختمه ببيان أن المبتدعة غشاشون، وأنَّ من غش المسلمين فليس منهم كما في حديث مسلم في صحيحه **(١٠١)** قال ﷺ: «**من غَشَّنا فليس منَّا**» وأنَّ من غِشِّهم أن يعلنوا بالبدعة ثم يدعون إليها، فنعوذ باللَّه من الغشِّ والغشاشين.

وروى اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥٥) عن عبد اللَّه بن المبارك قال:

«ما رأيت أحدًا أشرح للسنة من أبي بكر بن عياش».

وفي رواية ذكرها الذهبي في السير (ترجمة ١٣٠٣):

«وقال ابن المبارك: ما رأيت أحدًا أسرع إلى السنة من أبي بكر بن عياش».

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧/ ٦٦٦):

«أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي (ت: **١٩٣**هـ) مولاهم الكوفي الحنَّاط -بالنون- المقرئ الفقيه المحدث شيخ الإسلام وبقية الأعلام» اهـ.

روى اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد عن أبي بكر بن عيَّاش (٥٤) قال:

«السنة في الإسلام أعزُّ من الإسلام في سائر الأديان».

---

(١) قلت: وكذلك هذه الآية، ورواية هذا الأثر تحت هذا الباب.

وروى اللالكائي (٥٣) عن أبي بكر بن عيَّاش :

أنه قال له رجل : يا أبا بكر ، من السُّني؟ قال : «الذي إذا ذُكرت الأهواء لم يتعصَّب لشيء منها» .

وفي رواية الآجري في الشريعة (٢١١٢) قال أبو بكر بن عياش :

«السُّنِّيُّ الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها» .

● رابعًا: الاستدلال في هذا الباب بالقرائن والأمارات:

والقرائن جمع قرينة ، وهي العلامة أو الأمارة التي تدل بظهورها على ما خفي ، فهي وسيلة للكشف عن المخبوء وإظهار المخفي ، منها القرينة اللفظية ومنها الحالية ، وذلك أن القرينة أمر يحيط ويحتفُّ بالشيء يُستدل به على النفي أو الإثبات ، لذلك عرَّفها الجرجاني في التعريفات فقال : «أمر يشير إلى المطلوب» ، وهذه القرينة قد تفيد العلم المقطوع به ، أو تفيد الظن الغالب القوي القريب من العلم ؛ وذلك بحسب قوة هذه القرينة أو ضعفها ؛ فإذا تعددت القرائن وكثرت قوَّى بعضها بعضًا بما يفيد العلم المقطوع به .

«كشف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٢٢٨) ، التعريفات للجرجاني (ص : ١٥٢) ، تبصرة الحكام لابن فرحون (٢/ ١٠١) ، طرائق الحكم المتفق عليها والمختلف فيها في الشريعة الإسلامية (ص : ٣٢٨) .))

وقال العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/ ٢٨٠) :

«(فصل) في تنزيل دلالة العادات وقرائن الأحوال منزلة صريح الأقوال في تخصيص العموم وتقييد المطلق وغيرهما» اهـ ثم ضرب لذلك بضعًا وعشرين مثالًا .

قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾ [يوسف: ١٨].

قال القرطبي في تفسيره (٩/ ١٠٦):

«الثالثة: استدل الفقهاء بهذه الآية في إعمال الأمارات في مسائل من الفقه، كالقسامة وغيرها.

وأجمعوا على أنَّ يعقوب عليه السلام استدل على كذبهم بصحة القميص.

وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت، فما ترجح منها قضى بجانب الترجيح وهي قوة التهمة، ولا خلاف بالحكم بها؛ قاله ابن العربي» اهـ.

ثم قال (٩/ ١٢٢) عند قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦].

«وكان شريح وإياس بن معاوية يعملان على العلامات في الحكومات؛ وأصل ذلك هذه الآية» اهـ.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه: (أحكام القرآن، (٣/ ١٠٧٧، ١٠٨٥):

«**المسألة الأولى**: إنما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم فقرن الله تعالى بهذه العلامة علامة تعارضها؛ وهي: سلامة القميص من التَّلْبِيْب؛ والعلامات إذا تعارضت تعيَّن الترجيح، فيقضى بجانب الرجْحان وهي قوة التهمة لوجوه تضمنها القرآن، منها: طلبهم إياه شفقة، ولم يكن من فعلهم ما يناسبها فيشهد بصدقها، بل كان سبق ضدُّها وهي تبرُّمهم به.

ومنها: أنَّ الدم يحتمل أن يكون في القميص موضوعًا، ولا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس للقميص ويسلم من تخْريق.

وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات وتعارضها.

المسألة الثانية: القضاء بالتهمة إذا ظهرت كما قال يعقوب: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ

لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨].

ولا خلاف في الحكم بالتهمة، وإنما اختلف الناس في التأثير في أعيان التهم . . . (ثم قال): وقد استدل يعقوب بالعلامة، فروى العلماء أن الإخوة لما ادَّعَوْا أكل الذئب له قال: أروني القميص، فلما رآه سليمًا قال: لقد كان هذا الذئب حليمًا.

وهكذا فاطردت العادة والعلامة، وليس هذا بمناقض لقوله عليه السلام: «**البينة على المدعي، واليمين على من أنكر**».

والبيِّنة إنما هي البيان، ودرجات البيان تختلف بعلامة تارة، وبأمارة تارة، وبشاهد أيضًا، وبشاهدين ثم بأربع» اهـ.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن (٣/ ٤٨):

«قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٦-٢٨] يفهم من هذه الآية لزوم الحكم بالقرينة الواضحة الدالة على صدق أحد الخصمين وكذب الآخر؛ لأنَّ ذكر اللَّه لهذه القصة في معرض تسليم الاستدلال بتلك القرينة على براءة يوسف، يدل على أنَّ الحكم بمثل ذلك حق وصواب؛ لأن كون القميص مشقوقًا من جهة دبره دليل واضح على أنه هارب عنها، وهي تنوشه من خلفه. . . . وهذه الآيات المذكورة أصل في الحكم بالقرائن» اهـ.

فانظر -هداك اللَّه- إلى قوله: «يفهم من هذه الآية لزوم الحكم بالقرينة الواضحة الدالة»؛ فإذا كانت القرائن واضحة قوية لزم العمل بها والحكم بموجبها، وهو المطلوب هنا؛ إذ من أقوى القرائن الواضحة للتبديع بالصحبة

والألفة، نفس الصحبة والألفة، والتناسب والتشاكل الذي دفع المصاحب للدفاع عن خليله وصاحبه والتعصب له والغضب عليه، وتلمُّس الاعذار من أجل تخليصه مما اتهم به ونُسب إليه، ورضاه بمجالسته، فهو مِثْلُهُ وشَكْلُهُ؛ على ما مرَّ من الآيات كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].

ولقد عقد ابن فرحون الإمام المالكي في كتابه: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام (٢/ ١٠١-١١٥) بابًا، هو الباب السبعون: (في القضاء بما يظهر من قرائن الأحوال والأمارات وحكم الفراسة على ذلك من الكتاب والسنة وعمل سلف الأمة).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣]: دلَّ على أنَّ السيما المراد بها يظهر على الشخص، حتى إذا رأيناه ميِّتًا في دار الإسلام وعليه زُنَّار وهو غير مختون، لا يدفن في مقابر المسلمين، ويُقدم ذلك على حكم الدار في قول أكثر العلماء (ثم ذكر آيات سورة يوسف السابقة وعلق عليها وذكر كلام القرطبي آنفًا ثم قال): قال عبد المنعم بن الفرس: هذه الآية يحتج بها من العلماء من يرى الحكم بالأمارات والعلامات فيما لا تحضره البيِّنات. فإن قيل: إنَّ تلك الشريعة لا تلزمنا، فالجواب: أنَّ كل ما أنزله اللَّه علينا فإنما أنزله لفائدة فيه ومنفعة لنا؛ قال اللَّه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] فآية يوسف -صلوات اللَّه وسلامه عليه- مقتدًى بها معمول عليها . . . وقال المازري: وعندي أنَّ الأظهر في الجواب أنَّ القرائن تقوم مقام الشاهد.

(ثم ذهب يستدل على الحكم بالقرائن بجملة من الأحاديث منها ما في الصحيحين فساق عشرة أحاديث، منها)

ومنها: حكم رسول اللَّه ﷺ وخلفائه من بعده بالقافة، وجعلها دليلًا على ثبوت النسب(١)، وليس فيها إلا مجرد الأمارات والعلامات.

ومنها: أن ابني عفراء تداعيا قتل أبي جهل يوم بدر، فقال لهما رسول اللَّه ﷺ «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قال: لا، فقال ﷺ: «**أرياني سيفيكما**»، فلما نظر فيهما قال لأحدهما: «**هذا قتله**»، وقضى له بسلبه(٢).

ومنها: أنه ﷺ أمر الزبير بعقوبة الذي اتهمه بإخفاء كنز ابن أبي الحقيق، فلمَّا ادَّعى أنَّ النفقة والحروب أذهبته قال ﷺ: «**العهد قريب والمال كثير**»(٣).

ومنها: أنه ﷺ فعل بالعُرنيين ما فعل، بناء على شاهد الحال، ولم يطلب بيِّنة بما فعلوا، ولا وقف الأمر على إقرارهم(٤).

ومنها: حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه والصحابة معه متوافرون، برجم المرأة إذا ظهربها حملٌ ولا زوج لها، وقال بذلك مالك وأحمد بن حنبل؛ اعتمادًا على القرينة الظاهرة . . .

ومنها: حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وابن مسعود، وعثمان -رضي اللَّه تعالى عنهم-، ولا يعلم لهم مخالف، بوجوب الحدِّ على من وُجد من فِيهِ رائحة الخمر أو قاءها؛ اعتمادًا على القرينة الظاهرة.

فصل: في بيان عمل الطوائف(٥) الأربعة بالحكم بالقرائن والأمارات» اهـ.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٤٥٩).
(٢) رواه البخاري (٣١٤١)، ومسلم في صحيحه (١٧٥٢)، وفيهما: «**كلاكما قتله**». وقضى بسلبه لأحدهما.
(٣) رواه أبو داود في سننه (٣٠٠٤)، قال الألباني في صحيح أبي داود: «حسن الإسناد».
(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١).
(٥) يقصد المذاهب الأربعة.

ثم ساق خمسين مسألة فقهية عند المذاهب الأربعة كلها قائمة على القرائن.

وانظر كذلك بدايات كتاب: الطرق الحكمية للإمام ابن القيم فقد تكلم على هذه المسألة.

وعلى ضوء هذا الأصل الذي استُدلَّ عليه بالكتاب والسنة والإجماع يتبلور منهج التبديع بالصحبة والألفة؛ فإن صحبته وألفته لأهل الأهواء من أقوى القرائن الظاهرة على التبديع، فلزم الحكم بها، كما مرَّ من كلام الشنقيطي.

ومن هنا كان السلف يبدِّعون بالحب والبُغض؛ فقد روى اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٥٨) عن أحمد بن عبد اللَّه بن يونس قال:

«امتحن أهل الموصل بمعافى بن عمران، فإن أحبوه فهم أهل سنة، وإن أبغضوه فهم أهل بدعة، كما يُمتحن أهل الكوفة بيحيى».

وروى أيضًا (٥٩) عن قتيبة قال:

«إذا رأيت الرجل يُحب أهل الحديث مثل: يحيى بن سعيد، وعبد الرحمن ابن مهدي، وأحمد بن محمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه - وذكر قومًا آخرين- فإنه على السنة، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع».

- **تعقيب:**

الأصل في هذه المسألة ما ذُكر من الأدلة من القرآن والسنة، ثم إجماع السلف، وليس الدليل هنا أقوال السلف فحسب، بل أقوالهم كلها من مشكاة القرآن والحديث، وهي تعتبر تفسيرًا لأدلة الكتاب والسنة؛ وقد أُمرنا بالتعبد إلى اللَّه بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وهذه الجملة من الآثار عنهم تبيِّن فهمهم المؤكد لظاهر القرآن والسنة، فقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] بَيِّنٌ في تبديع من يجلس مع أهل البدع، وقوله ﷺ: «**المرء على دين**

خليله» كذلك بَيِّنٌ في تبديع خليل المبتدع وصاحبه.

ثم حديث: «**الأرواح جنود مجندة**» على ضوء ظاهره، مع تعضيد الشرَّاح لهذا الظاهر، ثم سيل الآثار السلفية التي نُقل بها إجماعهم من غير خلاف يُعلم في ذلك، والتي هي بمثابة الفهم الصحيح والشرح الوافي للأدلة في المسألة، وما ذكرته من العمل بالقرائن في الحكم على الناس وهو أصل عليه العمل بالكتاب والسنة والإجماع، وعليه، فما ذكرته من قبل: «التبديع بالصحبة والألفة وأثره في كشف المبتدعة» وهو عنوان هذه المسألة، قد ثبت صحته بالاستدلال عليه في هذه المسألة، ومن ثم تقررت هذه القاعدة بالكتاب والسنة والإجماع، وأصبحت في ذاتها ونصها دليلًا؛ لما قرَّره الفقهاء في كتب القواعد الفقهية، والأشباه والنظائر؛ من أنَّ القاعدة لو كان دليلها صحيحًا صريحًا، فإنه تتعدَّى قوة هذا الدليل إلى القاعدة، فتصبح هي في ذاتها دليلًا معتبرًا، ثم إذا كانت مسالة شرعية بعد ذلك صحَّ أن يُستدل فيها بنصِّ القاعدة، المعلوم مُسْبَقًا بدليله الشرعي.

- **قاعدتان في المسألة:**

ويكون نص هذه القاعدة في هذا الباب على ضوء الأدلة السابقة هو:

(١) «التبديع بالصحبة والألفة معتبرٌ شرعًا بالكتاب والسنة والإجماع القديم، وبه تكشف الحجب عن المُبْتدعين المُسْتَتِرين».

- **القدْرُ المعتبر من الصحبة في التبديع:**

أما القدر الذي لو تحقق حدث التبديع، فهو في نص هذه القاعدة التالية:

(٢) «بداية القدر المعتبر في التبديع بالصحبة، هو ما تحدثُ به المعاودة لأهل البدع ومجالسهم بتعمُّد ورغبة، النابعةُ من الإلْف والمحبة -بعد العلم بكونهم مبتدعين، ثم بالثناء عليهم، وذرْوته بالتعصب والغضب لهم».

أما مسألة وجود الشروط وانتفاء الموانع، فقد فصَّلت فيها القول في

كتابي: «إعلام الموقعين بجناية تنزيل الموازنات على المبتدعين» (ص٦٠ - ٧٣) فأغنى عن الإعادة هنا.

وأقول هنا إجمالًا: كل الأدلة في هذه المسألة الرابعة من الكتاب والسنة والإجماع على ظاهرها، فلم يُشترط فيها ذلك، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهكذا آثار الصحابة ومن بعدهم، كان مناط التبديع في الأدلة والآثار هو الصحبة والألفة ولم أجد في الآثار إلا شرط العلم بالبدعة؛ فقد روى ابن بطة في الإبانة (٤٤٧) عن محمد بن النضر الحارثي أنه قال:

«من أصغى إلى صاحب بدعة وهو يعلم أنه صاحب بدعة، نزعت منه العصمة، ووكل إلى نفسه» والعذر بالجهل أصل أصيل من أصول أهل السنة والجماعة كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

قال العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه اللَّه-(١):

«**أما بعد**: فالمشهور عند أهل السنة أنه من وقع في أمر مكفِّر لا يكفر حتى تقام عليه الحجة.

أما من وقع في بدعة فعلى أقسام:

القسم الأول: أهل البدع كالروافض والخوارج والجهمية والقدرية والمعتزلة والصوفية القبورية والمرجئة ومن يلحق بهم، كالإخوان والتبليغ وأمثالهم، فهؤلاء لم يشترط السلف إقامة الحجة من أجل الحكم عليهم بالبدعة، فالرافضي يقال عنه مبتدع، والخارجي يقال عنه مبتدع، وهكذا، سواء أقيمت عليهم الحجة أم لا.

القسم الثاني: من هو من أهل السنة ووقع في بدعة واضحة: كالقول بخلق القرآن أو القدرأو رأي الخوارج وغيرها، فهذا يُبدَّع؛ وعليه عمل السلف.

---

(١) بواسطة البيِّنات الواضحات، بحث للشيخ خالد أبي عبد الأعلى.

القسم الثالث: من كان من أهل السنة ومعروف بتحرِّي الحق ووقع في بدعة خفيَّة، فهذا إنْ كان قد مات فلا يجوز تبديعه، بل يُذكر بالخير، وإنْ كان حيًّا فيُناصح ويبيَّن له الحق ولا يتسرع في تبديعه، فإن أصرَّ فيبدَّع؛ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[1]:

«وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنه بدعة؛ إما لأحاديث ضعيفة ظنُّوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يُرد منها، وإما لرأي رأوه، وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربَّه ما استطاع دخل في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفي الحديث أنَّ اللَّه قال: «**قد فعلت**»[2].

وعلى كلِّ حال لا يجوز إطلاق اشتراط إقامة الحجة لأهل البدع عمومًا، ولا نفي ذلك، والأمر كما ذكرت» اهـ

● **الفوائد المستنبطة من هذه المسألة:**

فهذه عدة فوائد على هذه المسألة:

١- تفصيل وجه الاستدلال على عملية التبديع بالصحبة والألفة بهاتين القاعدتين:

إنَّ مدار هذه المسألة على التبديع بالألفة والصحبة؛ فذكرت حديث النبي ﷺ: «**الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف**» مع حديث: «**المرء على دين خليله**»، ثم ذكرت قول الأوزاعي: «من ستر عنَّا بدعته، لم تخف علينا ألفته»، وقول محمد بن عبيد اللَّه الغلابيِّ: «يتكاتم أهل الأهواء كل

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٩١-١٩٢)، وقد مرَّ كلامه هذا.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٢٦/ ٢٠٠).

شيء إلا التآلف والصحبة»، وقول ابن مسعود رضي الله عنه: «اعتبروا الرجل بمن يصاحب، فإنما يصاحب من هو مثله»، ومثله قول أبي الدرداء رضي الله عنه وقد مرَّ، وكذلك قول قتادة: «إنَّا واللَّه ما رأينا الرجل يصاحب من الناس إلا مثله وشكله» وغير ذلك من الآثار، التي هي من مشكاة الحديثين الأوَّلين بتآلف الأرواح، وأن الرجل على دين صاحبه ومذهبه، والحديثان وهذه الآثار من وحي قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦]، وآية الأنعام أيضًا في المسألة، وقد مرَّ، والنهي عن اتخاذ البطانة من الغير، وكذلك قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

قال القرطبي في جامعه (١٠/ ٢٣٤):

«قال ابن عباس: ناحيته، وقاله الضحاك، وقال مجاهد: طبيعته، وعنه: حِدَّته، وقال ابن زيد: على دينه، وقال الحسن وقتادة: نيّته، وقال مقاتل: جِبلَّته، وقال الفرَّاء: على طريقته ومذهبه الذي جُبل عليه.

وقيل: قل كلٌّ يعمل على ما هو أشكل عنده، وأوْلى بالصواب في اعتقاده، وقيل: هو مأخوذ من الشكل؛ يقال: لست على شكْلي ولا شاكلتي؛ قال الشاعر:

كُلُّ امرئ يُشبهه فعله ... ما يفعل المرء فهو أهله

فالشكل هو المِثْلُ والنظير، كقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ [ص: ٨٥]، والشِّكل -بكسر الشين-: الهيئة، يقال: جارية حسنة الشِّكل.

وهذه الأقوال كلها متقاربة، والمعنى: أنَّ كلَّ واحد يعمل على ما يشاكل أصله وأخلاقه التي ألفها، وهذا ذم للكافر ومدح للمؤمن» اهـ.

قلت: وهو أيضًا ذم للمبتدع ومدح للسني، بالقياس الجلي، وبعموم لفظ الآية، لذلك جزم سفيان الثوري بالحكم على الربيع بن صبيح أنه قدري مبتدع؛ من بطانته وصحبته وإلفته للقدرية، مع أنَّ أهل بلده وصفوه بالسنة، بل قالوا:

«ما مذهبه إلا السنة» نفي وإثبات لتأكيد سُنِّيَّته، ولكن لأهل العلم نظرة ثاقبة، هذه النظرة التي أرجو أن تكون ثمرة هذا البحث، كفائدة يكتسبها طالب العلم.

وهو الذي قرَّره أبو بكر بن عياش لمَّا وضع للأمة ضابطًا يُعرف به السنيُّ فقال: «السنيُّ الذي إذا ذُكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها» وفي رواية: «لم يتعصب لشيء منها»، لماذا؟ لأنه سُنِّيٌّ، وليس من أهل الأهواء في شيء؛ إذ لا أُلفة بينه وبينهم.

فابتداء، لابد أنْ تستحضر ما قيل في مسألة: خطورة التكلم والجلوس مع المبتدعة، وانتشار الجهل، وقلة العلم، وفصاحة أهل الأهواء وشدة بيانهم، وكذبهم، وتدليسهم؛ لنشر مذاهبهم بالباطل حتى يُكثِّروا سوادهم، فنُخرج بالتبديع بالصحبة من لم يعرف القوم وأحسن الظن بهم، وكيف لا؛ وقد وصل الأمر في هذه الفتنة الإخوانية في بلدنا مصر -حفظها اللَّه- إلى أن حشد رءوس الإخوان ومشايخهم عشرات الآلاف من المغرَّرين الذين جُمعوا تحت شعار: الشريعة والشرعية، حتى مات منهم الكثير؛ وما هذا إلا من عظم كذبهم وتدليسهم وغشهم وخداعهم، وتغييرهم لحقائق الأمور فحوَّل هؤلاء الأبالسة السنة بدعة، والبدعة سُنَّة، والحقَّ باطلًا، والباطلَ حقًّا فعَظُمَتْ بهم الفتن.

فهؤلاء المخدوعون المهيَّجون لا يَصْدُق عليهم أمر التبديع بالصحبة والألفة مع وجودهما؛ لانتفاء شرط العلم بحال المبتدع وبدعته، فمن أجل ما يمنع من التبديع الجهل؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]؛ لذلك فقد كشَفَتْ هذه الفتنة العظيمة اللثامَ عن كثير من رءوس الضلالة ومشايخ الفتنة والتهييج، والدعاة على أبواب جهنم، وظهر حال الكثير منهم، فرجع آلاف من الناس لمَّا علموا حقيقة هؤلاء، ومن ثم، فإنَّ صحبة هؤلاء وإلفهم لأهل الأهواء قامت على ظاهر الصلاح الذي أبداه مشايخ السوء، فلما تكشَّف أمرهم نفروا منهم.

والذي يؤكد ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما الشهير في حديثه مع الخوارج،

فلمَّا أزال النقاب والحجب من على أعين وبصائر جُهَّالِهم رجع منهم ألفان، وقيل: ثلاثة آلاف، وبقي منهم الخوارج الحقيقيون.

وعليه، فمن علم الحق بدليله، وتكشَّفت له الحقائق ثم ما زال معهم فهو منهم ولا كرامة، فإنه كما قال الإمام أحمد: «ألحقوه بهم».

وبهذا يستقيم الفهم في حال الجموع الغفيرة المُلْتفَّة حول أهل الأهواء، ولو مكثوا معهم سنين.

لذلك أجمع المسلمون على أنه ما بُني على باطل فهو باطل، وهؤلاء بنوا أُلفتهم وصحبتهم على ظن صلاحهم، وهو باطل، فلا يُبدَّع هؤلاء لما ذُكر.

٢- في معنى الأُلْفَةِ وبيانِ ضابطها المُبَدِّع:

قال ابن فارس في مقاييس اللغة (١/ ١٣١):

« (ألف) الهمزة واللام والفاء أصل واحد، يدلُّ على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضًا، قال الخليل: الأَلْفُ معروف، والجمع الآلاف، وقد آلَفَتِ الإبل ممدودة، أي: صارت ألفًا.

قال ابن الأعرابي: آلَفْتُ القومَ: صيَّرتهم ألْفًا، وآلفتهم، صيَّرتهم ألفًا بغيري، ومثله أخْمسوا وأماءوا، وهذا قياس صحيح؛ لأنَّ الألف اجتماع المِئِين.

قال الخليل: ألِفْتُ الشيءَ آلفَهُ، والألفة مصدر الائتلاف، وإِلْفُكَ وأليفك: الذي تألفه، وكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألَّفته تأليفًا.

قال أبو زيد: أهل الحجاز يقولون: آلفت المكان والقوم، وآلفت غيري أيضًا حملته على أن يألف.

ويقال: آلَفَتْ هذه الطيرُ موضع كذا، وهن مؤلِفَات، لأنها لا تبرح» اهـ.

قلت: وقوله: «وآلفت غيري حملته على أنْ يألف» يؤكد ما قلته آنفًا من

أُلْفَة هؤلاء المغررين المخدوعين؛ فإنَّ تدليس الرءوس حمل هؤلاء لإلفتهم على ظن ووهْم ما حُملوا عليه زورًا وبهتانًا؛ ويؤكده ما يأتي في لسان العرب قوله: «وآلَفَهُ إيَّاه: ألزمه».

وقال ابن منظور في لسان العرب (٢/ ١٠٧ - ١٠٩):

«أَلِفَ الشيء أَلْفًا وإلافًا ووِلافًا، وألفانًا وأَلَفَة: لزمه، وآلفه إياه: ألزمه.

قال أبو زيد: ألفت الشيء وألفت فُلانًا: إذا أنِسْت به، وألفت بينهم تأليفًا: إذا جمعت بينهم بعد تفرُّق، وألفت الشيء تأليفًا: إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب.

وتألفه على الإسلام، ومنه المؤلفة قلوبهم، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] نزلت هذه الآية في المتحابين في اللَّه.

وأوالِفُ الحمام: دواجنها التي تألف البيوت» اهـ.

قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ﴾ [الأنفال: ٦٣].

قال القرطبي في جامعه (٧/ ٣٢٠):

«أي: جمع بين قلوب الأوس والخزرج، وكان تآلف القلوب مع العصبية الشديدة في العرب من آيات النبي ﷺ ومعجزاته؛ لأن أحدهم كان يُلطَم اللطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها، وكانوا أشد خلق اللَّه حمية، فألَّف اللَّه بالإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه بسبب الدين.

وقيل: أراد التأليف بين المهاجرين والأنصار، والمعنى متقارب» اهـ.

فانظر -هداك اللَّه للسُّنة- كيف جمعت السنة بين الأوس والخزرج، حتى عدّوا ذلك الجمع من معجزات النبي ﷺ!!

فظهر من معنى الآية أنَّ الألفة تؤدي إلى النصرة والقتال من أجل محبة

المألوف، حين أصبح ما ائتلفوا عليه دينًا يُحاربُ من أجله، وهذا هو الحادث بين أهل الأهواء وأهل السنة.

وقال الجوهري في الصحاح (٤/ ١٣٣٢):

«والإلف: الأليف، يقال: حنَّت الإِلْف إلى الإِلْف» اهـ.

وقال ابن كثير في تفسيره (٨/ ٣٠٧):

«﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم الأمين» اهـ.

وعليه، فإنَّ معنى الأُلفة يدور حول: اجتماع القوم بعضهم إلى بعض وانضمام وانحياز أفرادهم إلى بعض، ولزومهم ذلك الاجتماع والرضاء به ومحبته، والأنس به، والولاء والبراء على هذا الإلف، حتى القتال في سبيله، والركون إليه والانبساط إلى أفراده والثقة بهم النابعة من المحبة والإلف والود، لذلك جزم الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن الربيع بن صبيح قدري؛ لوجود هذه المعاني من الصحبة والتشاكل في المعتقد والمذهب، فهم صنف وجنس واحد، يتناسب وينسجم بعضه إلى بعض.

وهذا تجده في معنى قوله ﷺ: «**المرء على دين خليله**»، وقد مرَّ، من أنَّ الخلَّة الحقيقية لا تُتَصَوَّرُ إلَّا في الموافقة الدينية، فعلى دين خليله، أي: على طريقته وسيرته ومذهبه ومعتقده، والذي يجمع بينهما هذه الألفة والمحبة.

ومن هنا تجد أهل الأهواء لا يقبلون التكلم في مشايخهم، يسبُّون من يبدِّعهم ويسفهونه بأفظع الألفاظ؛ وذلك لأن كلام أهل السنة في مشايخهم هو كلام في أتباعهم من باب اللزوم؛ إذْ يلزم من تبديع الرءوس تبديع الأتباع والأفراخ والفروع، وسقوط رءوسهم سقوط لهم.

إذْ ما الذي يحمل رجلًا مستقيم المعتقد، صالح المنهج على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، على شريعة الفرقة الناجية، أن يغضب ويتعصب عندما يُسفَّه أهل الأهواء، ومن منهج الفرقة الناجية بالإجماع بيان

حال المبتدعة والتحذير منهم وإذلالهم وتحقيرهم؟!

لذلك قال أبو بكر بن عياش ما قاله من الكلام الحق والضابط المبيِّن لأهل الأهواء حيث قال: «السني الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها» أو: «لم يتعصب لشيء منها».

فإذا تعصب فهو يقينًا ليس من أهل السنة؛ بل من أهل الأهواء؛ يدفعه معتقده الحق ومذهب الباطن المتستّر عن الناس، على الغضب لهم والدفاع عنهم والتعصُّب لمنهجهم الباطل الزائف.

ومن هنا قال أبو الدرداء ﷺ وهو من علماء الصحابة ﷺ، كما مر:

«من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه».

ثم روى ابن بطة ذلك عن الصحابة عامة حيث قال الأعمش:

«كانوا لا يسألون عن الرجل بعد ثلاث: ممشاه، ومدخله، وإلفه من الناس».

والذين لا يسألون هم الصحابة؛ وعدم سؤالهم؛ لوضوح حاله من الثلاث.

وعليه، فالنظر إلى الأُلفة وتأثيرها في التبديع هو منهج الصحابة ﷺ، بأثر الأعمش المذكور، ورواه ابن بطة أيضًا عن عليٍّ ﷺ.

٣- لا يلزم لِصِحَّة التبديع طول الصحبة والملازمة:

ولا يلزم طول الصحبة حتى يُبدَّع الرجل بها، بل أقلُّ ما يصدق عليه اسم الصحبة من ملازمة المبتدع فترة زمنية ليست بالطويلة، فقد يصاحب الرجل مثله فيألفه في ليلة، ثم يعاوده مرَّات يسيرة؛ لأنه ما عاد إلا لألفته له.

وقد مرَّ أثر البَتِّي الذي رواه ابن بطة (٤٨٢) حيث قال:

«كان عمران بن حطان من أهل السنة، فقدم غلام من أهل عمان كالبغل

فقلبه في مقعد». فأثَّر فيه وإلفه من جلسة واحدة، وكان من أهل السنة يعلم السنة والبدعة، ولو كان سُنيًّا حقًّا ما أثر فيه إلا أن يقال: إنها خطورة مجالسة المبتدعين، ولكن هذه الخطورة توجد ثمارها بوجود أصل التلاقي؛ وهو مناسبة الأرواح ابتداءً.

ويؤكده حديث: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف**»، فالمبتدع يألف ما يشاكل ويناسب روحه، إذْ مجرد حدوث الائتلاف يُوقع التبديع، ولفظة الحديث عامة فتشمل جنس الائتلاف قليله وكثيره، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

وكذلك عموم قوله: «**المرء على دين خليله**» فإذا حدثت الخلَّة والصحبة حدث التشاكل في الدين والمعتقد والمذهب.

وكذلك عموم قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] يُظهر أنَّ المثلية إنما تكون من مجرد القعود مع أهل الأهواء والرضا بفعلهم وصنيعهم؛ حيث قال تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

فإذا حدث السماع للخوض في آيات اللَّه والابتداع، ثم جلس المستمع معهم ورضي فلم ينكر، فهو منهم ومثلهم، بمجرد السماع الذي جعله اللَّه علامة مع الرضا على المثلية، وذلك مع شرط علمه بحالهم وبدعتهم.

وهذا هو الذي فهمه الصحابة، فقال ابن مسعود: «اعتبروا الناس بأخدانهم» وفي رواية: «اعتبروا الرجل بمن يصاحب»، فبمجرد حصول الصحبة يحدث الاعتبار، وهي كما فصَّلت من قبل: الصحبة على علم المُصَاحِبِ لحال المصاحَبِ، ومعرفة حاله ومذهبه ومعتقده ونحلته.

ويظهر ذلك في قول الأوزاعي: «من ستر عنَّا بدعته لم تخف علينا أُلفته»

فمجرد الألفة تفضح صاحبها وتبيِّن مكنون نفسه وما يعتقده قلبه، وما يدين به من المذهب، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]؛ فإنه لو اختلفت الشاكلة لحدث التنافر ابتداءً، فلما تآلفوا عُلم اتحاد شاكلتهم.

ولذلك روى الأصمعي عن فقهاء المدينة -كما مرَّ من رواية ابن بطة- قولهم: «إذا تلاحمت بالقلوب النسبة، تواصلت بالأبدان الصحبة» فهذه الأُلفة عاطفة غلَّابة قوية لا يستطيع المرء منهم إخفاءها، فتجده مُنْسَاقًا إليهم، مدفوعًا لصحبتهم، متكلمًا بأقوالهم، صانعًا لأفعالهم، ويظهر ذلك أيضًا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٠] وقد مر معنى البطانة، وهي: خاصة الرجل الذين يستبطنون أمره، ومن هنا جزم سفيان الثوري ببدعة الربيع بن صبيح، وما سأل منذ متى هذه البطانة بطانته؟ وما سأل ابن مسعود وفصَّل أن اعتبار الرجل بصاحبه لا يكون إلا بعد فترة من الصحبة، بل أطلقوا القول في ذلك، فعُلم أنَّ التبديع يكون بمجرد حدوث الصحبة التي يحدث بها الاعتبار، ويظهر ذلك في بقية الأثر، حيث قال ابن مسعود «فإنما يصاحب من هو مثله».

وفي رواية قال: «إنما يماشي الرجل ويصاحب من يُحبه ومن هو مثله».

ولأن الأرواح جنود مجندة؛ فلا تستقيم مصاحبةٌ لرجل سُنِّي مع بدعي لأنهما لا يتناسبان، ولا يشاكل أحدهما الآخر، بل من مجرد التلاقي الأول تحدث النفرة والبغضة، كيف لا، وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يُفصل، لما قال: «ولو أنَّ مؤمنًا دخل مسجدًا فيه مائة، ليس فيهم إلا مؤمن؛ لجاء حتى يجلس إليه، ولو أنَّ منافقًا دخل مسجدًا فيه مائة ليس فيها إلا منافق واحد؛ لجاء حتى يجلس إليه» وقد مرَّ من قبل.

فبيَّن أنَّ هذه الألفة تحدث من أول لقاء لهما في المسجد، وظاهر جدًّا من سياق الأثر أنهما تلاقيا لأول مرة.

وذلك؛ لأن طول الملازمة بينهما إنما يَحْدُثُ بعد ذلك، وقد قامت على الأصل الأول الرئيس، وهو تعارف الأرواح وأنها جنود مجندة، متناسبة، متشاكلة، متعارفة، متجانسة.

ولذلك -كما مرَّ- لما قدم موسى بن عقبة الصوري بغداد ما زاد الإمام أحمد على أن قال: «انظروا على من نزل، وإلى من يأوي» فبمجرد نزوله على أهل الأهواء كان منهم؛ لأنه لا يستطيع أن ينزل إلا على من يشاكله ويناسبه؛ فإن الأرواح جنود مجندة.

رحمة اللَّه على أئمة السلف؛ فما ضلت الأمة وهلكت إلا من الإعراض عن منهجهم؛ لذلك روى اللالكائي في أصول الاعتقاد (١٠٦) عن عبد اللَّه ابن مسعود رضي الله عنه قال:

«إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر».

وعليه، فلا يُبدَّع بمجرد اللقاء العابر، أو اللقاءات الاضطرارية من غير عمد ولا قصد، وإنما يحدث التبديع بالمعاودة المُختارة المتعمدة التي هي نتاج غلبة تعارف الأرواح وتآلفها.

وإن المتأمل للأدلة في هذه المسألة ليعلم أنه لم يشترط فيها وجود الشروط وانتفاء الموانع، كما هو في مسألة التكفير، اللهم إلَّا العلم بحال المبتدع وبدعته، وما دام الرجل بالغًا عاقلًا مختارًا عالمًا بحال أهل الأهواء ثم صاحَبَهُم وأَلِفَهُم فهو منهم قد لحق بهم، كذا جاءت الأدلة مطلقة سواء في القرآن أو السنة أو آثار السلف؛ فالذي يُخضع نفسه للدليل بفهم السلف فلا يتهيَّب أن يقول بما وصل إليه عِلْمُهُ، إن كان متجرِّدًا للأدلة من غير تحريف ولا تأويل فاسد للنصوص.

٤- تأثير مُجَرَّد المشي مع صاحب البدعة في الحكم على الرجل عند السلف:

لقد وصل أمر السلف إلى الامتناع عن تغسيل الميت بعد العزم على ذلك

وكشف جسده؛ لما عَلِمُوا منه ما منعه؛ **فقد روى ابن بطة (٥٠٣) في الإبانة الكبرى عن هشام عن أيوب السختياني**، أنه دُعي إلى غسل ميت، فخرج مع القوم، فلما كشف عن وجه الميِّت عرفه، فقال: «اقبلوا قِبَلَ صاحبكم، فلست أُغسِّله، رأيته يماشي صاحب بدعة».

سبحان ربي العظيم! واللَّه الذي لا إله إلا هو، وكأنَّ القوم لا يقرأون، ولو قرأوا لا يفقهون، ولو فقهوا لا يعملون، فلم يقل الإمام السختياني: رأيته مصاحبًا مؤالفًا لصاحب بدعة، بل قال: يماشي صاحب بدعة؛ ثم بيَّن ابن بطة العِلَّة فيما فعله الإمام السختياني؛ **فروى بعد هذا الأثر (٥٠٤) عن عبد اللَّه بن مسعود** رضي الله عنه **أنه قال**: «إنما يماشي الرجل ويصاحب من يُحبه ومن هو مثله»، وهذا من ابن بطة رحمه الله انتصارٌ واستحسانٌ لما فعله السختياني والقول به، وهذا حال سلفك الكرام فاعلم ذلك. .

- **لا يجوز لمشايخ أهل السنة غشيان مساجد المبتدعة، ولا فتح مساجد السنة لهم ولا لطلابهم:**

وإنه مما يُحزنني جدًّا -وربِّ الكعبة- أنه قد وصل إلى علمي أنَّ بعض من يحسبه الناس من مشايخ أهل السنة، لمن يغشى مساجد أهل البدع؛ بغرض الدعوة ونشر المنهج؛ وهذا في غاية الفساد؛ لأنه كما قال السلف: لا يصح ولا يستقيم أن يجتمع السني والبدعي على منبر واحد، في مكان واحد، بل في شارع واحد كما مرَّ في هذه المسألة؛ فإن كان المسجد من مساجد الضرار التابع لأهل الأهواء، فلن يمكنُّوك أن تقول ما تريد، ولو قلت فلن تستطيع أن تقول إلا تلميحًا بضعف لا بقوة، مما يؤدِّي إلى أن تتخلَّق بأخلاق المنافقين -عياذًا باللَّه- في عدم ردِّ باطلهم؛ وتبرر لك نفسك ذلك تحت شعار: مصلحة الدعوة والتدرج فيها، ولو -جدلًا- قلت الحق في مرَّة، أتى من بعدك من أهل الأهواء على نفس المنبر وهدم ما قلت هدمًا، مما يؤدي إلى اختلاط الحق بالباطل، وتلبيس الدين على المسلمين، ومما يؤدي إلى غشيان

طلبة العلم من أهل السنة هذا المكان بسببك، مما يؤدي إلى تعرضهم لمجالسة ومحادثة أهل البدعة، وهذا فيه من الفساد ما فيه.

وكذلك لابد من تطهير مساجد أهل السنة من الدخلاء عليها، وعدم التساهل في ذلك الأمر؛ فإنه مما يُؤْلِمُني أنَّ بعض من يُنسب إلى السنة ومشايخها، لمن يفتح مسجده وأحضانه لطلبة أهل البدع، بل ويفتحون لهم أحضانهم، من غير تبيين ولا توضيح يترتب عليه تميّز الصف السني عن غيره، وهؤلاء المشايخ يعلمون انتماء هؤلاء الطلبة إلى أهل البدع والأهواء، وهذا فيه من المفاسد ما فيه، وقد فصَّلت القول في هذه المسألة الخطيرة في كتابي: «دمعة نذير»، وقد مرَّت جملة الآثار في هذه المسألة التي تكشف عن وجوه الأخطار المتفجرة من مخالطة أهل البدع سواء مشايخهم أو طلابهم، إذْ قد ثبتت خطورة بعض طلبة العلم المبتدعين، خطورة أشد على الدعوة من خطورة مشايخهم، فليتق امرؤ اللَّه في نفسه، وفي طلاب أهل السنة، وإلا فمن أصرَّ بعد البيان فمصيره إلى اللَّحاق بأهل البدعة ولا كرامة، فإن منهج التبديع بالصحبة والألفة واضح بيِّن، ولا تقتصر صور الإلحاق على إلحاق الطالب بالشيخ المبتدع، أو الشيخ بالشيخ، بل كذلك على إلحاق الشيخ بالطلاب ممن حوله؛ لأنهم بطانته؛ فليحذر امرؤ هذا المنهج السديد الفاضح الكشاف، وإلا فلا يلومن رجل إلا نفسه، فمن وُجدت فيه أسباب التبديع بدّع ولا كرامة؛ ليميز اللَّه الخبيث من الطيب.

ولا يقول الرجل: ليس عندي مسجد أدعو فيه، وإني مضطرٌّ لغشيان مساجدهم، فهذا لا شيء، فلا واجب مع العجز، والقدرة مناط التكليف، فامكث في بيتك ويبلغ اللَّه عنك إنْ أحسنت النيَّة للَّه وحده، وقد كفاك إخوانك من أهل السنة ما تتكلف أنت فعله بوسيلة غير صالحة، ليس وراءها إلا صبغ مساجد أهل البدع والأهواء بالصبغة السُّنِّية، وهذا فيه من المفاسد ما فيه، ثم هل قد اقتصرت وسيلة الدعوة على الدرس والخطبة فحسب، وفي

المسجد فقط؟!!

٦- من يجالس أهل البدع أصناف متنوِّعة:

قال العلامة عبيد بن عبد اللَّه الجابري كما في «جناية التَّميُّع على المنهج السلفي» (ص: ١٢-١٧):

«فإنه قد حذَّر علماء أجلاء وأئمة جهابذة من الركون إلى أهل البدع والشطط وممازجتهم ومخالطتهم مخالطة تميُّع وتسكيت وتخدير، من عصر الصحابة إلى اليوم، وأنا ذاكر لكم بعض الأمثلة:

روى اللالكائي عن ابن عباس ﵄ أنه قال: «واللَّه ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحدًا أحبَّ إلى الشيطان هلاكًا منيِّ.

فقيل: كيف؟ فقال: واللَّه إنه ليُحْدِثُ البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إليَّ، فإذا انتهت إليَّ قمعتُها بالسنة فتردُّ عليه».

وقال مُصْعب بن سعد: «لا تجالس مفتونًا؛ فإنه لن يُخطئك منه إحدى اثنتين: إما أن يفتنك فتتابعه، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه».

وأبلغ من هذا: قوله ﷺ: «**المرء على دين خلله، فلينظر أحدكم من يخالل**».

فإذا تقرر هذا، فاعلموا أنَّ من يجالسون أهل الشطط وأهل الأهواء أصناف، ولا يمكن أن نُسوِّي بينهم في الحكم، فكل صنف منها كما ستسمعون يختلف في الحكم عن الآخر:

أحدها: من كان إمامًا قويًّا جهبذًا صادعًا بالحق، يهابه هؤلاء؛ لما هو متميز به من القوة في المنهج والرسوخ في العلم، وقد ترجَّح لديه في هذه المجالسة مصلحة من كسر شوكتهم أو تقليل شرِّهم أو التأثير فيهم بالنُّصح، مثلما كان يصنع الشيخ عبد العزيز بن باز؛ فهذا سلفيٌّ قحٌّ محض خالص خال

-إن شاء اللَّه- من شوب الحزبية[1].

الصنف الثاني: من هو سلفي سليم، لكنه ليس عنده فرقان ولا إدراك للمناهج، هو يظهر السلفية ويدعو إليها ويصدع بالسنة ويحارب البدعة، لكن ليس عنده فرقان؛ فإنه يجالس كل من سنحت الفرصة بمجالسته، فهذا حقُّه علينا البيان والكشف عن حال هؤلاء بالرفق وبالحكمة، وألَّا نتخلَّى عنه، وألَّا نخلِّي مجلسه لهؤلاء.

الصنف الثالث: من هو مميِّع ضائع يرى أنَّ الكل مصيب هذا وهذا، فهذا لا شك أنه خطر على المنهج، فالواجب تذكيره بحق المنهج عليه ومناصحته ببيان مخالفته بهذا السلوك أهل الحق، فإن انتصح وإلَّا كان منهم ولا كرامة.

الرابع: من يخالط هؤلاء مع المدافعة عنهم وتكثير سوادهم والتشديد على السلفيين؛ فهذا حزبيٌّ محترق.

الخامس: من هو سلفي قحّ، لكنه يرى أنَّ في مخالطة هؤلاء بيان الحق لهم، وإقامة الحجة، مثل ما يصنعه بعض المشايخ -وفقهم اللَّه وسددنا اللَّه وإياهم وإياكم في الأقوال والأعمال- من زيارة بعض الجماعات الدعوية المنحرفة بحجة الصدع بالحق في دارهم وإقامة الحجة عليهم من منبرهم كما يقولون.

فهذا عندي خالف الأوْلى.

نحن نشدِّد عليهم فيما بيننا وبينهم، ونغلظ عليهم، ولكن لا نتخلَّى عنهم ماداموا معنا يقوون شوكتنا ويعاضدوننا ويؤازروننا، ولا يكثِّرون سواد هؤلاء، ولا يقوون شوكتهم، وإنما في ظروف معينة ولأسباب معينة أجابوا

---

(١) قلت: أنا لا أعلم أحدًا في بلدنا ممن يجالس الحزبيين ويغشى مجالسهم لنصحهم على هذا الوصف من قوة المنهج مع قوة العلم والحجة والصدع بالحق، فأين شروط غشيانهم؟! إذن هو منهج السلف في نبذهم ونبذ مجالسهم بالكلية.

دعوتهم[١] فأقاموا في نواديهم المحاضرات أو الدورات العلمية[٢]، هؤلاء عرفنا منهم أشياخًا هم لهم باعهم، ولهم رسوخهم في المنهج السلفي، لكن عندي أنهم خالفوا الأوْلى وأنَّ الحزبيين يتكسَّبون بزيارة هؤلاء» اهـ

قلت: وهو الحاديث، حيث تُصبغ مساجدهم بالصبغة السُّنية ويحدث الخلط على طلبة العلم.

● **فائدة:**

فقد روى الدارمي في المقدمة من سُننه (٢٠٤) الأثر المشهور عن ابن مسعود ﷺ لما ذهب إلى أهل الحلق بالمسجد وأنكر عليهم، وفيه قال:

«والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: واللَّه يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.

قال: كم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول اللَّه ﷺ حدثنا: «**إنَّ قومًا يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم**»، وايم اللَّه، ما أدري لعل أكثرهم منكم؟

قال رواي الحديث: «رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج».

وهذا الأثر يظهر منه جليًّا ومن سياقه مكانة ابن مسعود ﷺ، وقوته في الإنكار، وقبول أهل الحلق الكلام منه، وتوقُّعه أن هؤلاء ببدعتهم التي تظهر صغيرة من كونهم يسبحون على الحصى مائة ويكبرون مائة ويهللون مائة -كما في بداية الأثر- أنهم أصل الخوارج الذين أخبر النبي ﷺ بهم، فهل من يغشى

(١) أي: ليس هذا هو الأصل المستمر، بل هو استثناء على سبيل الندرة فحسب.

(٢) وهل يسمح أهل الأهواء الحزبيون والقطبيون منهم لأهل السنة بذلك، بما يُظهر عوارهم وفساد منهجهم؟! أم أنَّ الأمر على منهج التدرج في الدعوة الذي فسد به العباد والبلاد؟!

أهل الأهواء من أهل السنة هذا حاله في قوة الإنكار، أو هل هذا حال المبتدعة في قبول الإنكار والانكفاف والانزجار والردع به؟! فكل هذا غير حادث.

كذلك، هل هذا الذي فعله ابن مسعود رضي الله عنه على سبيل الاستثناء أم هو الأصل؟!

ثم الاستدلال بهذا الأثر في هذا الموطن فيه نظر، لماذا؟ لأن الحادث، أنَّ الرجل من أهل السُّنة يذهب إلى مساجد يغشاها رجال من أهل البدع هم رموز في نشر البدعة والدفاع عنها وتسفيه أهل السنة والطعن فيهم، وهم معاندون منحرفون عن أصل منهج أهل السنة والجماعة، فصار نزولهم في كان ومسجد معين علامة على أنَّ هذا المسجد من مساجد الضرار الذي يُنشر من خلاله منهجهم ويظهر هذا من تمكُّنهم من المسجد بكثرة خُطبهم ودروسهم.

فإذا أتى رجل من أهل السنة لهذا المسجد وكانت له خطبة شهرية، أو درس واحد، فإن الذي يقوله، لو تمكن من القول بقوة -كقوة ابن مسعود رضي الله عنه- جدلًا، فإنه سيهدم ويشوَّه قطعًا وجزمًا.

وعليه فلن يحدث إلا كما قال الشيخ عبيد الجابري آنفًا: «إنَّ الحزبيين يتكسَّبون من زيارة هؤلاء».

ونفس الأمر في قصة ابن عباس رضي الله عنهما المشهورة مع الخوارج؛ فإنه ذهب إليهم مرة، ساعة؛ قدر الإبراد بالظهر؛ لما طلب من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذلك، فأقام عليهم الحجة ورجع منهم ألفان، وفي رواية: ثلاثة آلاف، وكذلك، إنما كان على سبيل الاستثناء.

أما أن يكون للرجل من أهل السنة درسًا مستمرًّا في مساجدهم فهذا خلاف منهج السلف، ومن ثم لا يُستدل بمثل هذين الأثرين في هذا الموطن.

وذلك لأن من أجاز من العلماء مخالطة أهل الأهواء للنصيحة اشترط في

ذلك قبولهم للنصيحة وعدم إصرارهم على باطلهم، وهذا هنا منتفٍ لأن في نفس المسجد الذي يغشاه الرجل من أهل السنة يُدعى فيه لمنهج أهل البدع ويُزَيَّن للناس فيه الباطل في شكل الحق، وعليه فالأمر والحال مختلف هنا.

ثم أقول: ما هي الضرورة لهذا الفعل من غشيان مجالس ومساجد أهل البدع، وهل هذا فرض عين حتى نقول يأثم من يتركه، أم هو في أقصى تقدير له جائز مباح؟! ولو كان جائزًا مباحًا يأتي من ورائه جملة من المفاسد التي ذكرتها في النقطة (٥) السابقة، ألا يتحوَّل الجائز المباح بهذه المفاسد إلى حرام منهيٍّ عنه؛ كما قال الأصوليون: «الوسائل لها أحكام المقاصد» وهذا لا خلاف فيه بينهم.

ولا خلاف بينهم أيضًا في أن المباح يتحول إلى واجب أو حرام أو مستحب أو مكروه بحسب ما يفضي إليه.

نسأل اللَّه -جل وعلا- أن يبصِّر إخواننا من أهل السنة بما يُحبه ويرضاه.

وعلى ضوء هذا التفصيل يُعلم، أنه ليس الطريق إلى تبديع الرجل قيامه بالبدعة أو الدعوة إليها فحسب؛ فهذا واضح بيِّن لا شبهة ولا لبس فيه، وإنما الخطورة واللبس فيمن يَدْعُو ظاهرًا بدعوة أهل السنة وهو ليس منهم بل من غيرهم، ومن هنا يحدث الفساد المستشري العريض الذي يكون في السر لا في العلن، فكان إلقاء الضوء على منهج التبديع بالصحبة والألفة كشافًا لمكر المبتدعين المستترين بستار السنة؛ ليلبسوا على الناس دينهم الذي ارتضاه اللَّه لهم، واللَّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

٧- التبديع بالصحبة والألفة له وجهان: وجهٌ مُسْتأنف، ووجه كاشف لا مستأنف:

والمراد: أنَّ الوجه الأول للتبديع هنا هو التبديع لمن صَحِبَ وأَلِف

المبتدعين وغشي مجالسهم، وتعصب لهم ابتداء، ولم يكن قد عُلم عنه من قَبل أنه من أهل البدع المتسترين، فهذا يُلْحَق بهم، فكان التبديع هنا مستأنفًا جديدًا لمن لم يكن من قبل كذلك.

وأما الوجه الثاني، وهو الوجه المُظْهِر، ومثاله: رجل مبتدع متستِّر لا يُعلم حاله؛ سواء لأخذه بمبدأ التقية؛ ولكذبه وغشِّه، فلم يفصح عمَّا يعتقده ويدين به، أوْ لأنه من المكر بحيث لا يضطر للكذب وللتقية، ولكنه صامت لا يُعلم أمره لعدم وضوحه من قبل.

وسواء كان هذا أو ذاك، فهنا ظهور ألفته وصحبته وتعصّبه لأهل الأهواء يكون مظهرًا وكاشفًا لأصل بدعته المخفيَّة المسْتترة، ففي حالته لم يكن التبديع مستأنفًا، بل كان مستكْشِفًا مُفْضِحًا مُظْهِرًا لما كان مخفيًّا من قبل ومستترًا.

وسبحان ربي العظيم، فلقد كانت هذه الفتنة الإخوانية التي تمرُّ بها البلاد من الأسباب القوية في بيان حقيقة ومذاهب الكثير ممن يتكلمون في دين اللَّه، فكشفت وفضحت وأظهرت؛ ومن هنا كان إلقاء الضوء -حديثًا- على منهج السلف في التبديع بالصحبة والألفة وبيان ضابطه ومعناه وكيفيَّته من خلال تتبع كتب السلف وآثارهم، لمن الأهمية بمكان، وهذا ما قمت به في هذا الكتاب، وإني أتحرَّى دائمًا أنْ أكتب فيما لم يُكتب من قبل؛ على حسب الحاجة ومصلحة الدعوة في بيان السنة من البدعة.

٨- إجماع السلف على أنَّ الرجل يصيرُ مُبتدعًا ببدعة واحدة، مما ينسفُ القول بالموازنات:

وهذه النقطة مهمة جدًّا في بيان ضابط التبديع بالصحبة والألفة، وبمعرفتها يستقيم لك الأمر ويتضح:

وقد بيَّنت في كتابي «إعلام الموقعين بجناية تنزيل الموازنات على

المبتدعين» (ص٤٤- ٥٤) المسألة الثانية: فصل الخطاب في بيان متى يصير الرجل مبتدعًا عند السلف وأولي الألباب.

نقلت فيها أربعة إجماعات في ذلك.

منها: إجماع ابن بطة العكبري، والذي ذكره في الإبانة الصغرى (ص٤٢)

قال: «ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووصفها، وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد، ودان به، سمّي بها، واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إنْ خالفها أو شيئًا منها، دخل في جملة من عيَّناه وذكرناه وحذرنا منه من أهل البدع والزَّيغ، مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة، مذ بعث اللَّه نبيّه إلى وقتنا هذا» اهـ.

ووجه الدلالة في قوله: «وما إنْ خالفها أو شيئًا منها»، ثم نقل الإجماع على ذلك.

ومنها إجماع حرب الكرماني:

قال الإمام ابن القيم في نهاية كتابه: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٣٠١) قال:

«ذكرنا في أوَّل الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها، كما حكاه الأشعري، ونحن نحكي إجماعهم، كما حكاه حربُ صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظة، قال في مسائله المشهورة:

«هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق» اهـ.

فانظر -هداك اللَّه للسنة- إلى لفظة: «شيئًا» في الإجماعين وهي نكرة؛

ليُستدل على أنَّ من خالف خصلة واحدة من خصال السنة صار مبتدعًا .

لذلك قال الإمام أحمد في «أصول السنة» التي رواها اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣١٧) :

«أصول السنة عندنا . . . . ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها . . . » اهـ.

فببدعة واحدة يفعلها الرجل وهو يعلم أنها بدعة يصير مبتدعًا ، فإذا أنزلت هذه الإجماعات على من بُدِّع بالصحبة والألفة استقام الأمر بمصاحبته لمبتدع واحد ، فإذا تعددت صحبته لأنواع من أهل البدع ، لزمه بكل واحد بدعة .

وهذه الإجماعات المذكورة ، تُدمِّر ما يُسَمَّى بالموازنات تدميرًا أتى بُنيان الموازنات من القواعد ، فخرَّ على أهلها الأسقف والجدران من فوقهم .

ومن أهم خصال السنة ، وصفات السني : تجنُّب أهل الأهواء والبدع ، وعدم مخالطتهم ومجالستهم والتكلّم معهم والدفاع عنهم والتعصب لهم ؛ وذلك كما مرَّ في المسألة الثالثة .

أمَّا منهج الموازنات ، فهو المنهج التمييعيُّ الذي تُتلمَّس فيه الأعذار لأهل البدع والأهواء ، ومنه قالوا : يعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه هكذا مطلقًا ، وهذا هدم لأصل الدين ونقض لعرى الإسلام عروة عروة .

٩- الأصل في أهل الأهواء أنهم لا يتوبون ولا يرجعون إلا نادرًا:

روى مسلم في صحيحه (١٠٦٧) باب : الخوارج شر الخلق والخليقة ، من حديث عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إنَّ بعدي من أمتي ،** (أو : **سيكون بعدي من أمتي) قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة**» فكما أن السهم لو انطلق من الوتر لا يرجع ، فهؤلاء لا يرجعون .

روى الآجري في الشريعة (٦٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد

واللفظ له (٢٨٦) عن سلَّام بن أبي مطيع قال:

«قال رجل لأيوب: يا أبا بكر، إنَّ عمرَو بن عبيد قد رجع عن رأيه!! قال: إنه لم يرجع، قال: بلى يا أبا بكر إنه قد رجع، قال أيوب: إنه لم يرجع -ثلاث مرات- أما إنه لم يرجع؛ أما سمعت إلى قوله:

«**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يرجع السهم إلى فوقه**».

وقوله: (**فوقه**) أي: لا يرجع السهم إلى موضع الوتر منه، كما قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٤٣٢).

وقال محمد بن سيرين فيما رواه الدارمي في مقدمة سننه (٢٠٨):

«ما أخذ رجل ببدعة فراجع سنة».

وقال الشاطبي في الاعتصام (١/ ١٢٧ - ١٢٩):

«وأما أنَّ صاحبها ليس له من توبة؛ فلما جاء من قوله ﷺ:

«**إنَّ اللَّه حجز التوبة على كل صاحب بدعة**»[١].

وعن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال: كان يُقال: يأبى اللَّه لصاحب بدعة توبة، وما انتقل صاحب بدعة إلَّا إلى شرٍّ منها.

ونحوه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه إلا إلى ما هو شرٌّ منه.

خرَّج هذه الآثار ابن وضَّاح.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤٢٠٢) قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٧٥): «رجاله رجال الصحيح، غير هارون بن موسى الفروي، وهو ثقة» اهـ. والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٦٢٠).

وخرَّج ابن وهب عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول: اثنان لا نعاتبهما: صاحب طمع، وصاحب هوى؛ فإنهما لا ينزعان.

وعن ابن شوذب قال: سمعت عبد اللَّه بن القاسم وهو يقول: ما كان عبد على هوى تركه إلا إلى ما هو شرٌّ منه.

قال: فذكرت ذلك لبعض أصحابنا فقال: تصديقه في حديث عن النبي ﷺ: «**يمرقون... ثم لا يعودون**».

وعن أيوب قال: كان رجل يرى رأيًا فرجع عنه فأتيت محمدًا فرحًا بذلك أخبره، فقلت: أشعرت أنَّ فلانًا ترك رأيه الذي كان يرى؟ فقال: انظر إلام يتحوَّل؟ إنَّ آخر الحديث أشد عليهم من أوله، أوَّله: «**يمرقون من الدين**»، وآخره: «**ثم لا يعودون**».

فهذه شهادة الحديث الصحيح لمعنى هذه الآثار، وحاصلها أنْ لا توبة لصاحب البدعة عن بدعته، فإنْ خرج عنها، فإنما يخرج إلى ما هو شرٌّ منها، كما في حديث أيوب، أو يكون مما يظهر الخروج عنها وهو مصرٌّ عليها بعد، كقصة غيلان مع عمر بن عبد العزيز؛ ويدل على ذلك أيضًا حديث الفرق، إذ قال فيه: «**وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما تجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله**»[1].

وهذا النفي يقتضي العموم بإطلاق، ولكنه قد يحمل على العموم العادي؛ إذ لا يبعد أنْ يتوب عما رأى ويرجع إلى الحق كما نقل عن عبد اللَّه بن الحسن العنبري، وما نقلوه في مناظرة ابن عباس الحرورية الخارجين على عليٍّ رضي الله عنه، وفي مناظرة عمر بن عبد العزيز لبعضهم، ولكن الغالب في الواقع الإصرار، ومن هنا قلنا: يبعد أن يتوب بعضهم؛ لأن الحديث يقتضي العموم بظاهره» اهـ.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٥٩٧)، والحاكم في المستدرك (٤٤٣) وصححه ووافقه الذهبي، قالا: «هذه أسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح هذا الحديث» اهـ.

قلت: وكما قعَّد الفقهاء: «الحكم للغالب الشائع، ولا حكم للنادر» وإنما تُعرف توبة من رجع منهم، بقوته فيها، وشدته على أهل الأهواء الذين كان منهم من قبل، وعدم التميُّع والميوعة، وإظهار البراءة الرجولية منهم، والرغبة دائمًا في فضحهم وكشفهم بالقول والفعل والكتْب وبما تيسَّر من وسائل الكشف، كما كان حال أبي الحسن الأشعري، فقد كان من أشد الناس على المعتزلة بعد توبته، وكحال نعيم بن حماد الخزاعي لما كان من أشدهم على الجهمية وكان من قبلُ منهم، فاجعل ذلك على ذُكْر منك، فإنه نفيس جدًّا، وبهذا يُعلم صدق توبة المبتدع.

روى الإمام القدوة ابن بطة في الإبانة الصغرى (١٥٠) عن ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أنه جاءه رجل فقال له: أنت ذاك الجهمي؟ قال: نعم، قال: إذا خرجت من عندي فلا تعد إليّ، قال الرجل: أنا تائب، قال: لا حتى يظهر من توبتك مثل الذي ظهر من بدعتك».

فحال السلف أنه لابد من مطابقة التوبة القولية للتوبة الفعلية مع النظر إلى القرائن القوية التي تُظهر صحة وصدق التوبة والرجوع.

١٠- بيان ضلال المبتدعة واتباعهم ما تشابه منه وتحريفهم للنصوص:

قال الشاطبي في الاعتصام (١/ ١٣٧ - ١٣٩):

«وبقي مما هو محتاج إلى ذكره في هذا الموضع شرح معنى عام يتعلَّق بما تقدم وهو: أنَّ البدع ضلالة، وأنَّ المبتدع ضال ومضل؛ والضلالة مذكورة في كثير من النقل المذكور، ويشير إليها في آيات الاختلاف والتفرُّق شيعًا وتفرق الطرق، بخلاف سائر المعاصي، فإنها لم توصف في الغالب بوصف الضلالة، إلَّا أن تكون بدعة أو شبه البدعة، وكذلك الخطأ الواقع في

المشروعات - وهو المعفو- لا يسمَّى ضلالًا، ولا يطلق على المخطئ اسم ضال، كما لا يطلق على المتعمد لسائر المعاصي؛ وإنما ذلك -واللَّه أعلم- لحكمة قصد التنبيه عليها؛ وذلك أن الضلال والضلالة ضد الهَوَى والهُدَى، والعرب تطلق الهدى حقيقة في الظاهر المحسوس، فتقول: هديته الطريق - وهديته إلى الطريق، ومنه نُقل إلى طريق الخير والشر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

والصراط والطريق والسبيل بمعنى واحد، فهو حقيقة في الطريق المحسوس، ومجاز في الطريق المعنوي، وضده الضلال، وهو الخروج عن الطريق، ومنه البعير الضال، والشاة الضالة، ورجل ضلَّ عن الطريق إذا خرج عنه؛ لأنه التبس عليه الأمر ولم يكن له هاد يهديه، وهو الدليل.

فصاحب البدعة لما غلب عليه الهوى مع الجهل بطريق السنة، توهَّم أنَّ ما ظهر له بعقله هو الطريق القويم دون غيره، فمضى عليه، فحاد بسببه عن الطريق المستقيم، فهو ضال من حيث ظنَّ أنه راكب للجادَّة؛ كالمار بالليل على الجادة وليس له دليل يهديه، ويوشك أن يضل عنها فيقع في متابعه، وإن كان بزعمه يتحرى قصدها.

فالمبتدع من هذه الأمة إنما ضلَّ في أدلتها حيث أخذها مأخذ الهوى والشهوة، لا مأخذ الانقياد تحت أحكام اللَّه، وهذا هو الفرق بين المبتدع وغيره؛ لأن المبتدع جعل الهوى أوَّل مطالبه، وأخذ الأدلة بالتَّبع، ومن شأن الأدلة أنها جارية على كلام العرب، ومن شأن كلامها الاحتراز فيه بالظواهر، فكما تجد فيه نصًّا لا يحتمل التأويل، تجد فيه ظاهرًا يحتمل التأويل مرجوحًا حسبما قرره من تقدم في غير هذا العلم، وكل ظاهر يمكن فيه أن يصرف عن مقتضاه في الظاهر المقصود، ويُتأول على غير ما قصد فيه؛ فإذا انضم إلى ذلك الجهل بأصول الشريعة وعدم الاضطلاع بمقاصدها، كان الأمر أشد

وأقرب إلى التحريف والخروج عن مقاصد الشرع .

فكان المدرك أغرق في الخروج عن السنة ، وأمكن في ضلال البدعة ، فإذا غلب الهوى ؛ أمكن انقياد ألفاظ الأدلة إلى ما أراد منها .

والدليل على ذلك ؛ أنك لا تجد مبتدعًا ممن ينسب إلى الملة وإلَّا هو يستشهد على بدعته بدليل شرعي ، فينزله على ما وافق عقله وشهوته ، وهو أمر ثابت في الحكمة الأزلية ، التي لا مَرَدَّ لها ؛ قال تعالى : ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ [البقرة: ٢٦] وقال : ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ﴾ [المدثر: ٣١] لكن إنما ينساق لهم من الأدلة المتشابهة منها لا الواضح ، والقليل منها لا الكثير ، وهو أدلُّ على اتباع الهوى ؛ فإن المُعْظَم والجمهور من الأدلة إذا دلَّ على أمر بظاهره فهو الحق ، فإن جاء على ما ظاهره الخلاف فهو النادر والقليل ، فكان من حق الظاهر ردّ القليل إلى الكثير ، والمتشابه إلى الواضح ، غير أنَّ الهوى زاغ بمن أراد زيغه ، فهو في تيهٍ من حيث يظنُّ أنه على الطريق ، بخلاف غير المبتدع ، فإنه إنما جعل الهداية إلى الحق أوَّل مطلبه ، وأخر هواه -إن كان- فجعله بالتَّبع ، فوجد جمهور الأدلة ومعظم الكتاب واضحًا في الطلب الذي بحث عنه ، فوجد الجادَّة ، وما شذ له عن ذلك ، فإما أن يردَّه إليه ، وإما أن يكله إلى عالمه ولا يتكلَّف البحث عن تأويله .

وفيصل القضية بينهما قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧] .

فلا يصح أن يُسَمَّى مَنْ هذه حاله مبتدعًا ولا ضالًّا ، وإن حصل في الخلاف أو خفي عنه .

أما أنه غير مبتدع ؛ فلأنه اتبع الأدلة مُلقيًا إليها حَكَمَةَ الانقياد، باسطًا يد الافتقار، مؤخرًا هواه، ومقدمًا لأمر اللَّه .

وأما كونه غير ضال؛ فلأنه على الجادة سلك، وإليها لجأ، فإن خرج عنها يومًا فأخطأ، فلا حرج عليه، بل يكون مأجورًا حسبما بيَّنه الحديث الصحيح:

«**إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران**»[1]، وإنْ خرج متعمدًا فليس على أنْ يجعل خروجه طريقًا مسلوكًا له أو لغيره، وشرعًا يدان به، على أنه إذا وقع الذنب موقع الاقتداء قد يسمى استنانًا فيعامل معاملة من سنَّهُ كما جاء في الحديث: «**من سنَّ سُنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها**»[2] الحديث، وقوله ﷺ: «**ما من نفس تُقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها؛ لأنه أوَّل من سنَّ القتل**»[3] فسمَّى القتل سُنَّة بالنِّسبة إلى من عمل به عملًا يقتدى به فيه، لكنه لا يسمَّى بدعة؛ لأنه لم يوضع على أن يكون تشريعًا؛ ولا يسمى ضلالًا؛ لأنه ليس في طريق المشروع أو في مضاهاته له». اهـ

١١- المبتدعون ليسوا سواءً في درجة الضلال:

قال الشاطبي في الاعتصام (١/ ١٦٥ وما بعدها)، مختصرًا:

«إذا ثبت أنَّ المبتدع آثم، فليس الإثم الواقع عليه على رتبة واحدة، بل هو على مراتب مختلفة؛ واختلافها يقع بحسب النظر الفقهي؛ ويختلف من جهة كون صاحبها مستترًا بها أو معلنًا، ومن جهة كون البدعة حقيقية أو إضافية، ومن جهة كونها بيِّنة أو مشكلة، ومن جهة كونها كفرًا أو غير كفر، ومن جهة كونه داعيًا أو غير داع إليها، ومن جهة مع الدعاء إليها خارجًا على غيره أو غير خارج، ومن جهة الإصرار عليها أو عدمه، إلى غير ذلك من الوجوه التي يقطع معها بالتفاوت في عظم الإثم وعدمه، أو يغلب على الظن.

---

(١) البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) متفق عليه.

(٢) مسلم في صحيحه (١٠١٧).

(٣) متفق على صحته، البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧).

وهذا المعنى وإن لم يخف على العالم بالأصول؛ فلا ينبغي أنْ يُترك التنْبيْه على وجه التفاوت بقول جملي، فهو الأوْلى في هذا المقام.

فأما الاختلاف من جهة كون صاحبها مدعيًا للاجتهاد أو مقلدًا فظاهر، لأن الزَّيغ في قلب الناظر في المتشابهات ابتغاء تأويلها؛ أمكن منه في قلب المقلد، وإن ادَّعى النظر أيضًا -أي: المقلد-؛ لأن المقلد الناظر لابد من استناده إلى مقلده في بعض الأصول التي يبني عليها.

وأما الاختلاف من جهة الإسرار والإعلان؛ فظاهر أنَّ المسرَّ لها ضرره مقصور عليه لا يتعداه إلى غيره، فإذا أعلن عنها -وإن لم يدع إليها- فإعلانه بها ذريعة إلى الاقتداء بها، فإذا دعا إليها فمظنة الاقتداء أقوى وأظهر، ولاسيما المبتدع ذي اللسان الفصيح الآخذ بمجامع القلوب؛ إذا أخذ في الترغيب والترهيب، وأدْلى بشبهته التي تداخل القلوب بزخرفها، كما كان معبد الجهني يدعو الناس إلى ما هو عليه من القول بالقدر، ويلوي بلسانه نسبته إلى الحسن البصري.

وأما الاختلاف من جهة كونه خارجًا على أهل السنة أو غير خارج؛ فلأن غير الخارج لم يزد على الدعوة مفسدةً أخرى يترتب عليها إثم، والخارج زاد الخروج على الأئمة -وهو موجب للقتل- السعي في الأرض بالفساد، وإثارة الفتن والحروب، إلى حصول العداوة والبغضاء بين أولئك الفرق، فله من الإثم العظيم أوفر حظ.

وأما الاختلاف من جهة كون البدعة حقيقية أو إضافية، فإنَّ الحقيقية أعظم وزرًا؛ لأنها التي باشرها المنتهي بغير واسطة، ولأنها مخالفة محضة وخروج عن السنة ظاهر: كالقول بالقدر، والتحسين والتقبيح، والقول بإنكار خبر الواحد وإنكار الإجماع، وما أشبه ذلك. فإذا فُرضت إضافية: فمعنى الإضافية: أنها مشروعة من وجه، ورأي مجرد من وجه؛ إذْ يدخلها من جهة المخترع رأي في بعض أحوالها، فلم تناف الأدلة من كل وجه.

وبحسب ذلك الاختلاف يختلف الوزر.

ومثاله: جعل المصاحف في المسجد للقراءة إثر صلاة فيها بدعة، فهذه محدثة؛ لأن القراءة في المسجد مشروع في الجملة معمول به، إلا أنَّ تخصيص المسجد بالقراءة على ذلك الوجه هو المُحْدَث.

وأما الاختلاف من جهة كونها ظاهرة المأخذ أو مشكلة؛ فلأنَّ الظاهر عند الإقدام عليها محض مخالفة، فإن كانت مشكلة فليست بمحض مخالفة؛ لإمكان أن لا تكون بدعة، والإقدام على المحتمل أخفض رتبة من الإقدام على الظاهر؛ ولذلك عدَّ العلماء ترك المتشابه من قبيل المندوب إليه في الجملة؛ ونبَّه الحديث[1] على أنَّ ترك المتشابه لئلا يقع في الحرام، فهو حمًى له، وأنَّ الواقع في المتشابه واقع في الحرام، وليس ترك الحرام في الجملة من قبيل المندوب، بل من قبيل الواجب، فكذلك حكم الفعل المشتبه في البدعة، فالتفاوت بينهما بيِّنٌ» اهـ.

قلت: وفي ضوء هذا الكلام المفسَّر يُفهم: أنَّ تبديع الرجل بصحبته وألفته للمبتدعة، أقل درجة وإثمًا من هؤلاء المبتدعة الذين يعلنون ويظهرون بدعهم ويدعون إليها ويوالون ويعادون عليها.

فإذا زاد أمر الابتداع عند المُبدَّع بالصحبة من كونه مصاحبًا فحسب، فإثمه ودرجته في الابتداع بحسب ذلك، أي: أنها تزيد لو تعدى الصحبة والألفة إلى الملازمة، ثم إلى المدافعة عن البدعة ومن صحبهم وألفهم، ثم إلى الدعوة

---

(١) وهو ما رواه البخاري في صحيحه (٢٠٥١ واللفظ له، ومسلم (١٥٩٩)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**الحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما شُبِّه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجترأ على ما يُشكُّ فيه من الإثم أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حِمَى اللَّه، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه**».

إليها وإليهم، ثم إلى التعصب والغضب والموالاة والمعاداة.

وكذلك، فصحبة الخارجي التكفيري الإرهابي، بلا شك أكثر ضررًا من المؤوِّل للصفات قولًا لا يتعدَّاه، وهكذا، وفي كلٍّ شرٌّ وسوء.

وأختم هذه المسألة بهذا البيان النورانيِّ:

فقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء (٨٤٥٥) عن عطاء بن أبي رباح أنه قال:

«بلغنا أنَّ الشهوة والهوى يغلبان العلم والعقل والبيان».

* * *

خاتمة الكتاب
أولًا: إجمال بعد تفصيل

بالانتهاء من المسألة الرابعة من هذه الكتاب، أكون قد انتهيت مما أردت تبليغه وإيضاحه لإخواني، وهو بيان منهج التبديع بالصحبة والألفة وأثره في كشف المبتدعة، كقاعدة مطردة مستمرة، إذا وُجِدَتْ شروطها تنزَّلت على أي أحد؛ بعيدًا عن الاشخاص والأسماء، وهذا هو الهدف الأصلي لهذا الكتاب.

وجعلت تبين هذا البلاغ في أربع مسائل، ومقدمة، أما المقدمة: فبيَّنت فيها أهمية وضرورة كشف وإظهار ما عليه أهل البدع والأهواء من المخالفات المنهجية العقدية؛ صونًا للشريعة المكرَّمة من التحريف والنقض لعراها، من خلال الإنكار عليهم.

ثم بيَّنتُ فيها الفرق بين الإنكار على زلَّة العالم من أهل السنة والجماعة في مخالفته النصوص من غير تعمد، إما لعدم علمه بالدليل، أو تضعيفه له، أو لتأويله له، واجتهاده في فهمه، وبين الإنكار على أهل الأهواء والبدع الذين يضربون بالنصوص عرض الحائط ويتبعون ما تشابه منها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ولوْيِهِم لعنق النصوص بالتأويلات المستكرهة؛ رغبة في إخضاع النصوص لمذاهبهم الباطلة.

مع بيان الفرق بين الإنكار الأول الذي يكون فيه المُنْكِرُ مهذَّبًا مراعيًا لمكانة أهل العلم الربَّانيين، والإنكار الثاني بعد إقامة الحجة، والذي أُمِرْنا فيه بإهانة المبتدعين وإذلالهم؛ لرغبتهم في تحريف النصوص ونقض عرى الإسلام عروة عروة، ووسيلتهم: إحياء البدع وإماتة السنن، وقد بيَّنت ذلك من خلال إيراد رسالة ابن رجب الحنبلي: «الفرق بين النصيحة والتعيير»

والتعليق عليها ؛ وقد تعمَّدت إيراد هذه الرسالة تحديدًا ؛ لأن فهمها يشتبه على كثير من طلبة العلم، فيشغِّبون بها على من أنكر على أهل الأهواء، في حين أنَّ جلَّ ما فيها على الإنكار إنما هو على أهل السنة والجماعة من السلف الصالحين ومن تبعهم بإحسان، وذلك بنص كلام ابن رجب، ثم لمَّا ذكر المبتدعة، ذكرهم مستثنين من ذلك، ونصَّ على فضحهم وبيان باطلهم.

ثم بيَّنت أن التكلم على أهل الأهواء واجب بإجماع المسلمين، ثم عزوت القارئ على كتابي «التحذير والتبيين بوجوب الردّ على المخالفين» حيث ذكرت فيه الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة والإجماع.

كما أوضحت كيف فرق السلف بين الخطأ أو الزلل وبين البدعة، وما يترتب على ذلك.

ثم كانت المسألة الأولى والتي سمَّيتها: «ظهور البدع ذهاب للعلم والدين، والسكوت عليها نقضٌ لعرى الإسلام وهدم لأصوله».

وقمت بالاستدلال لصحة ذلك بالأدلة الصحيحة المعتبرة من السنة وآثار السلف الصالحين.

ثم سقت كلامًا مهمًّا جدًّا لشيخ الإسلام ابن تيمية بيَّن فيه أهمية معرفة المسلمين للبدع حتى لا يقعوا فيها، وأنه لو لم يحدث هذا لأُميتت السنة، واستشهد لذلك بقول عمر ﷺ: «إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية».

ولذلك استحسن شيخ الإسلام إنكار من كان من المبتدعة ثم تاب اللَّه عليه؛ لأنه يعلم حالهم ومنهجهم؛ ولأنَّ نقده لهم وإنكاره عليهم نابع من إلمامه بأمرهم وأبعاد مذهبهم وشبههم الداحضة.

وبيَّنت كلام أهل العلم في أنَّ أعظم السيوف التي سُلَّت على المسلمين ممن ينتسب إليها من أهل البدع والأهواء، مع بيان العلاقة بين رفع العلم

ونزول الجهل من ناحية، وبين ظهور البدع وانتشارها من ناحية أخرى.

ثم كانت المسألة الثانية وهي: «خطورة التكلم والجلوس مع المبتدعة» وآثار ذلك في تدمير عقيدة المسلمين، من خلال سَوْق جملة كبيرة من كلام السلف، من الإبانة لابن بطة على سبيل الخصوص، ثم من كتاب الآجري: الشريعة، وكتاب اللالكائي: شرح أصول الاعتقاد؛ بما لا يدع لأحد مرية أو شكًّا في خطورة هؤلاء الشياطين، مبتدعي أهل القبلة، حتى نقلت كلام أهل العلم في أنَّ خطر المبتدعة كخطر الدجال في التأثير على المسلمين، وتزيينهم الباطل في صورة الحق، والبدعة في صورة السنة.

ثم بيَّنت أنَّ من أجلِّ نعم اللَّه على العبد أنْ يوفَّق لصاحب سنة من أهل العلم يحمله عليها، ثم ذكرت الإجماع الذي أجمع فيه المسلمون على عظم خطورة البدعة على المعاصي الكبيرة ودليل ذلك، وختمت هذه المسألة به.

ثم كانت المسألة الثالثة: «المبتدع بعير أجرب فأهينوه وأذلُّوه».

فبيَّنت فيها أنَّ إهانة المبتدع دين يُتقرب به إلى اللَّه، واستدللت على ذلك بإجماع الصحابة، والأحاديث الصحيحة الصريحة عن رسول اللَّه ﷺ، وفعل السلف في القرون الثلاثة الأُوَل، وأنَّ السلف قد اشتد نكيرهم على المبتدعة جدًّا.

وبيَّنت من جملة ذلك أنَّ المبتدعة كذَّابون، متلوِّنون، أفَّاكون، مبطلون، وَصَلَ فعلُ علماء السلف معهم أنهم إذا رأوْهم قاموا فوطأوا بطونهم بأقدامهم -حقيقة لا مجازًا- وطردوهم من مجالسهم حتى خرجوا من بلادهم مطرودين شرَّ طردة، وقد سمَّاهم بعض أهل العلم «خوارج الشرائع».

وكما مهَّدت لمسائل الكتاب الثلاث المذكورة بمقدمة، فإنَّ هذه المقدمة والمسائل الثلاث؛ كانت بمثابة التمهيد والمقدمة للمسألة الأم في هذا الكتاب وهي المسألة الرابعة: «التبديع بالصحبة والألفة وأثره في كشف المبتدعة».

ولذلك استدللت لها بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالحين، بأدلة صحيحة صريحة لا تحتمل التأويل، وعضَّدت ذلك بذكر كلام أهل العلم وشرحهم لهذه الأدلة بما يبيِّن صِحَّة هذه القاعدة التي تقتضي تبديع الرجل بألفته وصحبته لأهل الأهواء.

ثم عضدت ذلك ببيان أهمية الأخذ بالقرائن والأمارات في الحكم على الناس، وأنه أصلٌ مُعْتَبر في الشرع عليه الدليل من الكتاب والسنة والإجماع القديم عند التحقيق؛ فإن التبديع بالصحبة والألفة قائم على الأخذ بالأمارات والعلامات والقرائن.

وقعَّدت في هذه المسألة قاعدتين:

الأولى: «التبديع بالصحبة والألفة معتبرٌ شرعًا بالكتاب والسنة والإجماع القديم، وبه تُكشف الحجبُ عن المبتدعين المستترين».

والثانية: «بداية القَدْر المعتبر في التبديع بالصحبة، هو ما تحدث به المعاودة لأهل البدع ومجالسهم بتعمُّدٍ ورغبة، النابعة من الإلف والمحبة - بعد العلم بكونهم مبتدعين، ثم بالثناء عليهم، وذُرْوَتُهُ بالتعصب والغضب لهم».

ثم جعلت على هذه المسألة فوائد مستنبطة بيَّنت فيها تفصيل وجه الاستدلال بالقاعدتين على التبديع بالصحبة والأُلفة.

فبيَّنت فيها معنى الألفة وضابطها المبدِّع، وأنه لا يشترط ملازمة المبتدع حتى يحدث التبديع، وإنما الذي يكفي: معاودة المُبَدَّع للمبتدع الأول الذي بُدِّع لمصاحبته، إلى مصاحبته والجلوس والألفة به، والتكلم معه؛ لأن المعاودة له بعد اللقاء الأول والرغبة في ذلك يدل على الإلف بينهم وأنَّ أرواحهم متآلفة، ولذلك لم يحدث بينهما اختلاف ولا نُفرة.

وبهذا أكون قد انتهيت من المراد من هذا الكتاب بحول اللَّه وقوته والذي لا تتم الصالحات إلَّا به وحده.

أمَّا الفِقْرة الباقية فيه، فليست بمقصودة بذاتها، ولكنَّها كوسيلة للتقرير العملي الفَهْمِيِّ لفكرة هذا الكتاب؛ ولسبب آخر سأذكره.

ولكنْ عليك أن تسحب معك كل ما قيل في المسائل الأربعة من هذا الكتاب لاسيما المسألة الرابعة، مع إجماعات السلف بأن الرجل يصير مبتدعًا ببدعة واحدة، مع بيان الفرق بين الزلل والبدعة، فلا يقال للمبتدع: زلَّ أو أخطأ، وإنما هذا لأهل السنة فقط.

* * *

ثانيًا: النَّمُوذَجُ العملي المعاصر للتبديع بالصحبة والألفة

اعلم -بصَّرك اللَّه بالسنة وأهلها- أنَّ المبتدعة قوم بهت؛ قد جمعوا من الصفات الذميمة الكثير، فتجدهم كذَّابين، مراوغين، خدَّاعين، متلوِّنين، منافقين، يُظهرون عكس ما يبطنون، أصل مذهبهم جمِّع ولا تفرِّق، ومن ثم لا يتكلمون في أحد.

وهذه الصفاتُ فيهم أصولٌ لشخصيَّاتهم لا تتغيَّر ولا تتبدل، إلا أنْ يتوب اللَّه على أحدهم توبة نصوحًا، وقد فصلت القول في ذلك في مسائل الكتاب بأدلَّته.

فكانت جملة هذه الصفات الممقوتة السبب في خفاء حالهم؛ كالرافضي الخبيث الذي إذا جلست معه ترضَّى على الصحابة ﵃ وهو يسبُّهم ويلعنهم ويكفِّرهم؛ فمبدأ التقية هذا هو مذهب أهل الأهواء قاطبة، يختلفون فيه بين الزيادة والنقصان، وقد اجتمعوا على: أصل المبدأ؛ والذي به تكون الحجب والستور المانعة من معرفة حقيقة هؤلاء على التحقيق، وهذا الخفاء الماكر الخبيث - وللَّه الحمد والمنَّة- لا يخفى على أهل العلم، والحاذقين من طلبة العلم، المُلِمّين بمنهج السلف البيِّن الواضح المنار المنير المُستنير، والذي أكاد أجزم أنه لا تخرج ملامحه عن ثلاثة كتب: الإبانة الكبرى، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، والشريعة، لاسيَّما في مسائل أصول السُّنة والبدعة.

ويؤكد ذلك أنَّ الأصل في أهل البدع عدم التوبة والرجوع -كما مر- إلا على سبيل الاستثناء النادر؛ ومن أجل ذلك جمعت جهدي واستخرت اللَّه تعالى العليم الحكيم، في جمع شتات كلام أهل العلم من السلف الكرام ومن

تبعهم مِنْ بَعْدِهم، في وضع قاعدة كلية تساعد طالب العلم في رؤية ما وراء الحجب والستور التي جعلها أهل الأهواء والبدع ليتستَّروا ويختفوا بها وراء راية السنة والسلف؛ والتي ما رفعوها إلا ليلبِّسوا على الناس دينهم.

والذي أردته هنا، وبذلت جهدي في إظهاره، هو الضابط الكلي الذي يصلح كمنار وكشَّاف عام على كل من أراد أن يغشَّ عوامَّ أهل السنة، ومن لا دراية له بمسائل المنهج وأصول المعتقد من طلبة العلم المبتدئين وغيرهم.

وما كنت من السَّفَهِ بمكان حتى أجهد نفسي وأُضيِّع وقتي وأسوِّد البياض في تخصيص الكتابة على مبتدع أُعطيه أكبر من حجمه؛ إذْ هو في ديننا مُهانٌ مُسفَّهٌ منبوذٌ ولا كرامة، إلا أنْ يكون من الخطورة بمكان، كما فعل العلامة الربيع في كتب سيد قطب؛ وما ذلك إلَّا لأنه قطب الضلالة في العصر الحديث، قد تخرَّج من مدرسته كل الجماعات الإرهابية في بلاد العالم الإسلامي، المُتسترة تحت اسم الدين والشريعة فحُقَّ له أنه يكتب فيه، أما هذا الكتاب فأصله بيان مسألة منهجية من مسائل المنهج، ثم يأتي ذكر الأمثلة تبعًا؛ فإنَّ ذكري لهم هنا وهو السبب الثاني الذي ألمحت له قبل؛ بسبب كثرة خداعهم؛ المتمثل في نشاطهم الدعوي الملحوظ المغشوش، فتعيَّن الكلام على حالهم متى وُجد، بعيدًا عن شخصهم، حتى لا يشوَّه منهج أهل السنة والجماعة.

- **التوأمان أبو ثمود وأبو جميلة المبتدعان:**

- **أولًا: أبو ثمود البيليُّ المبتدع المحقور:**

أما أبو ثمود البيلي، فهو المبتدع الضال المُتَسَتِّر المتكبر الذي به سفعة من الشيطان؛ فقد روى الآجُرِّي في الشريعة (٥٢) عن أنس بن مالك ﷺ قال: ذُكر لرسول اللَّه ﷺ رجل ذو نكاية للعدو واجتهاد، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما أعرف هذا**» فقالوا: يا رسول اللَّه؛ نعته كذا وكذا... فقال رسول اللَّه ﷺ:

«**ما أعرفه**»، فبينا هم كذلك إذْ طلع رجل فقالوا: هذا، يا رسول اللَّه؛ فقال: «**ما كنت أعرف هذا، هذا أوَّل قرْن رأيته في أُمتي، إنَّ به لسَفْعَةً من الشيطان**» قال: فلمَّا دنا الرجل، سلم، فردَّ عليه القوم السلام؛ قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نشدتك باللَّه، هل حدَّثت نفسك حين طلعت علينا؛ أنْ ليس في القوم أحد أفضل منك؟**» قال: اللهم نعم.. الحديث، وفي رواية (٥٣) قال ﷺ:

«**إني لأرى على وجهه سَفْعَة من الشيطان**» وهو الحديث الذي أمر النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعليًّا بقتل هذا الرجل فلم يتمكنُّوا منه.

حتى قال ﷺ: «**لو قتل اليوم ما اختلف رجلان من أمتي حتى يخرج الدجال**».

والحديث رواه ابن أبي عاصم في السنة (٩٣٨) باب: (الخوارج والأمر بقتلهم)، وصححه الألباني في ظلال الجنة، وقال: «رجاله كلهم ثقات، ورواه أحمد وإسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الهيثمي (٦/ ٢٢٥) في المجمع: «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح» اهـ.

والشاهد من الحديث في المسألة: قولهم: «رجل ذو نكاية للعدو واجتهاد» وقوله ﷺ: «**إنَّ به لسفعة من الشيطان**» ثم فسَّرها ﷺ بتكبُّره وتزكيته لنفسه بما ليس له بأهل، تزكيةً كاذبة.

وأبو ثمود البيلي قد جمع بين الاجتهاد في الدعوة والنكاية والظاهرة المغشوشة بالحزبيين، مع كِبْرِهِ، ومن يحضر له يعرف ذلك.

فقد أخبرني من قبل الثقة في مسجدي: أنه لمَّا ذهب يُسَلم على هذا الرجل ترك له يده ليقبِّلها، ولم ينزع يده بسرعة عند التقبيل كما يفعل أهل السنة.

وكذلك أخبرني الثقة أنه في إحدى محاضراته لما ذهب ينصرف، نظر إلى حذائه وإلى أحد الإخوة حتى يأتوا له به، وهو لا يعرفه، ولا هو ممن يسير معه فيُقبل منه ذلك محبة وتقديرًا، لا كِبْرًا وطلبًا لذلك، ولمَّا اجتمع المشايخ

المقرَّبون له لينصحوه -كما سيأتي- تكبَّر على نصيحتهم وسار في غيِّه لا يلوي على أحد.

ولمَّا كان هذا الرجل في أحضان المبتدعة على قنواتهم، الرحمة والخليجية وأشباههما ألحقته بهم ولا كرامة؛ فقد ظل معهم سنوات متآلفًا معهم ويستقيم حالهم بحاله.

ثم لمَّا كانت الثورة خرج عنهم وأعلن استقامته على المنهج الحق منهج أهل السنة والجماعة، وغشي مساجدهم وظل يشرح في كتب المعتقد التي تُبيِّن ضمنيًّا -وليس تصريحًا- أنه قد تاب مما كان فيه، وهذا مكر وغش متعمَّد وقد فتح له أهل السنة قلوبهم ومساجدهم، ولنا ظاهره، ويتولى اللَّه سرائره وأحسن فيه أهل السنة الظن ودَعَوْه لدوراتهم العلمية.

وعلى عادتي مع مشايخ أهل السنة وإخواننا الدعاة إلى اللَّه على بصيرة، أني كنت أرسل إليهم بنسخة من كل كتبي لأنتصح بنصائحهم بمصر، وبقدر الإمكان خارج مصر.

ومن ثم فما خصَّصت هذا الرجل أبا ثمود البيلي بما لم أخص به غيره بل قد أثنى عليَّ وعلى كتبي، وقد كلمته أكثر من مرة، وسمعت منه هذا الثناء، فضلًا عما نقله الإخوة إليَّ في هذا الشأن؛ فليس بيني وبينه أيُّ عداء شخصي حتى أتحامل عليه من باب الانتصار للنفس والعياذ باللَّه.

- **سبب فتنة أبي ثمود البيلي:**

وفرحنا جميعًا بتوبة أبي ثمود البيلي وكثرة دروسه وجهده في التنقل في القرى والمحافظات يشرح فيها كتب أهل السنة، وتغلَّب علينا جميعًا طابع التسامح وحسن الظن بالآخرين -لاسيما وظاهر أمر الرجل ساعد على هذا- فلم نعامله بما أجمع عليه صحابة النبي ﷺ من إهمال المبتدع الراجع من أحضان المبتدعة سنة كاملة، مع مراقبته، فإذا استقام في ظاهره وسِرِّه قبلناه.

ثم بعد هذه السنة يعامل على حذر، فلما لم يحدث هذا؛ حدث الخداع، وهذا واردٌ سلفًا وخلفًا، فلقد قال العلامة ربيع -حفظه اللَّه-: «كم خُدعنا من هؤلاء» اهـ.

- **بيان ضرورة مراقبة المبتدع التائب سنة قبل قبوله في صفوف أهل السنة:**

قال ابن قدامة في المغني (١٤/ ١٠٧ - ١٠٨) تحت المسألة (١٩٠٣):

«وقد ذكر القاضي أنَّ التائب من البدعة يُعتبر له مُضيُّ سنة؛ لحديث صبيغ ابن عسل، رواه أحمد في الورع، قال: ومن علامة توبته أنْ يجتنب من كان يواليه من أهل البدع، ويوالي من كان يعاديه من أهل السنة» اهـ.

قلت: وهذه من أهم القرائن والعلامات على صدق توبته.

وقال أيضًا (١٤/ ١٠٨):

«ظاهر كلام أحمد والخرقي، أنه لا تكفي التوبة حتى تمضي عليه سنة؛ تظهر فيه توبته ويتبين فيها صلاحه.

وذكر أبو الخطاب هذا رواية لأحمد؛ لأن اللَّه تعالى قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ﴾ [النور: ٥] وهذا نص؛ فإنه نهى عن قبول شهادتهم، ثم استثنى التائب الصالح؛ لأن عمر رضي الله عنه لما ضرب صبيغًا أمر بهجرانه حتى بلغته توبته، فأمر ألا يُكلَّم إلا بعد سنة» اهـ.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] وهذه الآية أتت بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، فكان لابد لهم من التوبة والصلاح والإصلاح لما أفسدوه، ثم البيانُ لما كتموه؛ فناسب جدًّا لزوم الصلاح الذي تستقيم به التوبة، والبيان الذي يُظهر حسن النية للرجوع إلى الحق.

وقال ابن مفلح الحنبلي في الآداب الشرعية (١/ ١٢٣):

«قال المروذي: إذا تاب المبتدع يؤجل سنة، حتى تصحَّ توبته؛ واحتج بحديث إبراهيم التيمي، أنَّ القوم تاركوه في صبيغ بعد سنة، فقال: جالسوه وكونوا منه على حذر» اهـ.

أي: يجالسوه بعد تركه السنة على حذر.

وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٤/ ١٧٤ - ١٧٥):

«أمر عمر رضي الله عنه المسلمين بهجر صبيغ بن عسل التيمي؛ لمَّا رآه من الذين يتبعون ما تشابه من الكتاب، إلى أن قضى عليه حول، وتبيَّن صدقه في التوبة، فأمر المسلمين بمراجعته، فبهذا ونحوه رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزَّيغ من المظهرين للبدع الدَّاعين إليها» اهـ.

وروى أبو عثمان الصابوني قصة صبيغ في: عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٢٣٩-٢٤٠)، وأنَّ عمر ضربه مائة سوط، ثم جعله في بيت -أي: حبسه- حتى إذا برأ دعا به، ثم ضربه مائة سوط أخرى، ثم كتب إلى أبي موسى الأشعري: «أنْ حرِّم عليه مجالسة الناس»؛ فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى الأشعري، فحلف بالأيمان المغلَّظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئًا، فكتب إليه: ما إخاله إلا صدق، خلِّ بينه وبين مجالس الناس.

(ثم روى بسنده) عن خالد بن زرعة يحدث عن أبيه قال: رأيت صبيغ ابن عسل بالبصرة، كأنه بعير أجرب، يجيء إلى الحِلَق، فكلما جلس إلى قوم لا يعرفونه؛ ناداهم أهل الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين» اهـ.

فانظر إلى قوله: «كلما جلس إلى قوم. . . » ليظهر لك طول المدة التي ترك فيها منبوذًا ذليلًا.

ثم قال في نهاية الكتاب؛ ناقلًا على ذلك الإجماع (ص٣١٥):

«وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم، بل أجمعوا عليها كلِّها» اهـ.

• انضمام أفراخ العدوي إلى وكر البيلي:

قلت: فكانت فتنة أبي ثمود من هنا، غفر اللَّه لنا جميعًا تقصيرنا في ذلك.

ثم بدأت فتنة هذا الرجل تتضح جليًّا؛ وذلك لما ظهر حال المبتدع أبي ثمود العدوي، وتركه العشرات من طلابه، فلم يجد هؤلاء ممن حولهم من المشايخ من يناسبهم إلا من كان في أحضانهم، فذهبوا إلى أبي ثمود البيلي ففتح لهم مسجده ورحَّب بهم جدًّا.

وهؤلاء الطلبة كان منهم من يبدِّع الإمام الألباني، ومنهم من يبدع العلامة ربيع المدخلي، ومنهم من يبدع ويطعن في العلامة عبيد الجابري، حتى قالوا عليه من الجبابرة، ويثنون على يحيى الحجوري، وقد طعن فيه وبدَّعه كلٌّ من الربيع والجابري، وأبو ثمود البيلي على عِلْمٍ بكلِّ هذا.

فبدأتْ ملامحُ هذا المبتدع المستتر تنجلي، وقد علمتُ بعد ذلك أنه لم يترك القنوات الفضائية بعد ثورة (**٢٥**يناير) مباشرة، بل ظلَّ معهم بعد ذلك، وبعد بيان حالهم للقاصي والداني، شهورًا.

ثم زاد الطين بلَّة، لمَّا خرج بعضُ الطلبة من عند الشيخ محمد سعيد رسلان، فذهبوا إلى أبي ثمود البيلي وظلُّوا يطعنون ويسبون في الشيخ محمد -حفظه اللَّه- وكذلك فتح أبو ثمود البيلي لهم مسجده ورحَّب بهم، مقررًا لفعل الطلبة الأولين والتاليين، ولا أقول الآخرين، لأن الرجل يفتح مسجده لكل مبتدع ولا يبالي، ومنهم من يُثني من هؤلاء الطلبة على الإخوان المسلمين.

وما سمعنا من الرجل أنه نهى أحدًا منهم عن ذلك، بل كان مشجعًا لهم، ولو ادَّعى بكذبه غير ذلك؛ فإن العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني

لا بالألفاظ والمباني، وحال الرجل لا يخفى على أحد الآن.

ثم تصاعد الأمر ممن عنده من الطلبة المبتدعة وسكوته على حالهم، وإقراره لهم ما زال مستمرًّا مستقرًّا، فكان مسجده وكر ضرار على أهل السنة.

⋆ أول لقاء مع البيلي المتكبر:

ثم كان أول لقاء لي مع أبي ثمود البيلي في بيت الوالد حسن البنا، وقد جمع اللقاء: الشيخ طلعت زهران، وعادل الشوربجي، وعلي الوصيفي، وعادل السيد، وأبا جميلة النعماني، فلما جاء دوري للكلام في الجلسة عرَّفت نفسي بالاسم والصفة، وكان دوري قبل دور أبي ثمود البيلي.

والملاحظ على أبي ثمود البيلي لاحظته، ولاحظه غيري في الجلسة، وصرَّح لي بذلك بعض المشايخ، ظهور كِبْر هذا البيلي في جلسته وكلامه وردود أفعاله، وكان الحديث قد تطرق إلى رغبة المشايخ في أن ينضم إلى هذا الاجتماع بعد ذلك الشيخ رسلان، فتكلمت وقلت غير مجامل لأحد، وبصراحة وقوة، فكان من جملة ما قلت:

الشيخ رسلان رمز من رموز السلفية في مصر شاء رجل أو أبى، وهؤلاء الطلبة الذين عند الشيخ البيلي يطعنون في الشيخ وابنه عبد اللَّه، والطعن في الشيخ وابنه لا ينبغي؛ حتى لا نُعطي للحزبيين الفرصة في الطعن فينا، وأنتم تعلمون مجهود الشيخ في الذبِّ عن السنة وفضح أهل الأهواء والبدع في بلدنا، والطعن فيه أو في ابنه- وإن أخطأ ابنه- يعتبر طعنًا في الدعوة السلفية؛ وإنما قلت على الشيخ «رمز من رموز السلفية» ولم أقل رمز السلفية، بل قلت: (من) أي: للتبعيض، كغيره من مشايخ أهل السنة، فمثلًا من يطعن في الشيخ العبَّاد، أو الربيع، أو الجابري فهو يطعن في الدعوة السلفية، وهكذا في بلدنا، فإن أهل الأهواء يبغضون أهل السنة قاطبة، وعلى رأسهم -وهذا أمر قدَّره اللَّه- الشيخ رسلان، فليس قولي: «من رموز السلفية» تعصبًا للشيخ

وليس من منهج أهل السنة التعصب لأحد إلا لرسول اللَّه ﷺ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

ولو كان الذي يُطعن فيه وفي ابنه رجل آخر من أهل السنة، واللَّه لقلت ما قلته؛ لأن المراد الحفاظ على دعوة أهل السنة عامة.

والشيخ كغيره من إخوانه من أهل السنة، كلٌّ له مجهوده في الدعوة إلى اللَّه على بصيرة.

وهو رجل يخطئ ويصيب، والكلُّ يؤخذ من قوله ويردُّ، ولكن المراد أنَّ الشيخ من كثرة كلامه على الإخوان وأهل الأهواء أصبح علامة لمذهب أهل السنة في مصر؛ لما يقوم به، حتى أنه هُدِّد أكثر من مرَّة بالقتل، ولم يعترض على ذلك أحد من المجلس. وهذا حق، فالرد على المبتدعة أصل أصيل من أصول أهل السنة والجماعة.

فكان معنى قولي: لا ينبغي لأحد أن يطعن في الشيخ ولا في ابنه؛ أي: حفاظًا على دعوة أهل السنة والجماعة في مصر.

وانظروا إلى عشرات الملايين الذين زاروا موقعه على شبكة النت، وليس هذا لأحد في مصر من أهل السنة ما كان للشيخ في ذلك، فأنا إنما تكلمت عن واقع ملموس، لا يُنكره إلا جاحد، ولو حدث بعض الزلل من الشيخ أو من ابنه وجب له علينا أنْ نستر عليه؛ للدعوة أولًا، ولمكانته وجهاده في الذب عن سنة رسول اللَّه، ولا يسعى لتتبع زلَّاته إلا مبتدع محقور خبيث مُتستِّر بستار السنة وهو مخادع لهم، وراجع ما تقدم في مقدمة الكتاب.

ثم ما هي الزلَّات التي زلَّ فيها الشيخ في مسائل المنهج؟!

يذكرون له ثناءه على الشعراوي من قديم الزمن، ثم قد تبرَّأ منه وبيَّن السبب في ذلك واستغفر منه وبيَّن ما عليه الشعراوي من ابتداع، وكذلك ثناؤه القديم على سيد قطب في بعض كتبه في طبعته الأولى، ثم استدرك ذلك، فكان من

أشد الناس عليه، فماذا بعد؟!

وهذا كان من قديم الزمان وما عاود ألبتة، وإنما تؤخذ المخالفات العقدية على المشايخ؛ لأنها هي التي تبيِّن حالهم، ولا أعلم للشيخ في هذه البابة شيئًا، بل هو رأس في الدعوة إلى اللَّه على بصيرة في مصرنا.

ولذلك قال العلامة الربيع عليه: «هو أسد السنة في مصر».

ومثله قاله العلامة الحصين -حفظه اللَّه-، فما يكون قولي في قول هؤلاء؟!

فقد روى اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣٣) عن أيوب السختياني قال:

«إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة، فلا تسأل عن أيِّ حال كان فيه».

ولا يقول على الشيخ إنه ليس صاحب سنة إلا كذَّاب أشر.

وما أردت بقولي من قريب أو بعيد التعصب للشيخ، كيف لا، والكل يؤخذ من قوله ويردُّ؟!

فلما تكلم أبو ثمود البيلي كان أوَّل ما قال غير مُخفيًا ما في قلبه:

«الأخ عيد ما ينبغي له أن يتكلم في دين اللَّه ولا يتصدَّى للدعوة، وقد كفيناه ولو وجدنا من يكفينا الكلام ما تكلمنا» !!!.

وكان ردُّه عجيبًا لتعليل عدم إنكاره على من يطعن من طلابه على الشيخ وابنه، حيث قال: عبد اللَّه رسلان يتكلم ويرد عليه الخولي، وما شأني أنا؟!

شباب يطعن بعضهم ببعض، فمنعه كِبْره من الانقياد إلى الحق، وتعمَّد الإساءة إلي، مع أنه يعرفني جيدًا، وسبق أنْ أثنى عليَّ أكثر من مرة، وكان في كلامه -واللَّه- كِبْرٌ شديد؛ وكأنك ترى على وجهه سفعة الشيطان، كما مرَّ في الحديث السابق في شأن الخوارج.

حتى إنه لما ذكر عادل السيد الشيخ ربيع، قال أبو ثمود البيلي:

«قد يخطئ الشيخ ربيع المدخلي في مسألة وأعرفها أنا، إيه المشكلة؟!».

حتى إنَّ عادل السيد استُفزَّ من كِبْره، فقال لما جاء دوره:

«ليس في الجلسة علماء، كلنا طلبة علم، ليس فينا الألباني، ولا الفوزان، ولا ربيع المدخلي» فردَّ عليه البيلي بما قاله آنفًا في حق الشيخ ربيع.

ثم لما كلمته بعد ذلك في نهاية الجلسة؛ لأستفهم منه عن سبب هذه الحدَّة قال لي: أنا ما كنت أعرفك!!! أي: لا يعرف شكلي وما حسبني أنا.

وهذا مستبعد من وجوه كثيرة، فقد كان ولده معه قبل الجلسة ثم خرج هو وبقية طلبة العلم الذين كانوا موجودين؛ وكان ولده يعرفني ويثني عليَّ جدًّا بين الطلبة ويذكر ثناء أبيه عليَّ أمامه، ويصعب أنه لم يدخل على صفحتي ويرى وجهي، ثم إني قد عرَّفت نفسي، فتيقَّنت أنَّه ما دفعه إلى هذه الحدَّة إلا صراحتي ومواجهتي له حيث قلت في جملة ما قلت: أرجو الشيخ البيلي أنْ يكبح جماح الطلبة عنده حتى لا تتفاقم الفتنة»، وقد كان ما حذرته.

والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة: هل يستفيد من الطعن في الشيخ رسلان غير أهل البدع والأهواء؟! أليس الطعن فيمن يكشف عوار وفساد أهل الأهواء صدًّا عن سبيل اللَّه؟! وذلك بعيدًا عن صفة الطاعن وشخصه، أليس ذلك عونًا للمبتدعة للتكلم على أهل السنة وتسفيههم؟!

● **انكشاف أمر البيلي وبيان تخبُّطه وابتداعه:**

ثم كان من أمر أبي ثمود البيلي ما كان؛ حتى بدَّعه كل من حوله من مشايخ أهل السنة الذين كانوا في الجلسة إلا أبا جميلة النعماني، وذلك بعد نصحهم له مرارًا وطلبهم أن يطرد مَنْ عنده مِنْ أهل البدع من الطلبة، فرفض وتكبَّر وقال كلامًا عجيبًا، أظنُّه لا يعي معناه؛ حيث قال: «لو كنتم تبدِّعوني بسبب ما

عندي من هؤلاء الطلاب الذين تطعنون فيهم؛ فهذا طعن في النبي ﷺ، فقد كان عنده المنافقون يحضرون مجالسه!!!».

وهذا كلام رجل سُلب الفهم والفقه؛ فالنبي ﷺ عَلِمَ المنافقين بأسمائهم بالوحي، لأنهم لم يصرِّحوا بما في قلوبهم؛ وأمْرُ الإسلام على ظاهر الحال، واللَّه يتولى السرائر.

ثم إنَّ رسول اللَّه ﷺ ما أراد قتلهم؛ لأنه خشي أن يقولوا: إنَّ محمدًا يقتل أصحابه؛ كما صرح بذلك ﷺ، فهل حال طلابك المبتدعين كحال المنافقين لا يُعْلنون بما في قلوبهم أم أنهم يعلنون ويدافعون ويدْعون إلى ما يقولون؟! فأي قياس هذا؟! بل منهم من يسمِّي ما حدث في مصر انقلابًا عسكريًّا مثل حاله، ثم لمَّا حدثت المكاشفة عمَّا في مكنون قلبه، في الجلسة التي جلسها معه الشيخ طلعت زهران، فوجده متعاطفًا مع الإخوان، وظهرت أُلْفَتُه لهم، حتى قال وقتها: المعتصمون في رابعة أكثر من هؤلاء الذين في ميدان التحرير والاتحادية أو مثلهم، فلم يكيلون بمكيالين؟ وإذا به ناقمًا على الجيش، فلما أظهر الشيخ طلعت ما سمعه منه، إذا بأبي ثمود البيلي يُكذِّب الشيخ؛ وما ذلك إلا لإسقاط شهادته، وما ذهب طلعت زهران إليه إلا ليصلح، فهل يُتخيَّل لرجل يصلح بين الناس، فذهب ليكذب حتى يفسد بينهم؟!

وهل يخفى على البيلي الخبيث ما يقوم به الشيخ طلعت بالدعوة في الإسكندرية ضد رءوس التكفير والقطبية، وأنَّ رميه بالكذب سيفسد هذا الأمر؟! وهل يعتبر هذا منه إلَّا صدًّا عن سبيل اللَّه، وتقوية لأمر أهل الأهواء الذين منهم البيلي؟!

ثم كان قوله على ما فعله الجيش بأنه انقلاب عسكري، وقوله: نحن مع جيشنا ما كان مع شرعنا، وهذه مقولة خارجية بحتة.

فظهر بهذا حال الرجل بألفته لهم أنه منهم، فكانت الألفة كاشفة عن أصل ابتداعه المستور.

المهم، أنه قد ظهر حاله للقاصي والداني، وإنما أصْلُ ذلك ألفته لأهل البدع على القنوات الفضائية وأهلها، وحال أصحابها لا يخفى على رجل مثل البيلي، ثم إنَّ حسانًا قد صرح، والبيلي معهم فقال: «إني أتقرب إلى اللَّه بحبي لسيد قطب». ولم نر له ردَّ فعل في التبرؤ وترك هؤلاء، بل ظل معهم سنوات إلى وقتها لم يتبرَّا من أهل الأهواء -كما قال السلف- حتى نعلم صدق توبته، فلما تكلم فيه الشيخ رسلان، خرج ليتبرَّأ براءة بين الإجمال والتفصيل، ولم يذكر فيها حسَّانًا الذي ظل معه سنوات، فكان ظاهر التوبة أنها تحت ضغط كلام الشيخ رسلان عليه، لا فعلها حسبة وسُنة؛ لأن السياق يؤكد ذلك ويقرره، والسياق كما قال الأصوليون من أهم ما يُفهم به كلام الرجل، وليس ذلك منِّي من باب الاطلاع على النية.

ثم بالغ أبو ثمود البيلي حتى قال: «الرسلانية أشدُّ خطرًا على الأمة من الحدَّادية».

ولما سافر إلى الكويت ما نزل إلا عند من بدَّعه الربيع والجابري -حفظهما اللَّه-، وقد مرَّ ما رواه ابن بطة (٥١٩): «وقدم موسى بن عقبة الصوري بغداد، فذُكر لأحمد بن حنبل فقال: «انظروا على من ينزل وإلى من يأوي».

والمعنى: ألْحِقُوه بمن ينزل عليه؛ فالمرء على دين خليله، وما زاد الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ على أنْ قال هذه الكلمة؛ ليعلم بها حاله.

ثم تأكد ظهور ما في قلبه لما طعن في العلامة الألباني، وتساوى برءوس التكفير في مصر: فوزي السعيد ومحمد عبد المقصود المجرم، وذلك في اتهام الشيخ الألباني بالإرجاء، قال تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١١٨]؛ وقد بينت حاله في وقتها بالأدلة في درس مبثوث على شبكة النت.

وعليه، فلقد بدَّع المشايخ هذا الرجل على ما ظهر منه، وأصل تبديعه على الصحبة والألفة التي تفاقمت حتى دافع وتعصب عن المبتدعة، وإنما يدافع عن نفسه لأنه منهم وهم منه؛ وذلك لأنه لا يوجد رجل عاقل، يتفق كل من حوله من

المشايخ الذين هم قريبون منه، ويطلبون منه أن يطرد من عنده من الطلاب المبتدعة حتى يُبرِّئ نفسه، ثم يرفض ويدافع عنهم، فلما كان ذلك كذلك، عُلم أنه منهم وهم منه، تآلفت قلوبهم على أمر واحد فلحق بعضهم ببعض، فإذا سَحَبْتَ ما قيل في مسائل هذا الكتاب فأنزلتها عليه، لبدَّعته بالدليل، ولو كان عند الرجل نوع من الكياسة لطردهم حتى ينجو بنفسه وسُمْعَتِهِ؛ فلما لم يفعل عُلِمَ حاله قطعًا، والسُّنيُّ الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها.

وعليه، فقد لزم أبا ثمود البيلي كل ما قلته في المسألة الرابعة من التبديع بالصحبة والألفة، بل إنْ شئت فقل: لزم التبديع بالصحبة لكل مَنْ صاَحَبَ البيلي وأَلِفَه؛ لأنه رأس في الضلال، أو قُلْ هذا اللزوم يُنزَّل عليه من ناحية، وعلى طلابه من ناحية أخرى؛ لأن بطانته أهل البدع والأهواء، ويلزم بطانته التبديع لالتفافهم حول رأس في الضلالة والابتداع.

ثم ما قلته آنفًا يُسحب لزامًا على توأمه أبي جميلة، وذلك على التفصيل الآتي.

- **ثانيًا: أبو جميلة النعمانيُّ المبتدع المُتَسَتِّرُ:**

- **براءة إلى اللَّه:**

اعلم أولًا -بصرك اللَّه بالسنة والهُدى- أنه ليس بيني وبين أبي جميلة النعماني أيُّ شيء يدفعني للتكلم فيه، وليس هذا حالي ولا هذه صفتي، فأنا رجل لا أحسن المكر ولا في قلبي ضغينة على أحد، وعندي حسن ظن شديد بالآخرين، ولا أسيء الظن بأحد ابتداء، ولربما أستأنسُ على ذلك بكون بلدي وبلد آبائي قرية من قرى أسوان، وهؤلاء معلومون عند كل المصريين، وقد صرَّح بذلك النعماني لي في معرض الثناء والمدح؛ ولربما أصرِّح بأمر، قد يظنه البعض سوْأة وما هو بسوأة، وهو أنَّ المصريين منذ قديم الزمن دائمًا يستعينون بأبناء أسوان في أعمال ثلاثة: قيادة السيارات الخاصة، وفي مهنة

الطَّبْخ الخاص في البيوت، ومهنة حراسة المنازل والبيوت الخاصة.

ولا تنظر إلى انحطاط العمل وعُرْف الناس في ذلك؛ فكل عمل حلال مقبول عند اللَّه، ولكن انظر إلى الدافع الذي به أَمِنَ الناس على أنفسهم وأهليهم بأن يُدْخلوا بيوتهم هؤلاء؛ فما كان ذلك كذلك إلا لعلمهم اليقيني بأمانة وطيبة وبساطة ولين وسهولة أهل أسوان، واللَّه حسيبهم، ولا نزكِّي على اللَّه أحدًا، فصارت هذه الأعمال لهم منقبة وعلامة على أمانتهم وعدم غشِّهم وخداعهم وصدقهم وبغضهم الشديد للنفاق والتلون، بل هم لا يحسنون ذلك ولا يستطيعون فعله، بل ينفرون منه ومن أهله؛ وذلك لأن العُرْفَ مصدر من مصادر التشريع، وبالإجماع العادة محكمة، يُرجع إليها في التحاكم بين الناس؛ شريطة عدم مخالفتها للنصوص والأدلة، ولا مخالفة هنا، وقد أجمع المصريُّون على وصف غالب أهل أسوان بهذه الصفات، والحكم للغالب، وإن حدث شذوذ في المسألة فلا يضر، لأنه: لا حكم للنادر الشاذ كما هو مقرر.

ومن أبناء أسوان الآن ومن قبل من هم أساتذة الجامعات والأطباء والمهندسين، وكان منهم المحافظون.

الشاهد، أني ابتداء لم أجد من النعماني إلا الثناء الشديد المتكرر عليَّ، فلقد ظل ما يقرب من سنة في الهجانة، له درس هناك، فما مرَّ درس -هكذا بلا مبالغة- إلا وهو يُثْني عليَّ وعلى كتبي[١]، وعندي ثناؤه مكتوبًا في تسع ورقات بخطه المعروف، بل لما جلست معه في جلسةٍ عرض عليَّ مشروعًا مشتركًا، فيه يشرح هو متنًا فقهيًّا، وأقوم أنا في نفس المصنَّف بالتقعيد الفقهي والأصولي في هامش الشرح، ويخرج العمل بيننا مشتركًا، وقال لي: «يا شيخ

(١) وكنت في نفسي أتعجب لتكرار ثنائه عليَّ، فإذا بالرجل يُصدُّني بمكر شديد بهذا الثناء عن تتبع أمره، وما شعرت بهذا المكر إلا بعد حين، واللَّه أعلم بما في صدره.

عيد خذ بيدي في مجال التصنيف هذا» ودعى لي، فليس هناك أي شيء يملأ قلبي عليه فيدفعني شيطاني لظلمه وتبديعه زورًا وبهتانًا، ثم أين أذهب من اللَّه؟! نعوذ باللَّه من الخذلان.

ولكنِّي أزعم أني أطبق منهج الولاء والبراء والحب في اللَّه والبغض في اللَّه دائمًا حتى اتهمني البعض بالتشدد في ذلك، وقد أثنى النعماني على تشدُّدي هذا، وذكر أن الإمام محمد بن عبد الوهاب كان كذلك.

ويدل عليه أني قد سعيت لبعض المشايخ الذين ظاهرهم السنة ليقدموا لبعض كتبي وقد كان، فأرسلت إليهم نسخة من كتبي وقتها، فأثنوا عليَّ ثناءً فوق الوصف، منهم: أحمد دهيم سالم، الذي تولى الخطابة في مسجد العزيز باللَّه بعد جميل غازي، وكان صديقًا لعبد المقصود وكل التكفيريين، ثم تاب اللَّه عليه وشهد بتوبته من هم قريبون منه، وأحسنتُ فيه الظن، وادخل على شبكة النت واكتب: ثناء الشيخ أحمد سالم على عيد الكيال، واسمع ماذا قال في خطبة يوم الجمعة، فإني أستحي ذكره.

وفي نفس الوقت قال أحمد سالم من قبل على النعماني: «هذا رجل صَنَيْعي» يقصد يُجيد صنع الباطل وحبْكه في صورة الحق، وهو أعلم به.

ثم لما علمت عنه أنه أثنى على بعض أهل الأهواء، وأنه قد نزل يومًا إلى اعتصام رابعة، وأنَّ زوج ابنته يطعن في أهل السنة ويُثني على أبي إسحاق الحويني بشدة، وكان يباتُ في ميدان رابعة مع المعتصمين، وعلم الشيخ ولم ينكر عليه، وكذلك لمَّا سمعت درسًا له يُثني فيه على أهل الأهواء كالعدوي والحويني وأمثالهما، ورأيته متخبِّطًا في المنهج جدًّا أعلنت براءتي منه على الملأ، وإلى الآن ما زال الشيخ يثني علي ويطلب الجلوس معي، وما زلت أرفض ذلك.

ولأن هذا دين، فاللَّه ورسوله أحب إلينا من كل أحد، وليس العبرة بثناء الناس بعضهم على بعض، بل العبرة بمكانة الناس من شريعة الفرقة الناجية؛

بإقامتهم للسنة ودحضهم للبدعة.

ونفس الأمر مع أسامة سليمان، فكان في ظاهر أمره على الجادة، وكان على صلة بأهل السنة وعلمائهم، ثم خالط أهل الأهواء في قنواتهم وأَلِفَهُم وأثنى على بعض رءوسهم، فلما كان ذلك كذلك حذفت ثناءهما من كتبي وتبرَّأت منهما على الملأ، وألحقتهما بهم، لاسيَّما والرجلان ليس من طلبة العلم الصغار حتى ينخدعا في عدم معرفة أهل الأهواء، وقرائن حالهما دفعتني لهذا الإلحاق؛ على ما مرَّ في المسألة الرابعة تفصيلًا، وفتاوى العلماء المعاصرين -كما سيأتي- تقرر ما قلته هنا.

ولِقائِلٍ أن يقول: هذا رجل يفتح على نفسه الشرور والعِدَاء، فما له ومشايخ ليس بينه وبينهم إلا الخير؟! وهو كذلك من ناحية الواقع لا أنكر، ولكن أقول له: قد أبعدت النُّجْعَةَ[1]، أو كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما رواه أبو يعلى في مسنده (٤٦٧)، قال لفرُّوخ أبي مسعود: «أخطأَتِ استُك الحفرةَ، وأخطأْتَ في أول فُتياك».

أقول: ليس يجوز لي إلَّا هذا، وإلا أثمتُ؛ فإنَّ البراءة من أهل الأهواء أصل من أهم أصول أهل السنة والجماعة، فأتعبد به للَّه ولا أبالي.

روى أبو عبد اللَّه محمد بن نصر المروزيُّ (٩٥) في كتابه السنة، عن خارجة بن عبيد اللَّه بن عمر العمري قال:

كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز عندنا، فكنَّا نؤذيه، فلما استُخْلِفَ أبوه قدم عليه وهو ابن تسع عشرة سنة وأبوه يروِّض الناس على الكتاب والسنة، وقد قطع بذلك، فهو يداريهم كيف يصنع، فقال له عبد الملك حين قدم عليه: يا أمير المؤمنين، ألا تُمضي كتاب اللَّه وسنّة نبيه؟ ثم واللَّه ما أُبالي أن تُغلى بي

---

(١) النُّجْعة: طلب الكلأ ومساقط الغيث، وانتجع القوم: ذهبوا لطلب الكلأ، فالذي أبعد النجعة أي: أخطأ في إصابة المقصود. (المعجم الوجيز: ص٦٠٣ - ٦٠٤).

وبك القدور، فقال له: يا بنيَّ، إني أروِّض الناس رياضة الصعب، أُخْرج الباب من السنة فأضع الباب من الطمع، فإن نفروا للسنة سكنوا للطمع، ولو عمَّرت خمسين سنة، لظننت أني لا أبلغ فيهم كل الذي أريد، فإن أعيش أبلغ حاجتي، وإنْ متُّ فاللَّه أعلم بنيتي».

وكذلك لمَّا علمت كلام أهل العلم في بكر أبي زيد تبرَّأت منه على المنبر؛ لأني كنت أكثر النقل من كتبه؛ والرجوع للحق فرض لا يسع المؤمن غيره.

● **أوَّل أمر أبي جميلة في التكشُّف والظهور:**

وأول أمري مع أبي جميلة النعماني، إنما كان من غضبة غضبها وتعصُّبٌ تعصَّبه لتوْأمه أبي ثمود البيلي؛ لمَّا تكلم فيه الشيخ رسلان، حتى أنه عرَّض بالشيخ وتحامل عليه في كلام ساقط قد دلَّني على أمره، بمنار السلف الكشَّاف الفضَّاح في ذلك فتذكَّرْتُ هذا الضابط السلفي من كلام أبي بكر بن عيَّاش رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُّنِّي الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها»، وفي رواية كما مرَّ: «لم يتعصب لشيء منها»، فلما تعصَّب وقفت وتأمَّلْتُ، فلما اتصلتُ به ولُمْتُه جدًّا على ما قاله في حق الشيخ رسلان، حيث قال: «لو أن الشيخ رسلان بدع البيلي لظهوره على قنوات المبتدعة؛ فقد ظهر الشيخ رسلان على قناة البصيرة».

فقلت له في جملة كلام آخر: «كيف تسوِّي بين قناة الرحمة والناس والخليجية، وبين قناة البصيرة، لماذا قُلْتَ هذا؟ قال: أنا أقوله تديُّنًا، قلت: بل أنت تدافع عن نفسك ابتداءً؛ لأنك منهم، وكنت معهم في قنواتهم» فبُهت ولم يردّ، ثم انتهى رصيدي، ولم أعاود الاتصال به وانقطع ما بيني وبينه؛ على ما عرفته عن حاله تفصيلًا كما سيأتي.

ووجدته متحاملًا على الشيخ في هذه المكالمة، وقال: لماذا تتهيَّب التكلم على الشيخ رسلان؟!! أأتكلم في رجل جعل عمره ودعوته للذب عن السنة؟!!

ولكن المبتدعين لا يفقهون، أما قنوات الضلالة فمعلوم حالها .

● **أمر قناة البصيرة وبيان افتراء النعماني أبي جميلة:**

فالذي حدث بيني وبين محمود الرضواني صاحب القناة، أنه قد وصلته نسخة من كتبي وأثنى عليها جدًّا؛ وإنما ذكرت ثناءه؛ حتى يعلم طلاب العلم أني لا يمنعني الثناء الشديد من التبرؤ ممن ثبتت بدعيَّته، ومن ثم فإني أتقي اللَّه في أعراض المسلمين، ولا أطعن إلا فيمن وجب الطعن فيه؛ حتى تتبيَّن السنة وأهلها من البدعة وأهلها .

فأرسل إليَّ الرضواني وجلست معه، وطلب مني أن أضع منهج الفقه والأصول لجامعته المفتوحة على شبكة النت، ثم أقوم بشرح ذلك لطلبة العلم في السنين الأربعة من الصف الأول إلى الرابع، ثم يقوم بتسجيله وإذاعته على قناة البصيرة، وقال لي: إني أعلم الكثير من أساتذة الجامعات واخترتك لأن كتابتك . . . . وأخبرني أنَّه اتفق مع الشيخ رسلان أن يدرس اللغة والحديث، وكان سيكون معنا عادل الشوربجي وعلي عبد العزيز موسى وأيضًا البيلي قبل كشفه .

وقال لي الرضواني: أريد أن أذهب مرة ثانية إلى الشيخ رسلان ليختار لنا المشايخ التي نستعين بها في القناة؛ لأني لا أعلم المشايخ في مصر، وأخشى أن نستعين ببعض أهل البدع .

وكان هذا منه علامة على حسن مقصده، وما ظهر منه شيء بعد، وكان غالب عمره في السعودية، ولا نعلم عنه الكثير، فلما نزل إلى مصر وأراد إنشاء قناته وأظهر الخير رجونا أن تكون قناة لأهل السنة ومنبرًا لإقامة السنة وفضح البدعة .

ومن هنا أذن الشيخ رسلان في إذاعة بعض خطبه على القناة .

ثم لما حدث وأذاع الرضواني لنفسه على قناته درسًا قديمًا من سنين، وفيه

أثنى على حسن البنا وسيد قطب، اتصلت فورًا بعبد اللَّه رسلان، فأعلم أباه، ومن ثم اتصل عبد اللَّه بالرضواني وطلب منه ألا يذيع للشيخ أيَّ شيء مرة أخرى، وانتهى أمر الرضواني مع الشيخ ومعي.

فهل يُسَوَّى في الحكم بين هذه وبين قنوات بدعية ظل أبو ثمود البيلي فيها سنوات في أحضانهم، ولما تركهم لم يتبرَّأ منهم، إلا بعد سنين، لما كشف الشيخ رسلان أمره، فاضطر إلى إعلان براءته الخداعة، هل يُسَوِّي بين هذا وذاك إلا متعصب لمبتدع، جمعتهما الصحبة والألفة؟! بل قد جمعتهما البدعة ومحدثات الأمور.

لذلك سارع أبو جميلة النعماني لرفع ثناء له على توأمه البيلي على موقع الأخير؛ إرضاءً وألفةً وتعصبًا له، وقد طعن في هذا الثناء على الشيخ رسلان، وإنما يدافع الرجل عن نفسه؛ فإن الذي قيل في البيلي يلزمه؛ فألحقته بتوأمه لزامًا؛ لِمَا تقدم من الأدلة الصريحة الصحيحة؛ ولا كرامة، بعدما علم النعماني أبو جميلة ببطانة البيلي وكلامه في الجيش المصري وتعاطفه مع الإخوان في الكلام الذي نقله عنه الشيخ طلعت زهران.

وعليه، فيلزم كلًّا من أبي ثمود وأبي جميلة الوجه الآخر من منهج التبديع بالصحبة والألفة، وهو الوجه الكاشف للابتداع المتستِّر، لا الوجه المُلْحِق المستأنف للابتداع لمن لم يكن مبتدعًا، كما ذكرت في آخر المسألة الرابعة.

وعليه، فالألفة والصحبة بين التوأمين كشفت ما كانا عليه من الابتداع الخفي من قبل.

ثم إنَّ أُلفة أبي جميلة لأبي ثمود غيَّبت عنه كلام المشايخ في أبي ثمود، فظل مُصِرًّا على تأييده وانتصاره لتوأمه، وما دفعه لذلك إلا لأنه منه والآخر منه.

ولقد قال النعماني كلامًا يبين لكم حاله، حيث قال: هل التكلم في أهل

البدع فرض عين أم فرض كفاية؟ فقالوا له: فرض كفاية، فقال: دعونا نُعلِّم الناس، دعونا في العلم!!!

قال هذا الكلام في بداية حضوره إلى الهجانة، وما علمته إلا قريبًا ومن ثم لم يتكلم في أحد.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢/ ١٣٢ - ١٣٣):

«ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم، أو ذبَّ عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظَّم كتبهم، أو عُرف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأنَّ هذا الكلام لا يُدري ما هو، أو من قال: إنه صنف هذا الكتاب، وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق؛ بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم؛ فإنَّ القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء، والملوك، وهم يسعون في الأرض فسادًا، ويصدون عن سبيل اللَّه.... وأما من قال: لكلامهم تأويل يوافق الشريعة، فإنه من رءوسهم وأئمتهم، فإنه إن كان ذكيًّا فإنه يعرف كذب نفسه فيما قاله» اهـ.

فانظر إلى قوله: «لا يقولها إلا جاهل أو منافق» وهو يشمل المبتدع قطعًا؛ على ما مرَّ في المسألة الأم من هذا الكتاب.

روى ابن بطة عن الفضيل بن عياض قال: (٤٤٣):

«وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويجلس مع صاحب بدعة».

وروى عنه أيضًا (٤٣٤) أنه قال:

«ولا يمكن أنْ يكون صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا من النِّفاق».

وأشهد أنَّ النعماني قد جمع بين الأمرين؛ فلقد أُبتليَ هذا الرجل بالجدل وبالفصاحة والبيان، فتجده يُحْسِنُ القول ويؤثِّر على من حوله بلسانه، وراجع المسألة الثانية من هذا الكتاب في فصاحة أهل الأهواء، مع وجود أصل عنده

كلُّ من عاشره يعرفه، وهو أنه لا يحب أن يخسر أحدًا؛ فيواجهه بما يكره، ولو كان حقًّا، أو حتى يُعرِّض له بذلك؛ لبيان الحق؛ لأنه يعلم أنَّ الولاء والبراء يصرف الناس عن المرء؛ ولذلك تجدُ له أتباعًا كثيرة في كل مكان ينزل به، فهو فتنة؛ وكما قال الشيخ النجمي: «لا تجد رجلًا يرضى عنه كل الناس إلا كان منافقًا».

ولما ظلَّ فترة في الهجانة، كان وما زال يحضر له كلُّ الطوائف، فتجد عنده الإخواني، والتكفيري، والتبليغي، ومن كان ينزل إلى اعتصام رابعة، فهو واللَّه يُجمِّع الناس حوله على غير أصول أهل السنة.

حتى وصلني كلام بعض الشباب عندنا الذين يحضرون له حيث قالوا: «واللَّه الشيخ عبد الستير ما شاء اللَّه عليه زي الفُلِّ، ما بيجبش سيرة حد، ولا ليه دعوة بحد، ومش زي ما بيعمل الشيخ عيد، يطعن في ده، ويجيب سيرة ده» فهو كما قال عليه أحمد دهيم سالم: «هذا رجل صَنَيْعي»[1].

فالرجل يُجَمِّع كأخيه وأستاذه أبي لحية الرقاص صاحب قناة النقمة، والذي يؤكد صدق هذا: أنَّ أبا جميلة النعماني اتصل بي مرَّة فطلب منِّي أن أذهب معه لإلقاء كلمة في عقد زواج، فذهبت، فقال لي ونحن في الطريق، المسجد سيكون كله عوام، فلا نتكلم إلا في فضل الزواج وما يناسب المقام؛ فلما ذهبت إذا بالجامع كله لحى فقلت: صدقني الرجل!!، فقلت: فرصة طيبة لتذكير الناس بأصول السنة والمنهج، والكلام على فضل الزواج حفظه الناس، فلما بدأت أُأَصِّل حتى إذا وصلت إلى بيان أهل الأهواء، فذكرت أثرًا لعبد اللَّه ابن مسعود رضي الله عنه، وقلت: فقيه الأمة حقًّا، لا سفيهها الذي يطلقون عليه فقيهها

---

(١) انظر ما مرَّ في المسألة الثانية عند شرح حديث: «**إن من البيان لسحرًا**»، وفيه قال الخطابي وهو يتكلم عن بيان وفصاحة المنافقين: «هو ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين ويستميل قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر حتى يحول الشيء عن حقيقته».

أُعرِّض بالمجرم عبد المقصود، فبعث لي ورقة مباشرة ألا أخرج عن الموضوع، فمررتها، ودخل في قلبي منه شيء كبير، ثم لما عجَّلت بنهاية الكلام وتكلم هو، إذا به -واللَّه- وكأنه مهرِّج لا همَّ له إلا أن يضحك الناس، وفعلًا أضحكهم، في جملة من الكلام الساقط في الحديث عما يحدث بين الزوج وزوجه، فيخرج الرجل -وعينه معمَّصة- على حد قوله، ويقف على عربية الفول يفطر، ومراته مدّا بوزها شبرين، وأشياء من هذا القبيل، فأيقنت أني قد تورطت، وكذلك لما قدَّم بعض طلبته ليتكلموا، فما كان منهم إلا الرغبة في إضحاك الحاضرين.

فلما انتهينا قلت له: يا شيخ! تقاطعني وأنا أُذَكِّرُ الناس بمسائل المنهج؛ لكي تُضَحِّك الناس!، وقلت: (تطرِّ على قلوبهم)، هكذا بالعامية، فوجدته قد أُحْرج جدًّا، وظل يقول: سامحك اللَّه يا شيخ عيد، سامحك اللَّه يا شيخ عيد؛ فذكرت قول ابن دهيم: «رجل صنيعي» فعلمت أنَّ الرجل ما زال حال القصاصين -من إخوانه في القنوات الفضائية التي كان فيها من قبل- ملازمًا له، من التمييع والتجميع، وإخفاء الحقِّ تعمُّدًا وعدم البيان.

ثم علمت بعد ذلك من بعض من كان من طلابه ويسكن معي في الهجانة، أنهم تركوه، ونبذوا الحضور له؛ لأنه لا يُؤصِّل مسائل المنهج، وغالب حاله أنه لا يتكلم في أهل الأهواء، وهذا حال رءوس البدع في مصر، كقبحان ويعقوب وأفراخهم، يجمعون، ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه مهما كان.

وإنما كنَّيت النعماني بأبي جميلة -وقد مرَّ أثره وأنه من أهل البدع- لما في اسمه الظاهري من جمال ورونق مما عنده من حسن البيان الخدَّاع وحلاوة المنطق، مع ما عنده من قبح الباطن؛ لمخالفته لأصول أهل السنة وابتداعه؛ ولا يصح إلا الصحيح، ولو طال زمن المخادعين.

وصدق قول الشيخ رسلان فيه حيث قال لي: «هذا رجل متلوِّن كل يوم

بدين جديد» فهو اللَّا حسن، اللَّا مستور، عند من خبر أمره على العكس من اسمِه، كأبي جميلة القبيح الذي وطأه السلف بأقدامهم على بطنه.

- **أبو جميلة النعماني وأخذه بالموازنات:**

ثم إن الرجل ما زال على منهجه القديم في الأخذ بالموازنات؛ ودليل ذلك أني لما كتب كتابي الثالث في بداية كتاباتي من بضع سنين، والمسمَّى «فقه منهج الموازنات بين السنة والبدعة» ولما نزل الكتاب حمله أهل الأهواء على مذاهبهم المنحرفة وطيَّروه بينهم، على ما استنبطوه منه بلوي عنق نصوصه، حتى كان الرجل منهم يحتجُّ به على أهل السنة؛ ولما جلست مع أبي جميلة النعماني في أول لقاء أو الثاني قال لي من غير سؤال منِّي، بعد أن أثنى على كتبي: «قد قرأت كتابك فقه منهج الموازنات مرتين، وأنا أقول بكل ما فيه».

والذي ساعد أهل الأهواء على الاحتجاج بكتابي هذا؛ هو الآتي: أنِّي في كل كتاباتي أتجرَّد للدليل، فأقول به، وما أتكلم في مسألة إلا بدليل وإمام؛ ولكن غاب عنِّي جزء من الأدلة في المسألة، وهو: إجماع الصحابة على أنَّ من ابتدع بدعة واحدة صار مبتدعًا -كما مرَّ بيانه- فما ذكرت الإجماع لعدم وقوفي عليه، وكان ذلك في بداية كتاباتي؛ فلما وقفت على هذه الإجماعات استغفرت اللَّه وكتبت كتابي: «إعلام الموقعين بجناية تنزيل الموازنات على المبتدعين» وتبرَّأت وقتها في خطبة يوم الجمعة على المنبر وكان اسمها: «ما كان من أمر الموازنات» وقلت هكذا: «أرجع إلى الحق ذليلًا صاغرًا» حتى وصلني ثناء الكثير على جرأتي في بيان أني أخطأت، ورجعت، وكان ذلك على الملأ، وهذا منهج السلف والخلف من أهل السنة، إذ ليس هناك تعمُّد لمخالفة الحق والدليل، فلمَّا وقفت على الدليل أطبقت عليه بنواجذي وفرحت به ثم أظهرته، حتى لا يَغْتَرَّ أحد بما قلته من قبل، وللتبرُّء من التبعة، وللرجوع من الخطأ إلى الصواب، كما مرَّ من كلام شيخ الإسلام وابن رجب من قبل في مقدمة الكتاب حيث أوضحا أنه قد يقع المرء في البدعة ولا يُبَدَّع

بذلك؛ وإنما هو من قبيل الخطأ والزلل، والشاهد: أنَّ غياب هذا الإجماع جعل هناك خللًا في ثمرة الاستدلال الصحيح المستقيم على الدليل، جعل أهل الأهواء يستدلون بكتابي، فبيَّنت بكل قوة في كتابي: إعلام الموقعين، الأدلة على جناية تنزيل الموازنات على المبتدعين، ورفعت الخطبة على الصفحة ورآها الآلاف، ونزل كتابي وقرأه الكثيرون، ومع ذلك: فإن كتابي فقه منهج الموازنات ما استطاع أحد ممن علق وتناول الكتاب أنْ ينقده نقدًا علميًّا بإيراد أدلته ثم دحضها على طريقة المحققين من أهل السنة، حتى أتيت بذلك في كتابي الإعلام، فنقدت نفسي بنفسي بالدليل، وذكرت ذلك؛ حتى يُعلم أنه ما كان تراجعي تحت ضغط أحد، وإنما هو لظهور ما كان لي خفيًّا من قبل، ثم سحبت ما تبقى من الكتاب، ثم قمت -واللَّه- بإحراق ما بقي من النسخ منعًا للَّبْس- وكانت كثيرة، ولو دلَّني أحد وقتها على الإجماع الذي خفي عليَّ لكانت له المنَّة والفضل عليَّ، ولكن ما كان ذلك حتى وقفت عليه بنفسي، فأظهرته مباشرة وللَّه الحمد والمنَّة؛ لذلك لا يصح النقد إلا من أهل العلم الذين يعلمون تأويله، وليس الأمر أمر حمية ينقصها العلم، واللَّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

فلما أهديته كتابي الإعلام، فكأنه واللَّه -وكما نقول بالعامية- كأنه أكل سدَّ الحنك، فما سمعته علَّق عليه، ثم لما حدث أمر الحلبي وأمر البيلي إذا هو يأخذ بالموازنات لهما ويدافع عنهما ويسمي ما فعلاه خطأ لا ابتداعًا، وظل ينافح عنهما وما يزال.

وكذلك وصله كتابي التحذير والتبيين، وهو كان بعد كتاب الموازنات وقبل كتاب الإعلام، وفيه بيَّنت وجوب الرد على المبتدعين وبيان حالهم، فكذلك، كأنه أكل سدَّ الحنك، وبالكتابين قد أقمت عليه الحجة وعذرته بهما.

- **أبو جميلة النعماني وابن جِلْوة الإخواني الحماساوي:**

ثم حدث قريبًا أمر مريب جدًّا، وذلك أن أحد الطلبة عندي في المسجد

كان له أقرباء ليسوا على المنهج في مسجد لأهل الأهواء كان يغشاه أبو جميلة، الذي يغشى كل المساجد، وكان هذا المسجد يديره ويتولى أمره طائفة من الحزبيين والقطبيين والإخوان، فكان أبو جميلة يلقى في هذا المكان رجلًا من الإخوان يدعى سيد هارون، ورجلًا آخر من رجال المال الكبار الذي سمعت أنه يساعد جماعة حماس بفلسطين بالأموال وذلك بنصِّ كلام الرجل نفسه على ما نُقل إليَّ، ويُدعى محمد جِلْوة، فاتصل هذا الطالب بالنعماني وسأله عن ابن جلوة هذا، فإذا بأبي جميلة قد اضطرب اضطرابًا كبيرًا، فظل يستجوب هذا الطالب بأسئلة كثيرة، من أنت، وما اسمك، ولمن تحضر، وما علاقتك بمحمد جلوة، ومن الذي قال لك أنِّي أعرفه، وما شابه ذلك من الأسئلة، ثم أنكر كذبًا وبهتانًا علاقته بالمذكور، ثم لما انتهت المكالمة، اتصل النعماني على هذا الطالب، وأعاد استجوابه؛ بما أكد اضطرابه الشديد الذي أفقده مكره ولباقته؛ لأن السؤال أتى فجاءة، وهذا من أقوى القرائن على حالة الغموض التي فيها الرجل من قبل، وهي من أقوى العلامات على الريبة الشديدة لعلاقته بأهل الأهواء.

فلما حكى هذا الطالب ما حدث لقريبه، قال له قريبه جزمًا: «هو يستخدم مبدأ التقية؛ لأنه يعرف أنه لو كُشف أمره سيعلق له الشيخ رسلان والشيخ عيد المسلخة»!! هكذا قال تمامًا.

ومن جملة الأسئلة أنَّ النعماني قال لهذا الطالب: ومن تعرف في هذا المكان، وما اسم قريبك هناك، ولماذا تسأل هذا السؤال، ومن الذي أمرك أن تتصل بي، ولماذا تسأل على دروسي وأنت لا تحضر لي في الهجانة، وغير ذلك مما يجزم به المرء صدق علاقته بهذين الشخصين، حتى قيل: إنه لما ترك سكنه الذي بجوار الهجانة، ذهب إلى شقَّة تابعة لابن جلوة ناحية منطقة التجنيد حتى يستقرَّ سكنُهُ؛ واللَّه أعلم بهذه الأخيرة، لا أجزم بها، ولكنَّ المهم ما حدث لأبي جميلة من هذا الاضطراب، ولو كان الأمر غير ذلك لنفاه ولو

بكلمة وانتهى الأمر، بل ما أمسك نفسه؛ حتى أنه اتصل مرة أخرى بالأخ ففضح نفسه، فكل هذه قرائن تثير ريبة شديدة حول هذا المتستر عبد الستير اللَّامستور، والحكم بالقرائن أصل معتبر في دين الإسلام؛ ولقد أقام الإمام ابن القيم بداية كتابه الطرق الحكمية على الاستدلال لهذا الأصل، وراجع المسألة الرابعة من هذا الكتاب، فاحذروا أبا جميلة المبتدع هذا.

فهو أشد خطرًا من توأمه، أما توأمه فَكِبْرُهُ يمنعه في غالب الحال من التبسُّط إلى طلبة العلم واقتحام حياتهم الشخصية كما يفعل أبو جميلة، ونشاطه الشديد في أنْ يجعل له في كل مكان أتباعًا ينصرونه.

ومما يقوي ذلك، علاقته برجل في مدينة السلام يُدعى محمود أبو المعارف، كان ظاهره السنة، فإذا هو مع معتصمي رابعة ينزل معهم وينصرهم حتى انفض عنه طلابه، وعلموا ابتداعه الخفيَّ المتستِّر، والمرء على دين خليله، وكذلك، فقد دعاني أبو جميلة لعقد زواجه الثاني، الذي دعى فيه عمر بن عبد العزيز القرشي- والذي قال على نفسه: أنا ثورجي قديم- فألقى كلمة، والمرء على دين خليله.

- **أبو جميلة النعماني ووكر الضرار بالهجانة:**

ومما يؤكد ابتداعه، سَيْرُه على غرار توأمه أبي ثمود البيلي المصري؛ وذلك أني دائمًا أنظر لمن حولي من الطلاب وأمتحنهم في مسألة السنة والبدعة، فأدى ذلك إلى طردي لكثير منهم من المسجد؛ لـمَّا ثبت عندي ابتداعهم، ولتعصبهم ودفاعهم عن رموز الإخوان، فلما حدث بعد ذلك وتكلمت في أبي ثمود البيلي، وتكلم الشيخ رسلان والشيخ طلعت، فإذا بهؤلاء الشباب يسبُّونني ويسبون الشيخين رسلان وطلعت ويطعنون فيهما جدًّا، ويثنون على البيلي؛ لماذا؛ لأني قد بدَّعتهم بمنهج الصحبة والألفة فطردتهم، وبنفس المنهج بدعت أبا ثمود البيلي من قبل، فمن الطبيعي أن ينتصروا للأخير، مع أنَّ هؤلاء السفلة كانوا في معهد الفرقان بسبك الأحد،

فردُّوا جميل المربي والمعلم بأن سبُّوه!! ثم إن هؤلاء وضعوا أيديهم على مسجد عندنا وأرادوا أن يفعلوا به جبهة ضدي -سبحان اللَّه العظيم على من اشترى بآيات اللَّه ثمنًا قليلًا وجعل من مساجد اللَّه مساجد الضرار، واستغلوا الدعوة للتنفيس عما في قلبهم من الغل والحقد والبغضاء- الشاهد: أنَّ بعض الإخوة ذهبوا إلى أبي جميلة النعماني، وشرحوا له الأمر، فقال: أنا لن أكون جبهة ضد الشيخ عيد، حتى قال له شاب ملازم له، هو شكله؛ فقد تربى في حضن الإخوان، وأهله كلهم منهم قد تلون مثل شيخه بعد ذلك، قال له: صحيح يا شيخ هؤلاء ما أرادوا بهذا المسجد الدعوة للَّه، وما أرادوا إلا محاربة الشيخ عيد، والذي ذهب لنصح النعماني ذهب متطوعًا من نفسه لا رسولًا منِّي، لأن أمره قد اتضح لي وقد نبذته تمامًا، فلما حدث قلت له: سننظر ماذا سيحدث، وماذا يكون من أمره، فإذا بأبي جميلة يذهب إليهم، ثم قال -بعد أن فصَّل له الملازمُ له، الذي يسجل له الدروس، أنَّ هؤلاء الشباب مبتدعة، وقد سجل لأحدهم ثلاث ساعات فيها اعترافه ببدعته على نفسه، وظهر له الأمر جليًّا- فإذا بأبي جميلة النعماني يقول: إيه يعني، أخطأ البيلي ولا حرج وأخطأ فلان وفلان- من هؤلاء الشباب المطرودين- وإيه يعني، وهذا يؤكد أنه ما زال يقول بالموازنات، وهو الآن كتوأمه قد جمع حوله المبتدعة يترأسهم ويوجههم؛ جَمَعَتْهُمْ -واللَّه- ألفةُ الابتداع، وتآلُفُ أرواحهم، ودينهم ومذهبهم؛ فالمرء على دين خليله، فهم متماثلون، متجانسون، متآلفون، متعاونون، وتغلبت عليه بدعيَّته فما استطاع أن يمنع نفسه من الذهاب لمسجد الضرار الذي أقسم أصحابه أن يطردوني من الهجانة ومن المكان كله؛ لما طردتهم، بل يتصلون بالطلبة عند وقت الدروس، ليحضروا لأبي جميلة، الذي جعل أيامه موافقة لأيام دروسي.

وما كان ذلك منه إلا بعد أن أراد زيارتي في بيتي فرفضت، وكان ذلك بعد بداية ظهور أمره لي.

فاحذروا أبا جميلة المبتدع المستِّر هذا!!

ولا يزال أبو جميلة يقول: إنَّ الذي بيني وبين الشيخ عيد سحابة صيف وستمر!!!

أفق يا أبا جميلة القبيح، ألم تطلب مقابلتي في بيتي ورفضت، فأرسلت إليَّ رسالة تقول فيها: «اللَّه الموعد»؟! نعم اللَّه الموعد، فهي تلزمك أنت، ألم تتصل بي مرات ولم أرد عليك؟! أيُّ سحابة صيف، والأمر استنان أو ابتداع؟! وهل أُعْطِي أُذني لرجل قد ثبتت عندي بدعته؟!

أخي طالب العلم: إنَّ تنقية الصفِّ، وتمحيص أهل السنة؛ ليميز اللَّه الخبيث من الطيب لمن أهم ما يكون، ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى من حيّ عن بينة، ولتُعْلم شريعة الفرقة الناجية.

إنَّ أبا جميلة المبتدع المتستر آثر أن يتكلم في الفقه ومسائله، وهذا عنده العلم؛ لما قال: دعونا في العلم، وقد قال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني: «العلم هو السنة والجهل هو البدعة»، وما تكلم طول مكوثه في الهجانة وشرح كتابًا واحدًا في أصول السنة والمنهج، ما شرح إلا نواقض الإسلام، التي يكررها في كل مكان وجزءًا من كتاب التوحيد فحسب!!

قال العلامة الفوزان في كتابه: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٧ – ٨):

«في وقت جُهلت فيه طريقة الدعوة الصحيحة، وصار كثير من الدعاة يهتمون بجوانب ضئيلة لا تُسْمن ولا تُغني من جوع بدون العقيدة، ويتركون جانب العقيدة، وهم يرون كثيرًا من الناس متورِّطين في الشرك الأكبر حول الأضرحة والمزارات، ومتورِّطين في البدع والخرافات، ويرون دعاة الضلال قد استحوذوا على كثير من الجهلة والعوام، وساقوهم إلى مواقع الهلاك والضلال، واتخذوهم عبيدًا لهم يتصرَّفون بعقولهم وأموالهم، ويترأسون عليهم بالباطل وباسم العلم والولاية.

إن كثيرًا من الدعاة اليوم -مع الأسف- لا يهتمون بجانب العقيدة وإصلاحها في قلوب الناس وأعمالهم، بل ربما يقول بعضهم: اتركوا الناس على عقائدهم، ولا تتعرضوا لها، اجمعوا ولا تفرقوا، لنجتمع على ما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه!! أو نحوًا من هذه العبارات التي تخالف قول اللَّه تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

إنه لا اجتماع ولا قوة إلا بالرجوع إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، وترك ما خالفهما، ولاسيما في مسائل العقيدة التي هي الأساس، قال تعالى-: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولا يُصْلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوَّلها» اهـ.

إنَّ كل من خَبَرَ أمر أبي جميلة النعماني يعلم أنه مميِّع لقضية التوحيد، لاسيما في أصله الأصيل الموالاة والمعاداة والحذر من البدع والابتداع، وسلوا أبا جميلة القبيح هذا: أين أنت من أمهات كتب الفرقة الناجية، الإبانة، والشريعة، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وشرح السنة للبربهاري، وعقيدة السلف أصحاب الحديث، الكتب التي تلزمك بتغيير دمك؟!

ونحمد اللَّه أنك لم تقربها حتى لا تشوِّهها، كما شوَّهت أصول السنة للإمام أحمد، الكتاب الوحيد في أصول السنة الذي شرحه، وسلوا عنه الشيخ ريحان.

والذي نفسي بيده، من سنين وأنا أسمع في كثير من المحافظات أنَّ أبا جميلة على جملة من الأخطاء والفساد العقدي، لما كنت أذهب إلى هناك في الدروس والخطب، ويقول لي الإخوة ذلك وأنا أدافع عنه؛ لأنه لم يثبت ذلك عندي، فلما ثبت تكلمت بالنصوص والأدلة والقرائن؛ فإني أبغض التقليد وأمقته، وأتعبد إلى اللَّه تعالى بما ترجَّح عندي من الأدلة لا أقول شيئًا

إلا بعد ظهوره وبيانه لي جيدًا.

- **بعض فتاوى المعاصرين في التبديع بالصحبة والألفة:**

وبعد أن استدللت على منهج التبديع بالصحبة والأُلفة بالكتاب والسنة والإجماع -كما مرَّ في المسألة الرابعة- أذكر بعض كلام أهل العلم المعاصرين في ذلك، ليؤكد هذا الذِّكْرُ تبديع أبي جميلة النعماني المبتدع المتستر هذا، وتوأمه أبي ثمود البيلي.

سئل العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شريط (فضل الإسلام) عن الذي يُثني على أهل البدع ويمدحهم، هل يلحق بهم؟ قال:

«نعم، ما فيه شك، من أثنى عليهم ومدحهم، هو داع إليهم، هو من دعاتهم، نسأل اللَّه العافية» اهـ.

ولما سُئل الشيخ أحمد النَّجمي، كما في (حوار مع الحلبي: ص٤٢) في ذلك قال: «من أثنى على المغراوي -شيخ مغربي معروف- بعد أن علم نزعته الخارجية، يجب أن يلحق به، ولا أعلم أحدًا من أهل السنة المعروفين سيتوقف عن إلحاقه به» اهـ.

قلت: فهنيئًا لك يا أبا جميلة مدحك لتوأمك الذي ظهرت نزعته الخارجية.

وقال العلامة ربيع السنة -حفظه اللَّه- كما في (المنهج التمييعي وقواعده):

«السؤال الخامس: هل يلحق أتباع المبتدع بالمبتدع؟

قال: نعم، يلحقون به؛ إذا ناصروه، وأيَّدوه، ودافعوا عنه، هم جُنْدُه، وهو واحد منهم، مثل جند فرعون: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧، ٦٨] فالأتباع هم الضعفاء الذين يخدعهم أهل الباطل، ويقودونهم إلى مخالفة

الحق ومحاربة أهله، هؤلاء لهم حكم سادتهم، لكن أنتم إذا رأيتم الناس مخدوعين، فلا بأس أن تبصِّروهم، وتبينوا لهم الحق، وإذا استمر في الالتصاق بسادتهم فيلحقون بهم، نعم» اهـ.

وقال الشيخ محمد بازمول في الأسئلة الليبية: ما الموقف الصحيح لمن يدافع عن أبي الحسن ويذبُّ عنه؟ قال:

«الموقف الصحيح ممن يدافع عن أبي الحسن، هو الموقف ممن يدافع عن أهل البدع، نقول: يُناصح هذا الذي يُدافع عن أهل البدع وينافح عنهم، فإن رجع، وإلَّا عومل معاملتهم في التحذير منه، والبعد عنه وعن مجالسته، وتحذير الناس من السماع منه» اهـ.

- **بيان نفاق أبي جميلة النعماني:**

ويُظهر نفاق هذا الرجل وتلونه، أنه بعد أن كان مصرًّا على ما قاله في الشيخ رسلان، فلما اجتمعت كلمة المشايخ على البيلي، قال في هذا المجلس عند الوالد حسن البنا في الجلسة التي لم أحضرها: «أنا مستعد أنْ أرجع فيما قلته على الشيخ رسلان»، أو نحو ذلك من الكلام الذي يُظهر رغبته في التراجع.

بلَّغني ذلك أحد المشايخ الأفاضل مما كان يحضر وهو الدكتور طه عبد المقصود، فقلت له: هذا رجل متلون يعبث بدينه، فدعك منه، بل غبيٌّ يظن أنه يطعن في الأكابر ثم إذا أراد الرجوع بعد تبجُّحه قُبِلَ رجوعه غير الصادق؛ لأنه ما قال ذلك إلا لما رأى أنَّ كفَّة البيلي قد طاشت، وهلك، نعوذ باللَّه من النفاق، ومما يدل على ذلك؛ أنه إلى الآن في وكر الهجانة يلتمس الأعذار للبيلي ويقول إنَّه أخطأ، ولم يبدِّعه حتى الآن.

ثم لما رأى أنَّ هذا غير مقبول منه رجع لطبيعته في التلون فسبَّ الشيخ

بأقبح الشتائم.

قال العلامة عبيد الجابري، كما في لقاء مع طلبة العلم من المغرب:

«إنَّ القاعدة العامة عند أهل السنة في الإلحاق بالمبتدعة: تنحصر فيمن يدافع عن أهل البدع ويسوِّغ لهم، ويعتذر لهم، مع علمه بأنهم على ضلال.

هذه خلاصتها، فلا يصدر هذا إلَّا من صاحب هوى في الغالب، وإن أظهر التستُّر بالسنة؛ لأنه يخشى سطوة أهل السنة، لكنَّه هو صاحب هوى، وقد يكون جاهل من الجهال يُحب الخير، وليس عنده فرقان، فيظن أن سيد قطب، وحسن البنا، والمودودي، والنَّدوي، وفتحي يكن، ويوسف بن عبد اللَّه القرضاوي المصري، قد يظنهم علماء.

ولكن هذا إن كان صادقًا جادًّا فيما يدعيه أنَّ طُلْبَتُه الحق، سيرفع يده عن هؤلاء، ويتبرَّأ منهم، إذا تبين له، وإن كان كاذبًا فسيبقى على ما هو عليه نحوهم من الدفاع عنهم، والاعتذار لهم، وتبرير أخطائهم وتسويفها، حينئذ يلحق بهم ولا كرامة عين» اهـ.

ولقد بيَّنت في المسألة الرابعة إجماع السلف على التبديع بالصحبة والألفة؛ وخير شاهد على هذا: هذا السيل الجرار من الآثار التي ذكرت بعضها، والتي رواها ابن بطة في الإبانة في الجزء الأول منه؛ وقد قال شيخ الإسلام في المجموع (٢٤/ ١٧٢):

«نعم، من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خِلافًا لا يُعذر فيه، فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع» اهـ.

ولقد سُقت الأدلة على ما أزعم من الكتاب والسنة والإجماع.

- **تحذير المشايخ من أبي جميلة النعماني:**

ومن أيام اتصل بعض طلبة العلم في المسجد عندي بالوالد حسن البنا وسأله عن أبي جميلة النعماني فقال: «ليس منَّا»، وفي اتصال آخر قال:

«لا تسمعوا له».

وسُئل أخونا في اللَّه الشيخ أبو عبد الأعلى خالد عثمان: عن أبي جميلة وهل يؤخذ عنه العلم؟ كما على صفحته من يومين في ٢٧/ جمادى الأولى ١٤٣٥هـ، قال: «أحد الدعاة وطلبة العلم الذين كانوا في أوَّل أمرهم على حسب ما نعلم من الحزبيين القطبيين التكفيريين وكان يزكِّيهم ويُثني عليهم ويدافع عنهم، كمحمد حسان وأبي إسحاق الحويني، ثم جاء في وقت ما وأظهر شيئًا من التراجع عن هذا، ولكنه تراجع ليس بالتراجع المحمود.

وفي الوقت نفسه الذي أظهر فيه التراجع عن الثناء على هؤلاء التكفيريين، كان له مقال في منتديات كل السلفيين، من خلال لقاء معه في شكل أسئلة وأجوبة، فكانت إجاباته كلها متوافقة مع أصول علي الحلبي، بل يقرر أصول علي الحلبي[١]، وبيَّن أنه التقى بعلي الحلبي لما أتى إلى مصر، وأنه يُثني عليه ثناءً كبيرًا.

فلما اطلعت على هذا المقال، أرسلت إليه نصيحة أُبيِّن له فيها ضلال وبطلان هذه الأصول الحلبية، وأنها مخالفة لما عليه العلماء[٢].

وطلبته أنْ يُعلن التوبة الصريحة من هذا الكلام؛ إنْ كان يريد أن يكون مع السلفيين كما يدَّعي، فظلَّ شهورًا لم يُجبني، ثم أرسل إليَّ رسالة ركيكة، تدل على ضعفٍ علميٍّ وعدم فهم لكل الكلام الذي ذكرته له، وأخيرًا بلغني أنه

(١) والرجل إلى الآن لم يبدِّع الحلبي، ويدافع عنه، ويقول: إنه أخطأ وتاب مما نُسب إليه من مسألة وحدة الأديان، وما زال أمر الموازنات عنده منهجًا معتبرًا.

(٢) وقد حدث منِّي ذلك تلقائيًّا قبل أن أعرف أمره، حيث أرسلت إليه كتابي: التحذير والتبيين بوجوب الرد على المخالفين، وكذلك كتابي: إعلام الموقعين بجناية تنزيل الموازنات على المبتدعين، وبهما بيان المنهج مع أهل الأهواء، وكان ذلك بعد سنين من رسالة الشيخ خالد، مما يؤكد إصراره على الباطل.

انجرف في فتنة هشام البيلي هذه؛ فالرجل ليس ثابتًا على الأصول السلفية الصحيحة[١]، وعنده شيء من الاضطراب.

وثناء الوالد شيخنا حسن عبد الوهاب البنا عليه؛ فهذا بناء على ما ظهر له من حاله في وقت ما أظهر التراجع[٢]، لا أعلم أنه يَنصح به، بل علم انجرافه في فتنة البيلي وتبيَّن له، وأنا كنت بيَّنت للشيخ حسن البنا ما عند الرجل من الأصول الحلبية، ولم يتراجع حتى الآن التراجع الصريح[٣] فلا ينبغي بأن نُغرِّر بالشباب مع أمثال هؤلاء الذين لما يسقطوا لهم في الفتن، كلما جاءت فتنة سقطوا فيها، إلا من رحم اللَّه، نسال اللَّه أن يهديه وأنْ يردَّه إلى الحق، وأن يستفيد من نصحي له، وأن يجلس تحت ركب العلماء يتعلم ويتواصل مع العلماء، ويهتدي ويسترشد بأقوالهم، حتى يكون طالب علم بالفعل ويُستفاد منه» اهـ.

ثم لما انتهيت من صف هذا الكتاب، سمعت ردَّ النعماني على هذه الفتوى وما وُجد فيها من مراوغة وكذب وعدم الرجوع للحق فعلمت أنه لن يرجع، وسيأتي كلامه مفصلًا.

ومن هنا تعلم لماذا يُبغض النعماني الشيخ رسلان، ففي حين يرفض الشيخ مقابلة الحلبي، وينبذه نبذ الكلاب، يلهث النعماني أبو جميلة القبيح وراءه ويثني عليه ويدافع عنه إلى الآن، ويقول بأصوله ويتعصب له. وقد أقر الشيخ طلعت زهران كل ما قاله أبو عبد الأعلى.

● تحذير الشيخ خالد عبد الرحمن من أبي جميلة النعمانيِّ:

قال الشيخ في فتوى مبثوثة على شبكة النِّت لما سُئل عن عبد الستير

---

(١) وذلك ما تبصَّره فيه الشيخ رسلان حيث قال لي: «هذا رجل متلون كل يوم في دين جديد» لذلك هذا الرجل فتنة، كلما نزل بمكان أحدث فتنة وانشقاقًا.

(٢) وهذا ما حدث لكل المشايخ لما أظهر لهم التراجع أحسنوا الظن به، فما أمهل سنة فكان ما كان كحال توأمه البيلي.

(٣) ولن يتراجع إلا تقية، عندما يتفق المشايخ على تبديعه، وسيرون إن شاء اللَّه.

النعماني من يومين:

«بلغني من طريقٍ عن بعض إخواني، أنَّ الرجل يحامي عن هؤلاء: محمد حسان، ومحمد عبد المقصود، وأضراب هؤلاء، ولا يرى الكلام فيهم، ولا يرى القدح فيهم، ويلين الكلام في الجماعات، ويلمز بعض علمائنا من أئمة الجرح والتعديل، وربما تكلم ببعض الكلمات التي لا تليق، واتَّهم بعض علمائنا بالتشدد والشِّدَّة في غير موضعها، وأنه ما ينبغي الجرح في الدعاة، وهي: شِنْشِنَةٌ نعرفها من أقدم، كما يقال، فعندئذ أنا لمَّا بلغني هذا الكلام من أكثر من طريق من بعض إخواني الذين يحضرون عنده، فعندئذ أنا حذَّرت منه وما زلت؛ على حسب الكلام الذي بلغني ممن أثق به من إخواني وعن طريق أكثر من وجه؛ لذلك حذَّرت منه إذا كان.

لذلك؛ فهذا رجل مُميِّع يجب أنْ يحذَّر منه الشباب، وما أكثر المميِّعين الآن، خصوصًا في بلدنا هذه مصر، والذي أدين به: أنه يُحذَّر منه ولا يحضر عنده حتى لا ينصبغ الشباب بصبغة التمييع.

وقال أخونا الفاضل -حفظه اللَّه- أبو اليمين المنصوري، لما سُئل عن عبد الستير حسبما قلتَ، أنه قال: (لم يبلغني عنه إلا السيِّئ، ولم يبلغني عنه الخير)، فحسب نقلك، فهذا وافق تمامًا الكلام الذي بلغني عن هذا عبد الستير، وكما يقال: (أثر الدعوة تصل قبل صاحبها)، ربما أنا لا أعرف الشخص، ولكن أثر دعوته تبلغني، السلفي أثر دعوته يسبقه، والخلفي المبتدع أثر دعوته أيضًا يسبقه، وهذا السرُّ الآن الذي وافق فيه كلام أخينا وحبيبي في اللَّه الشيخ أبي اليمين المنصوري، مع الكلام الذي أنا أقيِّم فيه هذا المدعو: أخونا عبد الستير، ولكن حذِّروا الناس منه إذا كان له تأثير على الشباب وتغرير بهم.

وقاعدة التحذير عند أهل السنة: أنَّ كل من كان في دعوته ضرر على السنة وأهل السنة وعلى أهل الإسلام والكتاب والسنة وعلى الدين، وكل من كان في

دعوته بدعة وضلالة وانتقاص لأهل السنة وعلمائهم قديمهم وحديثهم، فيجب أنْ يُحذَّر منهم بحسب مقتضى الحال، ربما حُذِّر منه على مستوى الأفراد، أنْ أقول لفلان: لا تصاحب فلانًا.

وربما حُذِّر منه في الكتب؛ كما فعل الأئمة كالشيخ الألباني في ردِّه على حسان عبد المنَّان، وكشيخنا ابن باز، عندما كان يردُّ على أهل البدع في الصحف والمجلات، وربما حُذِّر من كتابته، وربما حُذِّر منه على رءوس الأشهاد.

إذنْ، يُحذَّر منه إذا كان في دعوته ما يضرُّ السنة وأهلها، يُحذَّر منه بحسب مقتضى الحال.

والنبي ﷺ ربما حذَّر في مجلس خاص، كما روى البخاري (٦٠٦٢) قال: «**بئس أخو العشيرة**».

وربما حذَّر في ملأ عام كما روى مسلم (٢١٥): سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول جهرًا لا سرًّا: «**إن آل فلان ليسوا لي بأولياء، إنما أوليائي المتقون**».

وربما حذَّر على المنبر قال: «**ما بال أقوم يذكرون كذا**» (رواه مسلم (١٤٠١).

وربما ذكر اسم الشخص، كم روى البخاري (٦٠٦٧): «**لا أظن أنَّ فلانًا وفلانًا يعرفان شيئًا من أمر ديننا**».

وربما أطلق ولم يُعيِّن الأشخاص: «**ما بال أقوام يقول أحدهم...**» كما روى البخاري (٦١٠١).

إذن كل هذا تنوع في أساليب التحذير بحسب ما تقتضي الحال وما تفرضه المصالح والمفاسد.

ولكن عندما نأتي لنحذِّر من هؤلاء لا نعطيهم فوق قدرهم؛ لأنه قد يكون مغمورًا بمقولته، فتأتي أنت لتُحذِّر من مقولته، فتشهر مقولته، مع أنَّ الأصل أنْ

يُهمل، ولكن كما قال الشيخ الوالد محمد عبد الوهاب البنا، لما سألته أنا هذا السؤال قال: (إذا كان خطرًا وله تأثير على الدعوة، أما إذا كان مهملًا مغمورًا، لا قيمة له لا يُسمع له، فمثل هذا إهماله أوْلى، وهذا يُحَجَّم بالإهمال». » اهـ.

قلت: ومما كذب فيه النعماني عليَّ في شأن الشيخ خالد عبد الرحمن، أنه قال لي كلامًا كل من سمعه يتوهَّم أنَّ النعماني صديق عزيز للشيخ خالد عبد الرحمن، فإذا الأمر على عكس ما قال النعماني الكذاب الذليل.

فأقول: دع يا أبا جميلة الشيخ رسلان جانبًا، فهل بينك وبين هؤلاء المشايخ المذكورين ما يدفعهم للتحذير منك ظلمًا وبهتانًا؟! بل قال الشيخ طلعت: «كنت أزكيه وأنا الآن أتبرأ منه، فمثله مثل البيلي لا يُثنى عليه، ولا يحضر له درس» سمعت ذلك من أخيه محمود نقلًا عن الشيخ طلعت، ثم قال: وسيُرفع كلام الشيخ الذي قاله لي أمام الحاضرين على صفحته.

ويعلم القاصي والداني من طلبة العلم، فضلًا عن الدعاة أن الحلبي هالك محترق بدَّعته اللجنة الدائمة، والشيخ النجميّ، والشيخ ربيع المدخلي، والشيخ عبيد الجابري، ومن ثم فلا يجهل أبو جميلة ابن عبد الستير النعماني حال الهالك الحلبي فبثنائه عليه لحق به في الهلاك والضلال لاسيما بعدما بيَّن له الشيخ خالد ضلال أصول الحلبي، وأبو جميلة يقول بأصوله ويقررها ويُثني عليها وعليه، فلقد تعدَّدت أسباب تبديع الهالك أبي جميلة.

وتجده يسلك سبيل توأمه البيلي في الضلال؛ فلم يحدث منه التراجع القاطع الذي به يُنجِّي نفسه مما كان فيه وهو في أحضان الحزبيين القطبيين التكفيريين الهالكين، كما فصَّل أبو عبد الأعلى آنفًا، حيث تباطأ شهورًا في الردِّ على رسالة النصيحة، ثم لمَّا ردَّ بعدها ما تراجع ولا انزجر؛ لماذا؟! لأنه منهم، فكيف يتراجع الرجل عن منهجه، وعشيرته؟! ورحمة اللَّه على سلفنا الصالح أجمعين حيث قالوا:

«يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة» وقد مرَّ في المسألة الرابعة، فارجع إليها؛ ليُشفى قلبك من كلامهم ونورهم، فتبصر ما عمَّى المبتدعون على المسلمين رؤيته، وليتعلم ما جَهَّل أهل الأهواء الناس به تعمُّدًا حتى لا ينكشف حالهم، فكتموها وأخفوها.

إن المتتبع لكتبي يعلم منها شدتي على أهل الأهواء وذكرهم بأسمائهم مرارًا، وفي جُلِّ خُطَبِي كذلك؛ تبرُّؤًا منهم، وذلك لأني كنت في بداية الطلب بحكم السكن قريبًا من بعضهم، وذكري لهم بأسمائهم في كتبي وعلى المنابر قد حدث مرات كثيرة من قبل ومن بعد وإلى يوم الناس هذا، حتى أني وصفت هؤلاء الحزبيين: بالقتلة المجرمين؛ وذلك لمن قتل بسبب فتاويهم الدموية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦١ - ١٦٢):

«فلا تجد مبتدعًا إلا وهو يُحب كتمان النصوص التي تخالفه ويُبغضها، ويُبغض إظهارها وروايتها والتحدث بها، ويُبغض من يفعل ذلك، كما قال بعض السلف: ما ابتدع أحد بدعة إلا نزعت حلاوة الحديث من قلبه» اهـ.

- **تعقيب:**

قال الإمام البربهاري أبو محمد الحسن بن علي (ت٣٢٩هـ) من أصحاب الإمام ابن بطة، في كتابه الجليل: شرح السنة (ص٩٨ - ٩٩/ فقرة: ١٦٠):

«ولا يحل لرجل مسلم أن يقول: فلان صاحب سُنة حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، لا يقال له: صاحب سنة؛ حتى تجتمع فيه السنة كلها» اهـ.

وما قاله البربهاري نُقلت عليه الإجماعات، كما ذكرت في نهاية المسألة الرابعة، فمن ترك خصلة من خصال السنة، أو ابتدع بدعة واحدة صار مبتدعًا بهذه الإجماعات عند أهل السنة؛ لا خلاف بينهم ألبتة في ذلك؛ بل قال الإمام ابن بطة في الإبانة (٢/ ١٠) بعدما ذكر خصال السنة والإجماع عليها:

«لا يخالف ذلك ولا يُنكره، ولا يشذ عن الإجماع مع الناس فيه إلَّا رجل خبيث زائغ محقور مهجور مدحور، يهجره العلماء، ويقطعه العقلاء؛ إنْ مرض لم يعودوه، وإن مات لم يشهدوه» اهـ.

ومن أهم خصال السنة اجتناب أهل البدع وعدم مجالستهم ومصاحبتهم وسماع كلامهم، بل وقهرهم وإذلالهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم والتقرب إلى اللَّه بمجانبتهم ومهاجرتهم، ثم الردّ عليهم وبيان باطلهم، وعلى ذلك نقلت الإجماعات.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣١٥ - ٣١٦) وهو يتكلم عن صفات أهل السنة والجماعة:

«ويتاحبُّون في اللَّه ويتباغضون فيه، ويتقون الجدال في اللَّه والخصومات فيه، ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين، ويبغضون أهل الأهواء الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرَّت بالآذان وقرَّت في القلوب ضرَّت، وجرَّت إليها من الوساوس والخطرات ما جرَّت، وفيه أنزل اللَّه ﷻ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]. . . وهذه الجمل التي أثبتُّها في هذا الجزء كانت معتقدهم جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم، بل أجمعوا عليها كلها.

واتفقوا مع ذلك: على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم، وإبعادهم، وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى اللَّه بمجانبتهم ومهاجرتهم» اهـ.

وأبو جميلة قد ضرب بكل ذلك عرض الحائط، فكان في أحضان رءوس

أهل البدع في بلدنا، ثم لمَّا تركهم، ما تركهم كما ينبغي للتائب الترك، ولمَّا تبرأ منهم، ما تبرَّأ كما ينبغي، ودليل ذلك حاله مع الحلبي، وهو رأس في الضلال والتلون والبدع، ثم حاله مع البيلي أبي ثمود توأمه، بل يدافع عنهم، ويُثني عليهم، ويصاحبهم، ويجالسهم، ويعتذر لهم، فآخر ما قال على البيلي بعد أن بدَّعه أهل العلم: البيلي أخطأ، وإيه يعني!!، وذلك مع ثبوت علاقته مع الإخوان إلى الآن، وطعنه فيمن يتكلم في أهل الأهواء، وسكوته الغالب على التكلم في أهل البدع، ونَصْرُهُ للمبتدعين وغشيانه مساجدهم، وتواجُده في مساجد الضرار، على ما مرَّ مفصَّلًا، كحال توأمه البيلي تمامًا، كما قال تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١١٨].

ومنعه لي -لما كنت معه في عقد زواج أحد الطلبة- أنْ أتكلم في أهل الأهواء، ثم تمييعه لقضايا المعتقد، وإسفافه في حرصه على تضحيك الناس، وبهذا السفه منعني من التكلم في أصول السنة، وحرصه دائمًا على أن يرضى عنه كل الناس، وعدم مواجهته لأهل الأهواء ممن يحضرون عنده، حتى لا يَنْفَضَّ عنه الناسُ، وحتى يكثِّر سواده، فعطل شعيرة الولاء والبراء.

وسلوه عن محمد جلوة وسيد هارون، وابحثوا حتى تعلموا من هما؟! واعلموا ما عليه الرجل من المراوغة روغان الثعالب والتلون وحسن توصيل ما يريد مهما كان من الباطل.

وعليه، فقد ثبت في أبي جميلة النعماني جملة أسباب بها يُبدَّع، ولقد نقلت لك الإجماعات في نهاية المسألة الرابعة على تبديع السلف للرجل بالبدعة الواحدة، وقد تعددت أسباب تبديعه، ونقلت لك فتاوى أهل العلم الثقات آنفًا في إلحاق المصاحب للمبتدعة، والمدافع عنهم، والمُثْني عليهم بهم ولا كرامة.

فاحذروا أبا جميلة النعماني المبتدع المتستِّر هذا، واحذروا توأمه: أبا ثمود البيلي المبتدع هذا؛ وتعلَّموا أصول أهل السنة في البدعة والسنة حتى تُطهِّروا مساجدكم من المخادعين المتستِّرين الذين يَسْتَخْفُونَ وراء رايات

أهل السنة والجماعة.

فإنَّ من أجل أصول أهل السنة وأهمها التحذير من أهل البدع والأهواء وبيان أمرهم حتى يتطهر أهل السنة من الدخلاء عليهم؛ ليميز اللَّه الخبيث من الطيب، وبيان من السُّنِّيُّ من البدعيِّ والمميِّع المنافق الذي به يفسد العباد والبلاد؛ وما فيه الأمة الآن من الفساد المستشري العريض من خراب الدول وتقطيعها وتشرذمها، وما فيها من الإرهاب المجرم الخبيث، كلُّ ذلك من ثمار دعوة أهل البدع، طهر اللَّه البلاد والعباد منهم وجنَّبنا فتنتهم وفسادهم وضلالهم ومكرهم.

وما ظنُّ العاقل البصير لو كانت هذه القنوات الفضائية البدعية، والتي كانت من الأسباب الأولى للفتن العظام التي فيها الأمة الآن، ماذا لو كانت تحت أيدي أهل السنة والجماعة فحذَّروا الناس من الخروج وفِتَنِهِ، ومهَّدوا لهم من سنين لضرورة ووجوب التمسك بمثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، أكان يحدث ما حدث من المصائب والويلات؟!؛ ولكنَّ (لو) تفتح عمل الشيطان، فلله الحمد على كل حال.

إن أهل البدع والأهواء أشد على المسلمين خطرًا من اليهود والصليبيِّين.

وذلك؛ لأن المبتدع يُفسد الدين باسم الدين ويحارب الإسلام بابتداعه تحت راية الإسلام، أما الكافرون فحالهم معروف؛ فكان المبتدعة بين المسلمين بمثابة الطابور الخامس الذي يفسد في الخفاء؛ فكان أشد خطرًا.

ومن هنا قال الحسن البصري فيما رواه اللالكائي (٢٢٣) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:

«أهل الهوى بمنزلة اليهود والنصارى».

وقال قوَّام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٣٩):

«ترك مجالسة أهل البدع ومعاشرتهم سُنَّة، لئلَّا تعْلق بقلوب ضعفاء المسلمين بعض بدعتهم، وحتى يعلم الناس أنهم أهل البدعة؛ ولئلا تكون

مجالستهم ذريعة إلى ظهور بدعتهم» اهـ.

وقال الإمام البربهاري في شرح السنة (ص: ٤٥/ فقرة: ٨، ٩):

«فانظر -رحمك اللَّه- كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة، فلا تعجلنَّ، ولا تدخلنَّ في شيء منه حتى تسأل وتنظر: هل تكلم به أصحاب رسول اللَّه ﷺ، أو أحد من العلماء، فإن وجدت فيه أثرًا عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء ولا تختار عليه شيئًا فتسقط في النار.

واعلم أنَّ الخروج من الطريق على وجهين: أما أحدهما: فرجل قد زلَّ في الطريق وهو لا يريد إلا الخير، فلا يقتدى بزلَّته؛ فإنه هالك.

وآخر عاند الحق وخالف من قَبْلَه من المتقين، فهو ضال مضل شيطان مريد في هذه الأمة حقيق على من يعرفه أن يحذر الناس منه ويُبيِّن للناس قصَّته؛ لئلا يقع أحدٌ في بدعته؛ فيهلك» اهـ.

فاحذروا الشيطان المريد أبا جميلة القبيح المبتدع المتستر المتلون المنافق هذا.

وقال ابن زمنين في أصول السنة (ص٨٥):

«ولم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلَّة، وينهون عن مجالستهم، ويخوِّفون فتنتهم، ويخبرون بخلافهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم ولا طعنًا عليهم» اهـ.

- **بدَّعناك يا أبا جميلة بتبديعك لنفسك!!:**

سمعت أبا جميلة النعماني في شريط يقول: «يُلحق المرء بأهل البدع ليس بمجرد الجلوس معهم، ولكن بشرط الصحبة والملازمة والثناء عليهم» اهـ.

قلت: إذن قد بدعناك بتبديعك لنفسك وحكمك عليها، ولله الحمد والمنة، ولكن قد أخطأتِ استك الحفرة في عدم التبديع بالجلوس؛ لمخالفة

كلامك لكل الأدلة من الآيات والأحاديث والآثار التي مرَّت في المسألة الثالثة والرابعة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]؛ فإن المرء لا يجلس ابتداء إلا مع من شاكله وناسبه وآلفه وحَبَّهُ؛ وحديث: «**الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف**» والإجماع الذي مرَّ آنفًا لأبي عثمان الصابوني، وفيه:

«ويبغضون أهل الأهواء الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، . . .».

فمن خصال أهل السنة عدم الجلوس مع أهل الأهواء، فمن جلس فقد ترك خصلة من هذه الخصال، فهو ليس بسُنِّي، كما نُقلتْ الإجماعات على ذلك، أنَّ من خالف في مسألة واحدة فهو مبتدع؛ لذلك قال البربهاري في شرح السُّنة كما مر قريبًا (فقرة: ١٦٠)، وفيه:

«لا يقال له صاحب سُنة حتى تجتمع فيه السنة كلها» اهـ.

وجُلُّ آثار السلف التي مرَّ ذكرها؛ فمدارها على نهيهم عن الجلوس مع أهل البدع؛ لأن الجلوس هو الباب الذي تحدث منه الشرور.

وقد مرَّ أثر عمران بن حطان الذي رواه ابن بطة في الإبانة (٤٨٢) عن عثمان البَتِّيِّ قال:

«كان عمران بن حِطان من أهل السنة، فقدم غلام من أهل عمان مثل البغل فقلبه في مقعد» وفي رواية: «فَقَلَبَه في مجلس».

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

والذي يؤكد ذلك؛ ما قاله الإمام أحمد في مسائله من رواية ابنه صالح (٥٨٨) قال:

«الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم، أنهم كانوا

يكرهون الكلام والخوض مع أهل الزيغ، وإنما الأمر في التسليم والانتهاء إلى ما في كتاب اللَّه -جلَّ وعزَّ- لا يعدو ذلك.

ولم يزل الناس يكرهون كل محدث: من وضع كتاب، أو جلوس مع مبتدع؛ ليورد عليه بعض ما يلبّس عليه في دينه، فالسلامة -إن شاء اللَّه- في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم، فليتق اللَّه رجل، وليصر إلى ما يعود عليه نفعه غدًا من عمل صالح يقدِّمه لنفسه، ولا يكون ممن يحدث أمرًا، فإذا هو خرج منه أراد الحجة له، فيحمل نفسه على المحك فيه وطلب الحجَّة لما خرج منه بحق أو باطل؛ ليزيِّن به بدعته وما أحدث».

والشاهد قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يزل الناس يكرهون كل محدث: من وضع كتاب، أو جلوس مع مبتدع» فالجلوس مع المبتدعين بدعة محدثة، والجلوس مع أهل البدع والأهواء ما زال السلف يحذرون منه ويكرهونه أشد التحذير وأعظم الكره والبغض؛ وما ذلك كذلك إلا لأنه محدث مبتدَع.

ثم كرر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «ولا يكون ممن يُحدث أمرًا، فإذا هو خرج منه أراد الحُجَّة له».

وأما قوله: «بشرط الصحبة والملازمة» أما الصحبة فنعم، وأما الملازمة، فما ضابط ذلك حتى نفرِّق بين ملازمة تُبدِّع وملازمة لا تُبدِّع؟! هل يلازمه مدة شهر، أم سنة، أو أسبوع، أو أيام؟! وإنما هو على ما فصَّلت في المسألة الرابعة، أنه إذا حدثت الألفة حدث التبديع بعد العلم بحاله؛ لأنه لو لم يألفه وتألف روحه روحه، ما عاد إليه، فلما عاد إليه بعد المرَّة الأولى وأَنِسَ بصحبته فقد أُلْحِقَ به؛ لمشاكلتهما وتشابههما، وعدم حدوث النَّفرة بينهما، فيلزمه حديث: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تنافر اختلف**».

● **وهناك مسألة مهمة وهي:** ملازمة الرجل لمنهج المتبدع وصحبته

واعتقاده له، مع تباعد الأجساد، فهذا أيضًا من القرائن التي تظهر التبديع، فثناء النعماني على الحلبي، وملازمته لأصوله، وثناؤه عليه، وانتصاره لهذه الأصول دليل على تبديعه، وعليه، فملازمة المعتقد والأصول الفاسدة تُنزَّل منزلة ملازمة الشخص وصحبته، ومن ثم، فكل ذلك يلزم أبا جميلة.

- **أبو جميلة المتلون يقول على رسلان ألباني مصر، ثم يسبه بعد أن بدَّعه!!:**

ثم هاهو أبو جميلة القبيح المفضوح يسبُّ بالأمس الشيخ رسلان ويتهمه أنه يتاجر بدينه ويلعب به، وأنه قد بدَّع البيلي بالهوى، في جملة سفاهات معتوهة لا تخرج إلا من مبتدع محقور موتور مغلول، قد طُرد من جملة مساجد، لابتداعه، فما وجد في النهاية إلا جملة من المبتدعين المطرودين مثله؛ ليجتمع شمل أهل الأهواء في مسجد من مساجد الضرار؛ ليصدوا فيه عن سبيل اللَّه.

وتاريخ أبي جميلة القبيح مليءٌ بالتلوُّن، حتى أنه من قبل، لما مات سيد طنطاوي أثنى عليه ثناءً جمًّا وقال: إنَّ الأمة قد فقدت عالمًا، ثم لما وُوجِهَ، قال: «اعتبروني أخطأت» ثم أثنى عليه بعد ذلك حتى سمَّاه البعض: الكذَّاب المبير.

لقد قال لي أبو جميلة المفضوح من قبل: «أنا قلت للشيخ رسلان: أنت الآن بعد الشيخ الألباني في مصر، وقد مُيِّزت بحسن اللغة وإتقانها . . . .» في كلام هذا معناه، ثم الآن لمَّا أظهر الشيخ رسلان أمره باتهامه بالتلون والكذب، صار يشتمه ويُسفِّهه، فهكذا حال أهل الأهواء.

لقد خُدعت في هذا الرجل كما خُدعت من قبل في توأمه، فأخضعتهما للأدلة، وأنزلت حالهما على منهج السلف في التبديع فإذا هما عندي من أهل الأهواء الذين وجب التحذير منهما.

ووالذي نفس محمد بيده، أقسم باللَّه العلي العظيم، أني إلى أن انتهيت من كتابة هذا الكتاب، فإني لم يصلني عن المفضوح النعماني ولم أسمع منه ما يسوؤني، أو ما يقدح به فيَّ، ولكنِّي لمَّا رأيته يقدح ويطعن ويسب في الشيخ رسلان، ويثني على الحلبي والبيلي، ولا يتكلم في أهل الأهواء، ويميِّع القضية، ويستدل على تمييعه بالباطل، وقوله: إن التكلم في الناس فرض كفاية، ومراوغته في الرد على الشيخ أبي عبد الأعلى، كل هذا وغيره، ولما رأيته مصرًّا على الذهاب إلى مسجد الضرار بعد نصحه وتبْيين حال المسجد والقائمين عليه وأنهم إنما يلعبون به، كيدًا فيَّ، قد اشتروا بالدعوة إلى اللَّه ثمنًا قليلًا، وبعد أن ظهر كل ذلك، وقال: لن أكون جبهة ضد الشيخ عيد، ثم إذا به يذهب إليهم، فسفَّه نفسه وأصبح متعمدًا يصدُّ عن سبيل اللَّه، ولعب به الصبيان؛ فوجَّهوه -ورب الكعبة- لما يريدون، ولقنوه ما أرادوا توصيله على لسانه، قد جمعتهم أُلفة المبتدعين؛ فلما كان ذلك كذلك، لحق بعضهم ببعض ولا كرامة.

روى اللالكائي (٢٦١) في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة عن الإمام الفضيل بن عياض أنه قال:

«من أتاه رجل فشاوره فدلَّه على مبتدع، فقد غش الإسلام، واحذروا الدخول على أصحاب البدع، فإنهم يصدُّوا عن الحق».

فهذا حال أبي جميلة القبيح المفضوح مُنَزَّلٌ على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وسيلٍ جرَّارٍ من أضواء السلف وآثارهم، كما بيَّنت حال توأمه؛ وإنما ذكرتهما تبعًا لا أصلًا، أما الأصل الذي من أجله كتبت كتابي إنما هو: بيان المنهج الشرعي بالتبديع بالصحبة والألفة، وأثره في كشف المبتدعين المستترين؛ طلبًا لتنقية صفوف أهل السنة وتطهيرها من الدخلاء المخادعين، فيُنزَّل على أيِّ أحد من أحفاد أبي جميلة الجد القديم، الذي وطأه أبو إدريس الخولاني على بطنه أمام الناس تحقيرًا وإذلالًا لأهل البدع والأهواء، وأحفاد

أبي ثمود الذي أضله اللَّه على علم، فتستقيم مساجد أهل السنة على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﭫ، وإني أزعم أن الذي يتدبَّر كتابي هذا فإنه سيجد ما وصفته له.

أسأل اللَّه -جل وعلا- أن يُخلِّص هذا العمل لوجهه الكريم وحده سبحانه، وألَّا يجعل فيه حظًّا للنفس ولا للهوى، واللَّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وإني قد وصفت أبا جميلة القبيح بالكذب؛ لا لأن الشيخ رسلان قال عليه: «مبتدع كذاب ضال»، ولا لقول الشيخ ريحان: «الكذاب المبير»، ولا لِمَا قاله الشيخ خالد أبو عبد الأعلى؛ بل لِمَا باشرته بنفسي عليه، ثم يعضَّد تكذيبي له بمن كذَّبه قبلي، بل كذبه طائفة من طلاب كراسة الذين علموا حاله وانفصلوا عنه بعد فتنة البيلي وغيرهم واللَّه، ثم ما الكذب بجانب الابتداع الذي هو أكبر من الكبيرة، من الكذب وغيره؟!

وكأني أراه بعد طبع الكتاب -إن شاء اللَّه- قد شحذ لسانيه عليَّ متلونًا، قد حوَّل الثناء ذمًّا، مُنْكِرًا ما كان منه في ذلك، ولكن يردُّه من سمعه، ويردُّه ما خطَّت يمينه -وهو عندي- واللَّه المستعان، وعليه التكلان؛ فهو قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

نعوذ باللَّه من التلُّون والنفاق، وأن يكون لأحد من المسلمين لسانان.

روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٥٩) عن سلَّام بن مسكين قال:

«كان قتادة إذا تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] قال: إنكم قد قلتم ربُّنا اللَّه، فاستقيموا على أمر اللَّه وطاعته وسُنة نبيِّكم، وامضوا حيث تؤمرون، فالاستقامة أن تلبث على الإسلام، والطريقة الصالحة؛ ثم لا تمرق منها، ولا تخالفها، ولا تشذ عن السنة، ولا تخرج عنها، فإنَّ أهل المروق من الإسلام منقطع بهم يوم القيامة، ثم إيَّاكم وتصرُّف

الأخلاق، واجعلوا الوجه واحدًا، والدعوة واحدة، فإنه بلغنا أنه من كان ذا وجهين، وذا لسانيْن، كان له يوم القيامة لسانان من نار».

• **بين الكويت وأهناسيا يُعْرَفُ المبتدعة:**

روى ابن بطة عن الأوزاعي (٥١٩) أنه قال:

«يُعرف الرجل في ثلاثة مواطن: بألفته، ويعرف في مجلسه، ويعرف في منطِقِهِ» قال أبو حاتم: وقدم موسى بن عقبة الصُّوريُّ بغداد، فذُكِرَ لأحمد ابن حنبل فقال: «انظروا على من نزل، وإلى من يأوي».

مرَّ الكلام على أبي ثمود البيلي ذي السَّفعة الشيطانية على وجهه، أنه لما قدم الكويت، أنه نزل على طائفة ممن بدعهم أهل العلم الثقات، كسالم الطويل وعبد العزيز الريِّس، فأُلْحِق بهم ولا كرامة.

وهذا توأمه في المنهج والمذهب؛ لما نزل أهناسيا المدينة، التابعة لمحافظة بني سويف، فإذا به قد نزل على رجل تكفيري محض، يكفِّر الجيش والشرطة والحكومة، هذا التكفيري يُدعى: أحمد بهاء، داعية معروف هناك، هذا النزول كان متى؟ على أقصى تقدير منذ سنة تقريبًا!!!، ونزل بَعْدَ أبي جميلة في نفس المسجد أحمد النقيب، فاجعل هذا النزول مُلْحِقًا لأبي جميلة القبيح بمن نزل عليه، ثم ضمَّ إليه ثناءه ودفاعه عن الحلبي والبيلي، وأمر ابن جلوة وابن هارون المريب، مع وكر الهجانة الجديد الذي يترأسه أبو جميلة القبيح، وأفراده المشوَّهون الذين يطعنون في أهل السنة، والذي يذكرنا بأبي عامر الراهب صاحب مسجد ضرار الأول، وأفراخه.

قال القرطبي في تفسيره (٨/ ١٤٣) عند قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾ [التوبة: ١٠٧، وما بعدها]:

«فقال عكرمة: سأل عمر بن الخطاب رجلًا منهم: بماذا أعنت في هذا المسجد؟ فقال: أعنت فيه بسارية، فقال: أبشر بها! سارية في عنقك من نار جهنم.

وقال أهل التأويل: ضرارًا بالمسجد، وليس للمسجد ضرار، إنما هو لأهله.

قال علماؤنا: وكل مسجد بُني على ضرار أو رياء وسُمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه.

وقد رُوي أنَّ رسول اللَّه ﷺ لما نزلت هذه الآية، كان لا يمرُّ بالطريق التي فيها المسجد، وأمر بموضعه أن يُتَّخذ كُنَاسة تُلقى فيها الجيف والأقذار والقمامات» انتهى باختصار.

وآخر ما أذكره هنا، هو أني قد رُشِّحت لتدريس مادة أصول الفقه في مسجد بالمعادي يسمى، الهدي المحمدي، فعلمت أنَّ به رجلًا يدعى: الدكتور محمد عمارة، فاتصلت بأبي جميلة النعماني، لأنه من سنوات طويلة في هذا المكان، وسألته عن هذا الرجل هل هو الكاتب المشهور، ومن ثم لا أذهب إلى هذا المكان؟ فقال لي: لا بل هو رجل من أهل السنة على خير، وقال لي: إني في هذا المسجد من بضعة عشر عامًا، وشكر لي في إمام المسجد وخطيبه، فذهبت على نصيحة أبي جميلة الخبيث، فلما قابلت إمام المسجد رحَّب بي، وزادني طمأنينة أنه ذكر لي حرص محمد عبد المقصود للتواجد في هذا المسجد، وأنه منعه تمامًا من هذا، فقلت: عسى أن يكون خيرًا.

فذهبت من أول محاضرة معي عدَّتي وعتادي، وأمام المسجد توجد كل كتبي بما فيها سلسلة تصحيح المعتقد، بيانًا لما أدين به إلى اللَّه، وفي أول محاضرة تركت أصول الفقه وتكلمت في مسائل المنهج، وما يحدث من فتنة الخروج والثورات، وأهديت لإمام المسجد وخطيبه نسخة من كل كتبي، وتقبَّلها بما فيها من البيان والصراحة في المنهج، وبدأ يخبرني بأنه يقرأ فيها كلما أتيح له الوقت، وظللت أطعم دروسي بذكر أصول السنة حتى نزل كتابي: «دعاة الدم والهدم» فإذا بإمام المسجد يثور جدًّا ولكن ليس في وجهي، ثم أرسل إليَّ رسالة، ألا أحضر هنا مرة أخرى، فلما سألت، إذا

بمحمد عمارة المذكور، حزبي محترق إخواني، وهو عضو بمجلس الشعب، وإذا بالمسجد قد كان من قبل في خطب الجمعة يأتي فيه كبار القطبيين كأحمد فريد، وأحمد النقيب، والعفاني، فقلت: وأبو جميلة على هذا الحال كما أخبرني بلسانه بضعة عشر عامًا؟! وقد أخبرني إمام المسجد حبَّ الناس لأبي جميلة، وإذا بي في الفترة القليلة بالمسجد كنت أرى فيها نظرات مريبة من لحًى مشبوهة، وأنا أُحسِنُ الظن في أبي جميلة، فمع أوَّل صدام حقيقي طُرِدْتُ من المسجد ولله الحمد والمنَّة؛ ليبقى المسجد لأهله الذين هم أهله، قد تشابهت قلوبهم.

فاضمم هذه إلى أخواتها، واشدد عليهن، ثم إذا قابلت أبا جميلة، فأحكم قبضتك على نعليك واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم سمِّ الله وافعل كما فعل أبو إدريس الخولاني مع أبي جميلة الجدّ، حيث وطأ بطنه بقدميه، ثم قل: «ألا إنَّ أبا جميلة القبيح ليس بالسنِّي، بل هو مبتدع مُتَسَتِّر محقور؛ فلا تجالسوه، واحذروه، وأهينوه، وأذلُّوه».

- **كذبة إبريل وأبو جميلة الذليل:**

ثم إني عند مراجعة الكتاب بعد الانتهاء منه، سمعت ردَّ أبي جميلة النعماني على خالد أبي عبد الأعلى، فإذا به يردُّ قول خالد بأنَّ النعماني لم يبدع البيلي، فردَّ النعماني بقوله: «أما قوله بأني لم أبدِّعه فهذا غير صحيح، وهو يعلم أني أحد الموقعين على البيان والتخطئة والتحذير».

وهذا كذب وتلاعب بالألفاظ وتدليس وغش؛ لماذا؟ لأن النعماني رفض التوقيع على البيان الأول الذي فيه تبديع البيلي، ووقعت أنا والمشايخ عليه، ثم كان البيان الثاني الذي تغيَّرت فيه الصيغة والكلام؛ حيث كان مضمونه بيان الخطأ والتحذير، وقلت: أنا وقعت على البيان الأول لا البيان الثاني، فتوقيعه على البيان الثاني نابع من منهجه بالأخذ بالموازنات، واعتبار ما فعله البيلي خطأ لا بدعة، فكونه يذكر توقيعه على البيان في معرض الاستدلال على

تبديعه للبيلي كذب وغش؛ لأنه إلى الآن في دروسه في وكر الضرار بالهجانة قد صرح بأنه أخطأ لا أنه ابتدع، ويتلمَّس له الأعذار هو والحلبي؛ فالرجل متلون كالحرباء، لا يصدُّه عن تلوُّنه شيء، وهو ماض في ذلك لا يلوي على أحد.

ثم هذا المتلون في دروسه في وكر الضرار بالهجانة يدافع عن الحلبي، ثم يرد على خالد عثمان بأن ثناءه على الحلبي كان قديمًا، ويلومه بأنه يأخذه به الآن، وسبحان اللَّه، كذلك في دروسه في وكر الضرار بالهجانة طعن في الشيخ رسلان -حفظه اللَّه- ومن جملة طعونه أنه ذكر ثناء الشيخ على الشعراوي، وهو قديم جدًّا، ورجع الشيخ عنه وأظهر ما فيه مفصَّلًا، وصح رجوعه، في حين أنَّ النعماني لم يرجع إلى الآن صراحة عن ثنائه على الحلبي، بل يدافع عنه ويتلمس له الأعذار، فهل يستقيم هذا الحوار العبثي إلا مع رجل مراوغ روغان الثعالب، متلون كذاب، يظن الغباء فيمن يسمعه، وما يظنه بالناس فهو فيه، ويجوِّز لنفسه ما لا يجوِّزه لغيره؟!!.

وكنت أتعجب من غباء الحزبيين كصاحب قناة النقمة أبي لحية الرقَّاص، إذِ الرجل يتكلم بالكلام اليوم مُسجَّلًا له بالصوت والصورة، ثم بعد أيام يقول ضدَّه تمامًا في مكان آخر، وقوله مسجل بالصوت والصورة أيضًا، أما كذبهم فعلمه القاصي والداني، ولكني ما كنت أظن هؤلاء على هذه الدرجة من السفه والغباء، فالتسجيلات موجودة والناس تسمع هذا وذاك، فسبحان من فضح المبتدعة على ألسنة أنفسهم.

ثم إني نظرت فإذا نحن في بداية إبريل، وأنتم تعلمون خفَّة دم المصريين وعادتهم في هذا الشهر بتحليل الكذب هداهم اللَّه، فيجوز للمرء في عرف عامتهم الكذب في هذا الشهر، فلعلها وجدت من النعماني أبي جميلة استحسانًا فكان له السبق في بداية الشهر، لاسيما وأنتم تعلمون أن العرف مصدر من مصادر التشريع، والعادة محكَّمة، فلعل هذا هو دليله في جواز الكذب في هذا الشهر، ولربما يُرفع له بعد ذلك على شبكة المعلومات الدولية بيان في توضيح سبقه بالكذب في هذا الشهر، وإنَّا منتظرون!!!

فإنه قوله ﷺ كما في صحيح البخاري (٦١٢٠): «**إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**».

وأظنني قد أثقلت على أبي جميلة الدميم، وحبست عن جميلة أباها اللئيم، وقد أخرجت له المخبوء، وقلَّبت عليه المواجع، وأتيت بالفواجع؛ فأتركه مستلقيًا على المضاجع، مفكرًا في المخارج والموانع، وأوصيه بكوب دافئ من الحليب، وعلبة زبادوه، فاليوم يوم عصيب، قد اكتنفته الأعاصير والزعابيب؛ ومن أجله أوصيته بالزبادوه والحليب؛ فإنه مُجَرَّبٌ، فانطلق غير مأسوف عليك؛ لتعمل فكرك المفسود، وترتب عليه بعض البنود، لتصُدَّ بها الحق وتنصُرَ بها البواطل بالجهود، التي تُبذل على نُصُب الأبالسة، والمردة من الشياطين لرفع راية المبتدعين، وتنكيس راية المُسْتنين.

ولقد وصلني ممن كان مباشرًا لحال هذا الرجل أبي جميلة أنه يكثر من الكذب، حتى قالوا عليه إنه يتعبد بالكذب، وما نقلت قولهم هذا الآن إلا لمَّا باشرت كذبه بنفسي.

فاحذروا أبا قبيحة المفضوح الكذوب هذا، وتوأمه في المنهج والمعتقد حذو القذة بالقذة أبا ثمود البيلي، فإنه كذلك لمَّا وجد أنه قد افتضح أمره على لسان الشيخ طلعت فخرج على الناس يكذب ليخفي سوآته، خلَّص اللَّه المسلمين ونجَّاهم من براثن أهل البدع والأهواء الذين لا يرعوون ولا عن غيِّهم وضلالهم يرجعون.

وفي حديث الافتراق المشهور من رواية أبي داود في سننه (**٤٥٩٧**) من حديث معاوية رضي الله عنه، وفيه قال ﷺ:

«**وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عِرْق ولا مَفْصِل إلا دخله**» صححه الحاكم والذهبي، وقد مرَّ مفصَّلًا.

ذكر الشاطبي هذه الرواية في الاعتصام (٢/ ٥٧١) فقال:

«وذلك أنَّ معنى هذه الرواية: أنه -عليه الصلاة والسلام- أخبر بما سيكون في أمته من هذه الأهواء التي افترقوا فيها إلى تلك الفرق، وأنه يكون فيهم أقوام تداخل تلك الأهواء قلوبهم حتى لا يمكن في العادة انفصالها عنها وتوبتهم منها، على حدِّ ما يداخل داءُ الكلب جسم صاحبه فلا يبقى من ذلك الجسم جزء من أجزائه ولا مَفْصِل ولا غيرهما إلا دخله ذلك الداء، وهو جريان لا يقبل العلاج ولا ينفع فيه الدواء، فكذلك صاحب الهوى إذا دخل قلبه وأشرب حبَّه، لا تعمل فيه الموعظة ولا يقبل البرهان ولا يكترث بمن خالفه.

واعتبر ذلك بالمتقدمين من أهل الأهواء كمعبد الجهني وعمرو بن عبيد وسواهما؛ فإنهم كانوا -حيث لقوا- مطرودين من كل جهة، محجوبين عن كل لسان، مبعدين عند كل مسلم، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلَّا تماديًا على ضلالهم، ومداومة على ما هم عليه: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة: ٤١]» اهـ.

● وقفة مع البيِّنات الواضحات في كشف المغالطات وتأكيد عملي لما سبق:

ثم إنِّي بعد انتهائي من صفِّ هذا الكتاب، سمعت ردَّ أبي جميلة المراوغ الكذاب على أبي عبد الأعلى، والذي سمَّاه: «فتح العلي الأعلى في بيان مغالطات أبي عبد الأعلى»، فلما سمعه الشيخ خالد قال: «هذا الرجل قد أسقط نفسه بإصراره على الباطل ولسنا نحن الذين أسقطناه، وبعدم قبول الحق والأدلة» فآثرت ذكره هنا، ثم ردَّ عليه في بحث طويل مبثوث على شبكة النِّت سمَّاه: «البيِّنات الواضحات في كشف مغالطات عبد الستير الواهية ومنها: موافقته أصول علي الحلبي البدعية»، وقد ردَّ في هذا البحث أيضًا على مقالة النعماني القديمة التي نصحه بسببها أبو عبد الأعلى وهي: «العاصمة من القاصمة الحدَّادية» والذي وافق فيها أصول علي الحلبي وقواعده البدعية، وقال واصفًا مراوغة النعماني: «وكان في ردِّه على حاله من

المراوغة والكذب والتدليس وتضييع الحق، كإسلوب أبي الحسن والحلبي في المراوغة» اهـ.

ومن القواعد التي انتصر لها النعماني لهذا المشوَّه عقديًّا المدعو علي الحلبي قاعدته: «لا يجب أن يكون انتساب الرجل إلى السلفية خالصًا؛ كما أنه لا يجب أن يكون انتساب الرجل إلى الإسلام خالصًا».

وقد استدل لها النعماني: بأن الرجل قد يكون مؤمنًا وهو على شعبة من النفاق أو الكفر؛ كما جاء في الحديث: «**إنك امرؤٌ فيك جاهية**»، وكذلك: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»، فلا يكون انتسابه خالصًا للإيمان.

وردَّ عليه أبو عبد الأعلى بأن هذه تُشْبه قاعدة:

«عدم تأثير مخالفة المنهج إذا صحَّت العقيدة وقويت ولا يخرج عن السلفية».

وهي قاعدة أخرى قعَّدها الحلبي في كتابه: «منهج السلف الصالح».

ونحو قاعدة: «لا تجعل خلافنا في غيرنا سببًا في الخلاف بيننا».

وقاعدة: «اشتراط الإجماع في الجرح»، والتي ردَّ بها قاعدة:

«الجرح المفسَّر مقدَّم على التعديل».

وقاعدة: «عدم مصلحة هجر أهل الأهواء في هذا الزمان».

وذكر أبو عبد الأعلى كتاب: «صيانة السلفي من وسوسة وتلبيسات علي الحلبي»، وأنَّ به بيان بطلان هذه القواعد.

قلت (الكيال): والتلبيس الذي لبَّس به النعماني في مقالته المشوَّهة -؛ فذاك المشوَّه من ذاك الدميم القبيح، والمرء مع من أحب، وأهل الأهواء يدافع بعضهم عن بعض وينصر بعضهم بعضًا- أنه قال كلمة حق أراد بها باطل، وهي: صحة نقص الإيمان بالبدعة، وصحة جمع المرء للإيمان مع شعبة النفاق أو الكفر أو الفسق، فهذا لا إشكال فيه، وإنما الإشكال في الاستدلال بالحق في غير محله؛ ولنصرة الباطل، كما هو حال أهل البدع في تأويلهم للنصوص ولوْيهم لعنقها؛

ليستدلوا بها زورًا وبهتانًا على باطلهم وبدعهم :

وهذا كله منه يعتبر حَوْمًا حول منهج الموازنات الممقوت الخداع الخبيث، الذي تُهدم به السنة وأهلها، وتُتلمَّس الأعذار الواهية لأهل الأهواء والبدع، وقد ذكرت في كتابي هذا الإجماعات على أنَّ الرجل يصير مبتدعًا ببدعة واحدة وهو يعلمها، وفصَّلت القول في كتابي: (إعلام الموقعين بجناية تنزيل الموازنات على المبتدعين)؛ فإن الرجل يُبدَّع ببدعة واحدة ولو كان في بقية حاله موافقًا للمنهج السلفي، وهذه الإجماعات تهدم القواعد الحلبية ثم النعمانية من جذورها فيخرّ عليهم السقف من فوقهم.

واستدل كذلك أبو عبد الأعلى على بطلان هذه القواعد؛ بحكم النبي ﷺ على الخوارج بالمروق من الدين، رغم ما هم عليه من اجتهاد في العبادة وتلاوة القرآن، بل حكم عليهم أنهم كلاب أهل النار، وشر الخلق والخليقة.

فلم تشفع حسناتهم وموافقتهم للسُّنة في بعض المسائل في إلحاقهم بأهل السنة.

قلت (الكيال): وهذا دليل قوي في المسألة، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

ثم بيَّن أنَّ هذا حال السلف والخلف من أهل السنة، وحال علماء الرجال في كتب الجرح والتعديل والضعفاء والمتروكين.

وذكر أمثلة، منها: تبديع أحمد بن حنبل للحارث المحاسبي ويعقوب بن أبي شيبة، رغم موافقتهما للسلفيين في بعض الأصول والمسائل، بل ودفاعهما عن السنة، إلَّا أنهما وافقا جَهْمًا في بعض أصوله، فألحقهما أحمد بالجهمية، ولم يطبق عليهما الإمام هذه القاعدة.

قلت (الكيال): لذلك - كما ذكرت من قبل- لمَّا أهديت للنعماني نسخة من كتابي: إعلام الموقعين بجناية تنزيل الموازنات على المبتدعين، وهذا منِّي إقامة للحجة على منهجه الفاسد؛ فكتاب الرجل يُعبِّر عنه، ولكنَّ النعماني

قد تشرَّب قلبُه بما يناسب معتقده ومنهجه وبما يُحبه؛ لذلك لم أسمع له ردًّا على الكتاب، ثم هو إلى الآن يعاند ويجحد، وسيظهر ذلك من ردِّه على أبي عبد الأعلى.

وعليه؛ فكما ألحق الإمام أحمد كلًّا من المحاسبي ويعقوب بالجهمية؛ فكذلك ينبغي علينا أنْ نفعل بإلحاق عبد الستير النعماني بشيخه المشوَّه الحلبي على سبيل الإمام أحمد إمام المذهب الحنبلي، بل قل على سبيل المنهج القرآن النبوي السلفي النقي، ومن كان له إمام فيما ذهب إليه، وكان لإمامه ابتداءً دليله المعتبر من الكتاب والسنة والإجماع، فلا أعلم سبيلًا إلى ردِّ قوله إلا الهوى، وارجع إلى المسألة الرابعة من هذا الكتاب.

وذكر ما قاله الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨/ ٢١١) حيث قال:

«وللحارث كتب كثيرة في الزُّهد وفي أصول الديانات، والردِّ على المخالفين من المعتزلة والرافضة وغيرهما» اهـ.

وكذلك ما قاله ابن تيمية في درء التعارض (٢/ ٦) قال:

«وأما الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى ابن كلَّاب، ولهذا أمر أحمد بهجره، وكان أحمد يُحذِّر من ابن كلَّاب واتباعه» اهـ.

وذكر قول الحميدي في يعقوب بن أبي شيبة، كما في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٩٠) قال:

«لو وُجد كلام يعقوب على أبواب الحمَّامات للزم أن يُقرأ ويُكتب، فكيف وهو مسند لا مثل له؟!».

فكان يعقوب من الراسخين في علم علل الحديث، ومع ذلك بدَّعهما الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة بالصحبة، وبإلحقهما بالجهمية للقول بقولهم.

ثم علَّق على قول النعمانيِّ المراوغ: «هذه هي فتنة الخوارج الكبرى أنهم

جعلو الإيمان كتلة واحدة جزءًا واحدًا لا يتبعض . . . » .

قال خالد: وهذا غَمْزٌ في العلماء السلفيين الذين يبدعون الرجل بالبدعة وبما فيه بأنهم خوارج .

وهذا الغمزُ هو حال عبد الرحمن عبد الخالق ومن جرى في ركابه، نحو : أبي الحسن المصري، وأبي إسحاق الحويني، ومحمد حسان، فهؤلاء قد رموا علماء الأمة بأنهم خوارج وغلاة التجريح .

ثم ذكر أبو عبد الأعلى هذه الأمثلة الماكرة التي ذكرها عبد الستير النعماني؛ ليُنْزِلها على هذه القاعدة، أو ينزل القاعدة عليها، وهذا طعن فيهم من بعض الوجوه؛ وذلك حتى ينتصر لباطله، حتى قال أبو عبد الأعلى في هامش (ص: ١٥): «هكذا تلاعب الشيطان بعبد الستير فحشر هؤلاء الأئمة العظام تحت القاعدة الكاسدة لعلي الحلبي» اهـ.

قلت (الكيال): وهذا حال من يقول بالموازنة -وقد عافانا اللَّه منها وللَّه الحمد والمنَّة- ومن قرأ كتابي الإعلام، يعلم ضلال هذا المنهج الهدَّام للدين والسُّنة وعرى الإسلام .

وإن كان توأمه قد غمز الألباني وقد قام عليه المشايخ، فإنَّ أبا جميلة النعماني القبيح قد غمز كل هؤلاء فزاد الطين بلالًا .

ومن مَكْرِه أنه لم يذكر تراجع من تراجع عن قوله، فقد غمز العلامة ابن عثيمين بقوله بالمعية الذاتية، وقد تراجع عنها، ومن تراجع فقد أناب إلى الحق واعترف بخطئه، فيُحمد له ذلك ويشكر عليه، وإنما السبيل على المعاند الجَحود للحق، المُصرِّ على الباطل .

ثم بيَّن أنَّ عبد الستير النعماني قد اختزل منهج السلف وأصول السنة في أصل واحد وهو: عدم الخروج على الحكام والسمع والطاعة لهم وسمَّاه أصل الأصول، وهذا منه مكرٌ وهدم لبقية الأصول، وعلى رأسها التكلُّم في أهل الأهواء .

ثم ذكر تراجعه عن ثنائه عن حسان ويعقوب والحويني، وبيَّن أنه تراجع ضعيف غير محمود، ويظهر ذلك من نص تراجعه.

ثم تكلم في الفصل الثاني عن مغالطات النعماني في ردِّه الأخير، ومنه قال: «رماني بجملة أمور أكثرها مغالطات على الحقيقة؛ ترجع هذه المغالطات: إما أنه لُقِّن شيء من الكلام وحمله عليه بعضهم وهذا ظاهر...».

قلت (الكيال): حال المبتدعة كله واحد؛ كما قال تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]، وقال: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ﴾ [البقرة: ١١٨]؛ وذلك لأن فعل النعماني كفعل توأمه البيلي أبي ثمود، لما انكشف حاله أمام الشيخ طلعت -حفظه اللَّه- اتهمه بالكذب وبالغ في اتهامه ذلك؛ ليسقط قوله، فكذلك هنا، ثم من هذا الذي لقَّنه، وهل لقَّنه بباطل أم بحق وحجة ودليل معتبر؟! نعوذ باللَّه من الكذب والخداع والمراوغة، وأنا واللَّه أتعجب على طالب علم توجد به هذه الصفات الذميمة، فما بالكم لو كان ممن يتصدى للتكلم في الناس بدين اللَّه؟!

ثم علل أبو عبد الأعلى كذبه لينتصر لآراء الحلبي الضَّال، وكذلك لغلبة الهوى، وقد صدق.

ثم ذكر قول النعماني: «الأصل بيان الخطأ لا المخطئ»، وأنه يوافق قاعدة الحلبي وأبي الحسن وعرعور: «نصحح الأخطاء ولا نهدم الأشخاص»، وقاعدة: «نصحح ولا نُجرِّح».

وذكر من تدليس النعماني ذكره لحديث: «**ما بال أقوام**»، وتركه لبقية الأدلة، كقوله: «**بئس أخو العشيرة**»، وحديث فاطمة بنت قيس الذي رواه مسلم في صحيحه (١٤٨٠) قال ﷺ: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، أنكحي أسامة**»، وانظر كتابي: «التحذير والتبيين».

ثم ذكر كلامًا للنعماني يقرر فيه أنَّ التكلم في أهل الأهواء تمزيق للأمة؛ بل هدم لجملة من عرى الإسلام، بل التكلم في أهل البدع تجميع لشتات الأمة تحت راية: مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﵃، وانظر: مقدمة كتابي: «الصبغة التقعيدية لدعائم منهاج النبوة المصطفوية».

ثم ذكر كلامه في ضرورة اللِّين في التجريح مطلقًا، وهذا مخالف لعمل السلف.

ولذلك قال النعماني: «ولأن يجلس طالبان اثنان في مسألة فقهية يُفيد بعضهم بعضًا، ويُعلِّم بعضهم بعضًا سُنَّة فيها، أو هديًا خير لهم من أن يتكلموا عن مائة رجل جرحًا وتعديلًا».

قلت (الكيال): وهو مخالف لإجماعات السلف بوجوب الردِّ على أهل الأهواء وهدم لهذا الأصل في قلوب طلبة العلم، وهو الذي حذر منه الشيخ خالد عبد الرحمن -كما مرَّ آنفًا- وقال بوجوب تحذير الناس منه؛ حتى لا يُصبغ طلبة العلم بصبغة التمييع.

ووالله كلمة التمييع مع مثل هذا هيِّنة، بل قل بصبغة التخريب للكتاب والسنة، والتضييع لعرى الإسلام.

وقد أهديت للنعماني نسخة من كتابي: «التحذير والتبيين بوجوب الردِّ على المخالفين» وبه سيل جرار من الأدلة على ذلك، وقد أخذه قبل ردِّه المراوغ هذا، والذي أصرَّ فيه على باطله؛ لأنه قد قال نفس هذا الكلام في وكر الضرار بالهجَّانة قريبًا، حيث قال لهم: «دعونا نُعلِّم الناس، فإنَّ التكلم في الناس فرض كفاية».

ثم ذكر أبو عبد الأعلى كلامًا خطيرًا لأبي جميلة القبيح النعماني حيث قال: «كلام بعض العلماء في بعض مبنيٌّ على أشياء شخصية فيمابينهما، وهو من قبيل جرح الأقران» هكذا مطلقًا.

قلت (الكيال): وهذا هدم لعلم الجرح والتعديل، ونقض لأصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو التكلم في أهل الأهواء.

ثم قال أبو عبد الأعلى: «أما دعواك الأخيرة أنك تبدِّع الحلبي، فهذا من تناقضك أو تلاعبك أو تلوُّنك، أيهم فاختر!!؛ وذلك أنه لا يشفع لك تبديعك للحلبي في أنك تدعو إلى بعض أصوله التي بُدِّع بسببها».

ثم قال أبو عبد الأعلى أيضًا:

«وأما دعواك أنك لم تُثن قديمًا على محمد حسان، فهذا مما يضحك منه العقلاء، فإنْ كنت لم تُثن قديمًا على حسان، وتظهر الموالاة له، فما معنى طلب الشباب منك أن تتراجع عن ثنائك عليه وعلى الحويني ومحمد حسين يعقوب؟! وما معنى ظهورك في قناة الرحمة التي يرأسها محمد حسان».

قلت (الكيال): وهذا يلزم أيضًا توأمه أبا ثمود البيلي.

والذي يؤكد قول أبي عبد الأعلى، أن الشاب الذي يسجل للنعماني دروسه في وكر الضرار بالهجانة، قال لي أنه أشار على النعماني بعدم رفع مئات الساعات من الدروس على موقعه؛ لما في هذه الدروس من مخالفات عقدية وثناءات على أهل الأهواء، وقد حدث هذا وربِّ الكعبة!!!

ثم يقول النعماني المراوغ الكذاب: أين ثنائي على حسان؟!

● تعقيب مهم على ما قيل في نهاية هذا البحث المعتبر الكاشف لأبي جميلة:

قال الشيخ خالد أبو عبد الأعلى في نهاية بحثه هذا:

«وأنا ما بدَّعتك ولم أنسبك إلى البدعة، إنما ذكرت أنك موافق لأصول علي الحلبية البدعية، ولكنِّي أتريَّث في الحكم بالتبديع؛ كما تعلَّمت من شيخي ربيع بن هادي -حفظه اللَّه- لكن إذا ظللت على هذه الأصول الحلبية

ولم ترجع فيوشك أن تلحق به» .

قلت (الكيال) : أما التريُّث في الحكم على الأفراد بالتبديع والصبر عليهم فحق لا مرية فيه، غير أنَّ كلامي هو في ضابط هذا الصبر، لاسيما بعد ما ظهر الإصرار والعناد والحيدة عن الحق، والمراوغة والتدليس والتعمد لتشويه الحقائق .

ثم إنه قد نُوصح من قبل، وقد أرسل إليه أبو عبد الأعلى النصيحة مُفَصَّلة بما هو عليه من المخالفات وكان تاريخ النصيحة (الثالث من جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ، أي: من خمس سنين الموافق (٢٨/ ٥/ ٢٠٠٩) وما زال إلى اليوم مصرًّا، فماذا بعد؟!

والدليل على ذلك ردُّه في مقالته الأخيرة ومراوغته وكذبه وتدليسه، وغمزه لأهل السنة سلفًا وخلفًا كالبخاري وابن خزيمة والألباني وابن عثيمين وغيرهم، نصرة لباطله .

ومن هنا يظهر لك دفاعه عن البيلي والحلبي، وغمزه وتجريحه للشيخ رسلان -حفظه اللَّه-، وكذلك ترؤسه لوكر الضرار بالهجانة، وأفراخ هذا الوكر المشوَّهين يطعنون في الشيخ رسلان والشيخ طلعت، وغيرهما، حيث طعنوا أيضًا في الشيخ خالد عثمان أبي عبد الأعلى لما نُشرت فتواه في كبيرهم النعماني، وقد علم النعماني أنَّ أفراخ وكر الضرار نخبة فاسدة مشوَّهة المعتقد، قد جمعت بين الإخواني والتكفيري والقطبي والتبليغي ونزيل رابعة، مع من طردتهم من مسجدي لما سبُّوني لكلامي في حسان، والحويني حتى توعدوني بالطرد من الهجانة، وقد علم النعماني ذلك وأقر بفعلهم؛ بل يصفهم بإخوانه .

ومن ثم؛ فقد سار بسيرة أخيه وتوأمه أبي ثمود البيلي .

وليس أدلَ على ذلك من قوله في نهاية هرائه في ردِّه الأخير على أبي عبد الأعلى حيث قال:

«فعلى أخينا خالد أنْ يُراجع موقفه منِّي بناءً على ما سمع من الجواب، وأرجو ألَّا يتكبَّر عن الرجوع إلى الحق، فإن الأمر دين . . وإنما حقيقة العلم في الرجوع عن الخطأ».

وربِّ الكعبة، ما هذا إلا التلبيس بعينه، والكذب الفاضح، والمراوغة الثعلبية، وكأنه يخاطب طائفة من الصبيان، وقلْب للحقائق، وتعمد بإظهار المعاندة في صورة الحق المسلوب، والظلم الواقع عليه، وإظهار الناصح له في صورة الظالم الجائز المعتدي على أهل الحق، ألا شاهت الوجوه، وقُبِّح الغشُّ والخداعُ، وإنما لا يروج هذا العبث إلا على الجهلة وسفلة الناس وأهل الأهواء.

فأما عناده وردُّه للحق فقد ظهر وبان، وأما تلاعبه وتلوُّنه فقد انكشف عنه الغطاء، لاسيما وقد قال أخونا في اللَّه الشيخ أبو عبد الأعلى -سدَّده اللَّه ووفقه-؛ كما مرَّ من قبل: «وأما دعواك تبديع الحلبي، فهذا من تناقضك، أو تلاعبك، أو تلونك، أيهم فاختر!!». وقال: «هكذا تلاعب الشيطان بعبد الستير»، وقال في بداية بحثه الطيِّب: «وكان في ردِّه على حاله من المراوغة والكذب والتدليس وتضييع الحق كإسلوب أبي الحسن والحلبي من المراوغة».

فإذن قد حكم أخونا الشيخ خالد أبو عبد الأعلى على الرجل بالكذب والمراوغة والتلاعب والتلون وردِّ الحق، وهذا هو العناد المذموم، والإصرار على الباطل، وعليه، وكأن الشيخ خالد يتورَّع في الحكم على هذا الرجل بالبدعة، وقد وجدت أسبابها؛ كيف لا، وقد ذكر الشيخ خالد إلحاق الإمام أحمد للمحاسبي ويعقوب بالجهمية، وحال النعماني مع الحلبي على نفس الشاكلة وأشدّ.

ولذلك؛ فقد بيَّن الإمام أبو محمد الحسن بن علي البربهاري في كتابه شرح السنة الأمر الذي به يخرج الرجل من أهل السنة فقال (ص: ٤٦٠):

«واعلم أنَّ الخروج من الطريق على وجهين : أمَّا أحدهما فرجل قد زلَّ عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير ، فلا يُقتدى بزلَّته ؛ فإنه هالك .

وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين ، فهو ضال مضل شيطان مريد في هذه الأمة ، حقيق على من يعرفه أن يحذِّر منه ، ويبين للناس قصَّته ، لئلا يقع أحدٌ في بدعته فتهلك» اهـ .

ويقينًا وبعد المعاندة والإصرار لا يقال قد زلَّ النعماني ، بل عاند وخاصم وفجر .

فهذا حال أبي جميلة القبيح النعماني عند إمام أهل السنة والجماعة في عصره ، الإمام البربهاري ، أنه شيطان مريد ضال مُضل ، فماذا بعد؟!

فجزى اللَّه خيرًا أخانا الشيخ خالد عثمان على الكشف والبيان بالحجة والبرهان ، فإذا ضممت هذا البحث«البينات الواضحات» إلى منهج التبديع بالصحبة والألفة ، تبين لك أنَّ تبديع هذا الرجل قد تعيَّن ؛ لأن هذا البحث ما هو إلا تطبيق لمنهج التبديع بالصحبة عند التحقيق .

وإني أزعم أنَّ الشيخ خالد عبد الرحمن -حفظه اللَّه- لو أنَّه وقف على بحث أخينا خالد عثمان لما تردد في تبديع الرجل ، واللَّه الموفق والهادي إلى سواء الصراط ، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

ومن الجدير بالذِّكر ، أنَّ هذا البحث كان في درس طويل في مسجد بكرداسة ، كان للنعماني بمثابة بيته ، والذي كان يقرأ نص البحث طالب من أقرب الطلبة للنعماني ، فطُرد النعماني من المسجد ، وانفض عنه طلابه ، وأُتي في نفس المسجد بمن يفضح النعماني في عقر داره وبين أهله بإظهار السنة وإماتة البدعة ، وللَّه الحمد والمنَّة أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا .

قال العلامة صالح الفوزان في كتابه : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص : ٧٨) :

«فالواجب التنبيه والنَّصيحة للَّه ولكتابه ولنبيِّه ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ خصوصًا وأنَّ دعاة الضلال والمُرَوِّجين للباطل كثيرون، فلابد من كشف زَيْفِهم، وردِّ باطلهم، وتبصير المسلمين بشرِّهم حتى يحذروهم، وفَّق اللَّه المسلمين للعمل بكتابه وسُنة رسوله ﷺ» اهـ.

● **مسك الختام، وخروج أبي جميلة من السلفية على لسان الكبار:**

وكما في كتاب: «جناية التَّميُّع على المنهج السلفي (ص: ٤٩)، قال العلامة عُبيد بن عبد اللَّه الجابري ردًّا على هذا السؤال:

«متى يخرج الرجل من المنهج السلفي ويُحكم عليه بأنه ليس سلفيًّا؟

الجواب: هذا بيَّنه أهل العلم، وضمَّنوه كتبهم ونصائحهم، وهو ضمن منهجهم؛ وذلك أنَّ الرجل يخرج من السلفية إذا خالف أصلًا من أصول السُّنة، وقامت عليه الحجَّةُ بذلك، وأبى الرجوع، هذا يخرج من السلفية، كذلك قالوا حتى في الفروع؛ إذا خالف فرعًا من فروع الدين؛ فأصبح يوالي ويعادي في ذلك، فإنه يخرج من السلفية» اهـ.

ولقد قامت الحجة على عبد الستير النعماني فأبى إلا نفورًا وعنادًا واستكبارًا، وأبى الرجوع إلى الحق منقادًا للهوى منتصرًا لأخدانه فأُلحق بهم ولا كرامة.

كذلك كما في جناية التميُّع (ص: ٤١) سئل الشيخ عبيد -حفظه اللَّه-:

«يمضي بعض الناس السنين والشهور في مناصحة أهل الأحزاب كالإخوان المسلمين والتبليغ مع مجالستهم والحجة لمناصحتهم، فهل هذا كان عليه عمل السلف؟

الجواب: المناصحة لابد أن تنتهي إلى شيء، وهو إما قبول المنصوح نصيحة الناصح ورجوعه إلى الحق وسلوكه سبيل المؤمنين وانتهاج السُّنة، أو العناد والإصرار، لابد أن ينتهي إلى شيء، وهذا الأمر لا يستدعي التطويل

أبدًا، وإنما يظهر في جلسات، هذا في الغالب، وإنما لو ساغ التطويل فهو نادر في حق أناس يظهر منهم اللين، ويظهر منهم شيء من القُرْب، لكن عليهم غبش، فهؤلاء يحتاجون إلى شيء من التعاهد، أما مجالسة أناس الجميع أهل أهواء، أو في مجلس يغلب عليه أهل الأهواء مجالسة ممازحة ومخالطة، يعني: على الدوام؛ فهذا ليس عليه عمل السلف فيما علمناه حتى الساعة، فالأمر فيه تفصيل» اهـ.

● هذا بيان بازيٌّ سلفي:

قال الإمام السلفي القدوة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/ ٧٢-٧٣) وهو يردُّ على قول أهل الأهواء أن التكلم في الناس يمزق شمل الأمة ويفرِّقها:

«وليس هذا تمزيقًا لشمل الأمة ولا تفريقًا لصفِّهم، وإنما في ذلك النصح للَّه ولعباده وبيان الحق والردِّ على من خالفه بالأدلة النقلية والعقلية، والقيام بما أوجب اللَّه والإرشاد إلى سبيله، ولو سكت أهل الحق عن بيانه لاستمر المخطئون على أخطائهم، وقلَّدهم غيرهم في ذلك وباء الساكتون بإثم الكتمان الذي توعَّدهم اللَّه عليه في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وقد أخذ اللَّه على علماء أهل الكتاب الميثاق ليبيِّنُّنه للناس ولا يكتمونه، وذمهم على نبذه وراء ظهورهم، وحذَّرنا من اتباعهم.

فإذا سكت أهل السنة عن بيان أخطاء من خالف الكتاب والسنة شابهوا بذلك أهل الكتاب المغضوب عليهم والضالين» اهـ.

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ

فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٣٣-٢٣٤):

«هذا متصل بذكر اليهود؛ فإنهم أُمِرُوا بالإيمان بمحمد عليه السلام وبيان أمره، فكتموا نعته، فالآية توبيخ لهم؛ ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم.

قال الحسن وقتادة: هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب، فمن علم شيئًا فليعلِّمه، وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة» اهـ.

وقال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٢/ ١١٦):

«هذا توبيخ من اللَّه وتهديد لأهل الكتاب الذين اتخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن ينوِّهوا بذكره في الناس ليكونوا على أُهْبة من أمره، فإذا أرسله اللَّه تابعوه، فكتموا ذلك وتعوَّضوا عما وُعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدُّون الطفيف والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم.

وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويُسْلك بهم مسلكهم، فعلى العلماء أنْ يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتمون منه شيئًا؛ فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ: «**من سُئل عن علم فكتمه أُلْجم يوم القيامة بلجام من نار**»[(١)]» اهـ.

ثم عودٌ على بدءٍ، فإني قد كتبت هذا الكتاب لبيان منهج التبديع بالصحبة والألفة وبيان أثره في كشف المبتدعة ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ

(١) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة في سننه (٢٦٤٩) وقال: «حديث حسن»، ورواه أبو داود في سننه (٣٦٥٨) وابن ماجه في سننه (٢٦١، ٢٦٦)، قال المنذري في تعليقه على سنن أبي داود (٦/ ٤٨٥): «والطريق الذي خرج به أبو داود طريق حسن» اهـ.

حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وأنهيت الكتاب قبل هذه الخاتمة بجميع مسائله التي بها تكتمل الفكرة وتصل الغاية منه، وإنما ذكرت في ذيل هذا الكتاب نموذجين لمُستترين؛ من باب التطبيق العملي فحسب، وهما عندي أقل من أن يُكتب فيهما كتاب؛ إذ من ثبتت بدعته عند أهل السنة والجماعة كان حقيرًا ذليلًا مهانًا، يُنبذ بدون ذكر حتى يدرس أمْرُه ويمحو أثره؛ فلما زاد تلبيسهما على عوام طلبة العلم؛ فرأيت التنويه على حالهما نافلة على أصل الكتاب.

وعليه، فإنَّ المراد من الكتاب بيان ضابط عام يُنزَّل على أيِّ أحد متى وُجدت فيه شروط الكتاب، ولا علاقة لنا بالأشخاص؛ فإنَّ أبا جميلة وأبا ثمود مثالان لكل من تستَّر بالسنة، وهو مبتدع محقور في باطن أمره أراد أنْ يُلبس على الناس دينهم قد ابتُلي بهما المسلمون في كل زمان ومكان.

واللَّه من وراء القصد وهو يهدي السبيل وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا اللَّه، أستغفرك وأتوب إليك.

وكتب
ناصحًا، وكاشفًا، ومحذرًا
أبو عبد الرحمن عيد بن أبي السعود الكيال
وكان الانتهاء منه ليلة الثلاثاء
أول جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ
الموافق ١/ ٤/ ٢٠١٤م
عزبة الهجانة، م. نصر، القاهرة، مصر
حفظها اللَّه من شرور وفتن المبتدعين

فهرس الكتاب

* * *